جزر القمر تتطلع لكسر الاختراق الإيراني ص3

حافظ قائد السبسي

أزمة الابن الذي يسير في ظل أبيه

ص8

فيلم فلسطيني وفاكهة محرمة ص15

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2018/07/29

16 ذو القعدة 1439

السنة 41 العدد 11063

Sunday 29/07/2018

41st Year, Issue 11063

رسائل أميركية متناقضة تجاه إيران

● واشنطن تبحث عن ناتو عربي لمواجهة طهران وتطمئن الإيرانيين بأنها لا تخطط لإسقاط النظام

ارتباك في الاستراتيجية

❑ **واشنطن** – خففت تصريحات وزير الدفاع الأميركي جيمس ماتيس، الجمعة، من حملة الرئيس دونالد ترامب على إيران ووجهت رسائل طمأنة للمسؤولين في طهران بأن واشنطن لا تخطط لإسقاط النظام. ويأتي هذا ليتناقض مع مساعي واشنطن لبناء "ناتو عربي" كجزء من خطتها لمواجهة شاملة مع إيران.

وكان ماتيس قال، الجمعة، إن الولايات المتحدة لم تتبنّ سياسة لتغيير النظام في إيران أو دفعه إلى الانهيار وأضاف للصحافيين "نريدهم أن يغيروا سلوكهم في ما يخص عددا من التهديدات التي يمكن أن يشكلها جيشهم ومخابراتهم ومن ينوبون عنهم ووكلاؤهم".

ويرجح محللون ألا تعكس تصريحات ماتيس تغييرا في الاستراتيجية بقدر ما هي محاولة لترك الأبواب مفتوحة أمام تهدئة تقوم على قبول إيران بتعديلات جوهرية على الاتفاق النووي تقترحها إدارة ترامب، وأهمها تعهد طهران بالتوقف عن مزاحمة الدور الأميركي في الشرق الأوسط وتهديد مصالح حلفاء واشنطن في المنطقة.

لكنهم حذروا من أن خطاب التهدئة قد يفهم في إيران على أنه تراجع من ترامب، وأنه أوحى لوزير الدفاع للقيام بذلك بدلا منه، وأن الأمر قد يفهم من دول خليجية حليفة على أن واشنطن عادت إلى استراتيجية ترضية إيران التي كانت تعتمدها إدارة الرئيس السابق باراك أوباما.

وقد يضفي كلام ماتيس المزيد من الشكوك لدى دول الخليج ومصر على خطط واشنطن للحد من النفوذ الإيراني، وهي خطط لا تقف عند الضغوط الدبلوماسية والاقتصادية، بل تضع ضمن عناصرها المواجهة العسكرية، وهو ما يبرر مساعي واشنطن لبناء تحالف أمني مع الدول العربية.

وقال مسؤولون أميركيون وعرب إن إدارة ترامب تمضي خفية في مساع لتشكيل تحالف أمني وسياسي جديد مع دول الخليج ومصر والأردن بهدف التصدي للتوسع الإيراني.

وذكرت أربعة مصادر أن البيت الأبيض يريد تعزيز التعاون مع تلك البلدان بخصوص الدفاع الصاروخي والتدريب العسكري ومكافحة الإرهاب وقضايا أخرى مثل دعم العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية الإقليمية.

والخطة التي ترمي إلى تشكيل ما وصفه مسؤولون في البيت الأبيض والشرق الأوسط بنسخة عربية من حلف شمال الأطلسي أو "ناتو عربي"، من شأنها أن تزيد الضغوط على إيران.

وقالت عدة مصادر إن إدارة ترامب تأمل في أن تتم مناقشة ذلك التحالف الذي أُطلق عليه مؤقتا اسم "تحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي" خلال قمة تقرر مبدئيا أن تعقد في واشنطن في 12 و13 أكتوبر القادم.

وأكد البيت الأبيض أنه يعمل على فكرة التحالف مع "شركائنا الإقليميين الآن ومنذ عدة أشهر". وقال متحدث باسم مجلس الأمن القومي التابع للبيت الأبيض "تحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي سيشكل حصنا في مواجهة العدوان والإرهاب والتطرف الإيراني، وسوف يرسي السلام بالشرق الأوسط".

وقال مصدر مطلع على الخطة إن إقامة درع دفاع صاروخية في المنطقة سيكون من بين أهداف التحالف إضافة إلى التدريب لتحديث جيوش تلك الدول.

وسيركز هذا التحالف على الدولتين الخليجيتين الأكثر تأثيرا في المنطقة وهما السعودية والإمارات للعمل عن كثب مع إدارة ترامب لمواجهة إيران.

لكن الارتباك الأميركي في إدارة الأزمة مع إيران يدفع دول الخليج إلى البحث عن بدائل، وهو خيار بدأ خلال رئاسة أوباما، ويبدو أنه سيتجدد الآن في ضوء إعلان هذه الدول عن رغبتها في توسيع الاعتماد على الذات في تحقيق أمنها الإقليمي.

وقال أنور قرقاش وزير الدولة الإماراتي للشؤون الخارجية، الخميس، إن بلاده مستعدة لتحمل المزيد من العبء الأمني في الشرق الأوسط لأنها لا تستطيع الاعتماد بعد الآن على العمليات العسكرية لحليفتيها الولايات المتحدة وبريطانيا.

وأضاف قرقاش في خطاب له بمؤسسة بوليسي إكستشينج للأبحاث بلندن "في النظام الدولي الحالي لم يعد من الممكن 'تحرير شيك ويأتي أحد ويضمن استقرار المنطقة'. يجب أن تتحمل جزءا من العبء".

ويشير المراقبون إلى أن دول الخليج تريد أن تجعل العلاقة مع واشنطن امتدادا لرؤيتها القائمة على تنويع الحلفاء وفق قاعدة المصالح وكسر التحالف التقليدي الذي ينظر إلى الخليجيين كسوق استهلاكية، أو كفضاء أمني يحتاج إلى الحماية وإغراقه بالأسلحة.

السعودية... على البحر الأحمر

خيرالله خيرالله

» ص5

الحوثيون يلوّحون بمسار بديل لخطة غريفيث

صالح البيضاني

❑ **عدن** – بدأت قيادات حوثية حملة تشكيك في جهود المبعوث الأممي إلى اليمن مارتن غريفيث، والبحث عن "مسار بديل"، في انعكاس مباشر لفشل اللقاءات الأخيرة بينهما في صنعاء.

واصطدم غريفيث، الذي سيقدم إحاطته لمجلس الأمن الخميس حول مباحثاته مع فرقاء الأزمة، بمواقف الحوثيين المتعنتة ورفضهم التعاطي مع أي من أفكاره وخصوصا تلك المتعلقة بمدينة الحديدة وميناءها، ما جعله عرضة لهجوم إعلامي حوثي مكثف عقب انتهاء زيارته لصنعاء مباشرة.

ونقلت وسائل إعلامية عن القيادي الحوثي محمد البخيتي سعي الجماعة الحوثية لإيجاد مسار بديل عن تحركات غريفيث. ووصف البخيتي هذا المسار بأنه "مثقل بالأعباء"، في إشارة إلى اعتزام الحوثيين اتباع مسار سياسي مغاير لجهود المبعوث الأممي خلال الفترة القادمة.

ووصف مراقبون سياسيون تصريحات زعيم الجماعة الحوثية التي نقلتها وسائل إعلام تابعة له عقب لقائه بغريفيث والتي طالب فيها "بمحافظة الأمم المتحدة على توازنها" بأنها إشارة أخرى إلى حدة التباين في وجهات النظر واصطدام الرؤية الأممية للحل في اليمن بالتطلعات الحوثية المرتهنة للقرار الإيراني.

ورجحت مصادر دبلوماسية لـ"العرب" اتجاه غريفيث في إحاطته إلى العمل على تجاوز تفاصيل خطته الجزئية حول ميناء الحديدة ومحاولة دفع المجلس لتبني خطة أوسع للحل ترتكز بالدرجة الأولى على الضغط على الحوثيين، في الوقت الذي يبدو فيه أن ملف الحديدة قد ترك للتطورات الميدانية التي باتت تشير إلى أن التحالف العربي والحكومة اليمنية حسما خيارهما الخاص باستئناف معركة تحرير الحديدة.

وأشار الخبير العسكري والاستراتيجي اليمني العميد علي ناجي عبيد في تصريح لـ"العرب" إلى أن عوامل القوة التي تتمتع بها قوات المقاومة المشتركة كثيرة، مشيرا إلى وصول تعزيزات كبيرة وقوات حديثة بما فيها الدبابات، إلى جانب تراكم خبرتها على الأرض وحصولها على دعم بحري ولوجستي قوي من التحالف.

ضوء أخضر من واشنطن لاتفاق الأكراد مع الحكومة السورية

● زيارة الوفد الكردي ترفع الحرج عن الأسد وتجنب الولايات المتحدة التوتر مع روسيا

❑ **القامشلي (سوريا)** – أعلن مجلس سوريا الديمقراطية، الذراع السياسية لقوات سوريا الديمقراطية المدعومة من واشنطن، السبت، إثر لقاء مع ممثلين عن دمشق، عن تشكيل لجان بين الطرفين لتطوير المفاوضات بهدف وضع خارطة طريق تقود إلى حكم "لا مركزي" في البلاد.

وتُعد هذه المحادثات الأولى الرسمية العلنية بين مجلس سوريا الديمقراطية والنظام السوري لبحث مستقبل مناطق الإدارة الذاتية في الشمال السوري، في خطوة تأتي بعدما استعاد النظام مناطق واسعة من البلاد خسرها في بداية النزاع المستمر منذ 2011.

وقال مراقبون إن هذه الخطوة لا يمكن أن تتم دون وجود ضوء أخضر من الولايات المتحدة للمضي في هذا الاتفاق، وتمهيد الطريق أمام عودة سلسلة من المواقع التي تسيطر عليها إلى سلطة الرئيس السوري بشار الأسد، ما يدعم التسريبات التي تتحدث عن توافق روسي أميركي إسرائيلي على ترتيب الوضع في سوريا، ما يمثل مسوغا قويا للولايات المتحدة لسحب قواتها في مرحلة لاحقة بعد أن ضمنت مكانا مريحا في المشهد القادم لحلفائها الأكراد، قد يكون حكما ذاتيا موسعا.

وأشار المراقبون إلى أن الزيارة سترفع الحرج عن الرئيس السوري بشار الأسد حتى لا يبدو أن الأكراد محميين من الخارج، خاصة إذا سمح لهم الاتفاق السياسي، الذي تحدد معالمه روسيا، بامتيازات خاصة مثل الحكم الذاتي الموسع، لافتين إلى أن واشنطن، التي تنسق بشكل تام مع روسيا في الملف السوري، تكون بهذه المغامرة الكردية قد تجنبت أي ورطة غير محسوبة عسكريا أو سياسيا في الملف السوري.

وستبقى تركيا هي الجهة الوحيدة المتورطة في الملف سواء من خلال السيطرة على مواقع سورية حدودية تحت عنوان منطقة عازلة لحماية أمنها، أو من خلال الضغط الذي تسلطه رعايتها للمعارضة، وخاصة الإسلامية المتشددة، والتي تروّج أن تركيا ضامنة لحل سياسي لوضعها، وأن خيار الغوطة ودرعا والقنيطرة لا يمكن تطبيقه في إدلب.

وجاءت زيارة وفد مجلس سوريا الديمقراطية التي بدأت، الخميس، إلى دمشق بدعوة من الحكومة السورية، وفق بيان صدر، السبت، عن المجلس.

وأعلن المجلس في بيانه أن هدف اللقاء هو "وضع الأسس التي تمهد لحوارات أوسع وأشمل لحل كافة المشكلات العالقة".

وأسفر اجتماع عُقد، الخميس، بحسب البيان، عن "اتخاذ قرارات بتشكيل لجان على مختلف المستويات لتطوير الحوار والمفاوضات وصولا إلى وضع نهاية للعنف والحرب التي أنهكت الشعب والمجتمع السوري من جهة، ورسم خارطة طريق تقود إلى سوريا ديمقراطية لا مركزية".

ولم يوضح البيان عدد اللجان أو موعد تشكيلها أو مضمونها، كما لم يحدد مواعيد أي محادثات مقبلة.

وضم وفد مجلس سوريا الديمقراطية قيادات سياسية وعسكرية برئاسة إلهام أحمد رئيسة الهيئة التنفيذية في مجلس سوريا الديمقراطية.

وأوضح سيهانوك ديبو، مستشار الرئاسة المشتركة لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردي أبرز مكونات مجلس سوريا الديمقراطية، أنه "من المبكر جدا الحديث عن اتفاق لكننا نناضل من أجل التوصل إليه، والانطلاقة بدأت على أن تكون سوريا لا مركزية لكن التفاصيل ستدرسها اللجان" وهي في طور التشكيل، مشيرا إلى أن "عملية التفاوض ستكون طويلة وشاقة، لأن السلطة في دمشق وبنيتها مركبة على أساس تشديد المركزية".

وطوال سنوات النزاع بقيت المواجهات العسكرية على الأرض بين قوات النظام والمقاتلين الأكراد نادرة.

وتصر دمشق على استرداد كافة مناطق البلاد بما فيها مناطق الأكراد، إلا أن وزير الخارجية وليد المعلم أعرب العام الماضي عن استعداد دمشق للحوار مع الأكراد حول إقامة "إدارة ذاتية".

المصير الثقافي للأمة

الأمير الحسن بن طلال

» ص4

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

إحالة أوراق قيادات إخوانية للمفتي في قضية فض اعتصام رابعة في مصر

التمهيد لإعدام المتهمين مع إمكانية الطعن في الحكم

قضت محكمة مصرية، السبت، بالإعدام على 75 متهما في قضية أحداث فض اعتصام رابعة، وقررت محكمة جنايات القاهرة إحالة أوراق المتهمين إلى مفتي الجمهورية، في إجراء شكلي يتبعه القضاء المصري مع المحكوم عليهم بالإعدام، على أن يتم النطق بالحكم في جلسة 8 سبتمبر المقبل.

❑ **القاهرة** – أحالت محكمة جنايات القاهرة السبت، أوراق 75 متهما إلى المفتي تمهيدا للحكم بإعدامهم في قضية فض اعتصام لقيادات وأعضاء في جماعة الإخوان المسلمين ومؤيدين للجماعة بمحيط مسجد رابعة العدوية في شمال شرق القاهرة في عام 2013.

وقررت المحكمة النطق بالحكم في الثامن من سبتمبر المقبل. وقالت مصادر قضائية لرويترز إن قرار الإحالة صدر حضوريا على 44 متهما وغيابيا على الباقين وعددهم 31 متهما.

وتعود القضية إلى عام 2013، عندما اعتصم الآلاف من أنصار تنظيم الإخوان في ميدان رابعة في منطقة مدينة نصر بالقاهرة، في أعقاب عزل الرئيس الأسبق محمد مرسي.

ودفعت حالة عدم الاستقرار وارتفاع أعداد القتلى بين المتظاهرين، الجيش إلى تحذير مرسي في الأول من يوليو عام 2013 من أنه سيتدخل لفرض خارطة طريق إذا لم يستجب للمطالب الشعبية خلال 48 ساعة وينهي الأزمة السياسية.

وحوكم في القضية 739 متهما بينهم المرشد العام لجماعة الإخوان محمد بديع.

ومن بين من أحيلت أوراقهم حضوريا للمفتي القيادي البارز في جماعة الإخوان عصام العريان والوزير في حكومة مرسي أسامة ياسين وعبدالرحمن البر مفتي الجماعة والداعية المؤيد للجماعة صفوت حجازي.

ورأي المفتي استشاري ونادرا ما تأخذ به أي من محاكم الجنايات إذا خالف تقديرها للعقوبة. ويعني القرار الذي صدر السبت أن أيا من المتهمين الآخرين لن يعاقب بالإعدام بل بالسجن إذا أدين.

> يحق لمن سيصدر عليهم حكم بالإعدام أو الحبس في جلسة الثامن من سبتمبر الطعن على الحكم أمام محكمة النقض، أعلى محكمة مدنية مصرية، وللمحكمة أن تؤيد الحكم أو تعدله وإذا ألغته تعيد المحاكمة أمامها

القضاء هو الفاصل

ومن بين المتهمين البارزين في القضية المصور محمود أبوزيد ولقبه شوكان الذي منحته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو) في أبريل جائزتها لحرية الصحافة لسنة 2018، قائلة إنه كان يؤدي عمله خلال إلقاء القبض عليه يوم فض الاعتصام.

وبحسب القرار الذي صدر سيعاقب شوكان بالحبس إذا أدين. ويحق لمن سيصدر عليهم حكم بالإعدام أو الحبس في جلسة الثامن من سبتمبر الطعن على الحكم أمام محكمة النقض، أعلى محكمة مدنية مصرية، وللمحكمة أن تؤيد الحكم أو تعدّله وإذا ألغته تعيد المحاكمة أمامها.

وكانت قوات الأمن قد فضت اعتصاما آخر لجماعة الإخوان المسلمين ومؤيديهم في محيط تمثال نهضة مصر بمدينة الجيزة المجاورة في نفس يوم فض اعتصام رابعة وقتل خلاله العشرات من المعتصمين. وكان المشاركون في الاعتصامين يطالبون بإعادة مرسي إلى المنصب الذي عزله الجيش منه في الثالث من يوليو.

ودافعت الحكومة عن فض الاعتصامين قائلة إن قوات الأمن أتاحت فرصة للمعتصمين للانصراف في سلام وإن مسلحين من أعضاء جماعة الإخوان بادروا بإطلاق النار على القوات المتقدمة لحمل المعتصمين على العودة إلى بيوتهم، فيما نفت الجماعة أن يكون أيا من المعتصمين حمل سلاحا.

وحكمت جماعة الإخوان مصر بعد انتخابات أعقبت تخلي الرئيس السابق حسني مبارك عن منصبه في فبراير 2011 نزولا عند مطالب المحتجين المشاركين في مظاهرات حاشدة على حكمه ضمن ثورات ما سمّي بالربيع العربي.

وبعد عزل مرسي حظرت السلطات جماعة الإخوان وقدمت أغلب قادتها ومن بينهم مرسي والآلاف من أعضائها ومؤيديها إلى المحاكمة.

وإلى الآن صدرت ثلاثة أحكام نهائية وباتة بالسجن المؤبد ضد بديع الذي يبلغ من العمر 74 عاما. كما صدرت ضده أحكام أخرى تتراوح بين السجن والإعدام طعن عليها بالنقض أو ألغيت وتعاد المحاكمات في القضايا الخاصة بها. والسجن المؤبد هو 25 عاما في مصر.

وتعرضت فترة حكم الإخوان في مصر بعد ثورة يناير إلى انتقادات حادة، ويقول مراقبون إن سوء إدارة الجماعة للواقع الاقتصادي والاجتماعي أثار استياء وغضب الطيف السياسي المعارض كما الطيف الشعبي، أمام مخاوف من تقويض الجماعة ذات التوجه الأيديولوجي المتطرف للديمقراطية، إذ أن أحد أهداف الجماعة المعلنة يتمثل في إقامة دولة تحكمها الشريعة الإسلامية، ويتمثل ذلك أيضا في شعارها الشهير "الإسلام هو الحل."

وكشفت دار الإفتاء المصرية في تقرير سابق كيف تقدم الجماعة العمل التنظيمي على العمل الدعوي، حيث يرى الإخوان أن العمل الدعوي يُعد الخطوة الأولى نحو الجهاد العسكري، وبالتالي يستخدم كوسيلة للتجنيد واستقطاب أفراد جدد ينضمون تحت لواء الجماعة.

كما تتهم المعارضة الجماعة بالصدام مع كافة التيارات المخالفة لها سواء أكانت إسلامية أم ليبرالية، وغياب أي وسيلة للحوار في ما بينها. وتشير دار الإفتاء إلى أن ما حدث في عامهم (الإخوان) الأول للحكم في مصر خير دليل على هذا الصدام، وهذا الصدام مع المجتمع ناتج عن تعصب شديد لأفكارهم وانحيازهم لها.

ويشير مراقبون إلى أن رغبة الجماعة في الانتقام من النظام دفعتها إلى الانصهار مع التنظيمات المتطرفة. وقال مرصد الإفتاء في ذكرى تأسيس حركة الإخوان التسعين في أبريل 2018، إن "القاعدة وداعش يتصارعان على بقاياها."

وأوضح أن الحالة التي تعيشها الجماعة وانقسامها الشديد وتفتتها إلى جماعات وتيارات، جعلتها غنيمة سائغة لتنظيمي القاعدة وداعش، لافتا إلى سعي كل منهما للفوز بالنصيب الأكبر من عناصر الإخوان، خاصة من فئات الشباب.

وكانت مصر قد صنّفت الإخوان جماعة إرهابية في أواخر عام 2013، بعد تورطهم في عدد من الهجمات الدامية على قوات الأمن في أعقاب عزل مرسي.

الحياة تعود في العريش بعد التحسن الأمني

❑ **العريش (مصر)** – عادت الحياة لتدبّ تدريجيا في العريش، عاصمة شمال سيناء أين يخوض الجيش المصري منذ فترة حربا على التكفيريين بعد الاعتداءات الدامية التي استهدفت المنطقة، إذ استأنفت وسائل المواصلات العامة عملها وعاد الطلاب إلى جامعاتهم.

وفي أول رحلة ينظمها الجيش لوسائل إعلام غير مصرية إلى العريش منذ بدء "العملية الشاملة" بشمال سيناء في التاسع من فبراير الماضي، تمكنت مجموعة من الصحافيين من التجول بعدة نقاط في المدينة التي لا يزال العديد من شوارعها وميادينها تشبه ساحة حرب حيث تنتشر الحواجز الرملية والإسمنتية والكتل الحجرية لمنع المرور.

ولا تزال العملية العسكرية مستمرة في شبه جزيرة سيناء وتستهدف القضاء على الإسلاميين المتطرفين المسلحين أو التكفيريين.

ويؤكد أهالي العريش أن تحسّنا واضحا طرأ على حياتهم اليومية منذ أكثر من شهر، بعدما تأثرت إلى حد بعيد بالتطورات الأمنية، فأقفلت المدارس والجامعات ومنع المرور بالعديد من الشوارع وتراجعت حركة المواصلات بسبب القيود التي فرضت على شراء الوقود.

وتقول الطالبة في السنة الرابعة بكلية التربية آلاء عبدالعاطي (21 عاما) بحماس وقد ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتيها، "عدنا للدراسة في 21 يونيو بعد أن أغلقت الجامعة منذ التاسع من فبراير"، مضيفة أن "استئناف الدراسة في جامعة العريش أعاد الحياة للمدينة".

ويقول قائد رفيع في الجيش المصري للصحافيين "الحياة بدأت تعود إلى أوضاع شبه طبيعية في العريش" التي يقطنها قرابة 225 ألف شخص، بعد التحسن في الوضع الأمني.

ويشرح ضباط في العريش لفرانس برس أنه تم تخفيف الإجراءات الصارمة التي فرضت قيودا على الحركة في المدينة مع بدء العملية الشاملة.

وأوضح محافظ شمال سيناء اللواء عبدالفتاح حرحور أن القيود المفروضة على الوقود تهدف إلى "تقليل تحركات التكفيريين" الذين يستخدمون سيارات الدفع الرباعي والدراجات البخارية في تنقلاتهم. وأكد أن تخفيف القيود الأمنية ترافق مع خطة لتنمية شمال سيناء تنفذها السلطات وتهدف إلى تحسين الخدمات في مجالات الصحة والإسكان والتعليم وتطوير قطاعي الصناعة والحرف اليدوية.

حزب الاستقلال المغربي مستعد للاعتذار عن أحداث الريف بعد 60 عاما

❑ **وجدة (المغرب)** – فتح حزب الاستقلال المغربي (معارض)، من جديد ملف الأحداث الدموية التي شهدتها منطقة الريف، شمالي البلاد، قبل ستين عاما.

وشكلت الزيارة التي قادت الأمين العام للحزب نزار بركة في يونيو الماضي إلى مدينة الحسيمة خطوة أعقبها الكثير من النقاش العام. وجاء النقاش عقب إعلان بركة عن استعداد حزبه للمكاشفة والنقد الذاتي والاعتذار لسكان المنطقة، إذا ثبت أن أعضاء من الحزب "تورطوا في الأحداث المؤلمة" التي عرفتها المنطقة وسقط خلالها قتلى وجرحى.

وشهدت منطقة الريف بين سنتي 1958 و1959 أحداث عنف دامية تضاربت الروايات والأرقام حول عدد ضحاياها. وتضاربت التقديرات بخصوص عدد ضحايا أحداث الريف خلال سنتي 1985 و1986، إذ يشير بعض الباحثين إلى أنها تقدر بالمئات.

وفي إحدى رسائل عبدالكريم الخطابي، زعيم المقاومة المغربية ضد المستعمر الفرنسي، قال فيها إن "الأحداث عرفت توقيف 8420 منهم 110 امرأة، 5431 منهم تم إطلاق سراحهم في ما بعد (من بينهم 92 امرأة)، و2664 لم يطلق سراحهم أو صدرت بحقهم أحكام، في الوقت الذي فر 542 إلى كل من إسبانيا وإيطاليا وألمانيا والجزائر".

وانطلقت الأحداث عقب احتجاجات شعبية قادها عدد من أبناء المنطقة ضد السلطات المركزية في الرباط. وحمّل البعض المسؤولية عن أعمال العنف التي تعرض لها سكان المنطقة لحزب الاستقلال الذي كان يدبر شؤون البلاد آنذاك.

وظلت المصالحة الحزبية بين المنطقة وحزب الاستقلال معلّقة بسبب الشكوك في توطر الحزب في هذه الأحداث، فالعديد من المؤلفات والشهادات التي سجلها أبناء المنطقة ممن عاشوا أحداث الخمسينات تشير إلى حزب الاستقلال باعتباره المسؤول الأول، وهو ما جعله دائما في موقف حرج.

لكن يحاول حزب الاستقلال طي صفحة الماضي وتحقيق مصالحة مع سكان المنطقة، حيث لم يتوقف الحزب عند حدود تصريحات أمينه العام، بل باشر على أرض الواقع بالتنقيب في صفحات تلك الأحداث بواسطة لجنة شكلها وأسند مهمة رئاستها لشيبة ماء العينين الذي يشغل رئيس المجلس الوطني للحزب (برلمان الحزب).

وقال نورالدين مضيان، رئيس الكتلة النيابية لحزب الاستقلال بمجلس النواب (البرلمان) لوكالة أنباء الأناضول، إن اللجنة التقت بالمجلس الوطني لحقوق الإنسان (حكومي). وأضاف أن اللجنة تعمل أيضا على جمع مجموعة من الشهادات الحية لشخصيات عاصرت تلك الفترة من الزمن، على رأسها محمد بن سعيد أيت يدر (زعيم سياسي مغربي)، أحد المقاومين المغاربة المعروفين والرجل الذي خبر المرحلة المذكورة وخبر العمل السياسي لعقود.

وأوضح مضيان أن "اللجنة ستعتمد على الوثائق المتاحة التي يمكن أن تصل إليها، لإجلاء الحقيقة في هذا الملف الذي عمّر طويلا".

الأحزاب المغربية عاجزة عن نزع فتيل الاحتقان الشعبي

وأشار الحزب إلى أنه يسعى من خلال هذه اللجنة إلى "تسليط الضوء على علاقة الحزب بما جرى، وإزاحة الكثير من الغموض والمغالطات المحيطة بهذا الموضوع ومحاولة استجلاء الحقيقة من أجل طي هذه الصفحة التي لن تتكرر، والسير نحو مصالحة حقيقية."

وخلال النقاش، الذي أعقب الخطوة التي أعلن عنها الحزب، تناسلت العديد من الأسئلة وسط المتابعين للشأن السياسي في المغرب. وفي مقدمة الأسئلة هل خطوة الحزب غرضها فعلا كشف الحقيقة ومن ثم خلق مصالحة حقيقية بين السكان والحزب، أم هي محاولة للاستفادة من الاحتقان الذي تعرفه المنطقة منذ سنتين؟

وأصدرت محكمة الاستئناف بمدينة الدار البيضاء في 26 يونيو الماضي أحكاما بسجن عدد من قادة ونشطاء الاحتجاجات بالريف، تراوحت بين عام واحد و20 عاما. وشهدت مدينة الحسيمة منذ أكتوبر 2016 على مدى 10 أشهر على غرار عدد من مدن وقرى منطقة الريف (شمال) احتجاجات للمطالبة بـ"تنمية المنطقة وإنهاء تهميشها."

وقال عثمان زياني، أستاذ العلوم السياسية والقانون الدستوري، بجامعة محمد الأول شمال شرقي البلاد، إن "إعلان الحزب عن فتح تحقيق في الأحداث يعتبر جرأة سياسية في حد ذاتها". وأضاف الباحث المغربي أن "هذه الخطوة لن تكتمل، إلا من خلال استجلاء عناصر الحقيقة، وتحديد المسؤوليات بشكل دقيق، خصوصا بين السلطات والحزب."

وأكد أهمية التعويض المادي والمعنوي وإحداث مصالحة حقيقية مع الريف يتم ربطها حتما بما يعيشه حاليا من أحداث واعتقالات بفعل الاحتجاجات الأخيرة. واعتبر أن الاحتجاجات الأخيرة تعيد إلى الأذهان أحداث 1958 و1959 وتوقظ الجرح من جديد، محذرا من الانزياح عن أهداف ما تم الإعلان عنه.

> إعلان حزب الاستقلال عن فتح تحقيق في أحداث الريف خطوة جريئة لكن لن تكتمل إلا من خلال استجلاء عناصر الحقيقة وتحديد المسؤوليات بشكل دقيق

وتابع "إذا تحول الأمر إلى مجرد مناورة سياسية، عند ذاك سنعود إلى أدراج التخبّط وتزييف الحقائق".

وفي الوقت الذي اعتبر فيه زياني أن الكشف عن الحقيقة في هذا الملف "غير ممكن"، لأنها تدين أطرافا أخرى (لم يحددها)، اعتبر القيادي بحزب الاستقلال نورالدين مضيان، أن الحزب يود كشف كل الأسرار المحيطة بهذا الملف.

وفي رده على أسئلة الصحافيين حول إدانة قادة حراك الريف بأحكام بالحبس وصفت بـ"القاسية"، شدد مصطفى الخلفي، الناطق باسم الحكومة على أن "السلطة القضائية مستقلة ولا يمكن التدخل في أحكام القضاء الذي له معرفة بحيثيات الملف".

وفي أكتوبر الماضي أعفى العاهل المغربي الملك محمد السادس 4 وزراء من مناصبهم بسبب تقصير في تنفيذ برنامج إنمائي وإخفاقهم في تحسين الوضع الاقتصادي بمنطقة الريف.

ولحزب الاستقلال 46 مقعدا في البرلمان المغربي من إجمالي 395، تجعله ثالث أكبر قوة في البرلمان.

جزر القمر تطمح لاستقرار يفشل محاولات النفوذ الإيرانية

التوتر الشديد يخيم على أجواء تنظيم الاستفتاء

تسعى جزر القمر إلى تحقيق الاستقرار من خلال الدعوة إلى استفتاء دستوري. ويعد الوضع الاقتصادي الصعب والتوتر الذي تعيشه البلد فرصة لإيران لفرض وجود دبلوماسي وتجاري لها. ووجد البلد، الذي يعد أحد أفقر بلدان أفريقيا جنوب الصحراء دعما من بلدان عربية غنية خاصة السعودية لمساعدته على التصدي لمحاولات إيران فرض نفوذها.

❑ **موروني** – دعي الناخبون في جزر القمر إلى التصويت، الاثنين، في استفتاء على إصلاح دستوري مثير للجدل يسمح للرئيس غزالي عثمان بتمديد حكمه في أجواء من التوتر السياسي الشديد. وتلعب جزر القمر العضو في جامعة الدول العربية دورا إقليميا هاما في منع فرض إيران نفوذها في القارة الأفريقية إذ تسعى طهران إلى إيجاد حضور دبلوماسي وتجاري لها في هذا البلد الصغير والفقير. ودفع هذا الأمر دولا عربية غنية خاصة السعودية إلى تقديم الدعم اللازم لجزر القمر لمساعدتها على الوقوف في وجه المحاولات الإيرانية.

ويبلغ عدد سكان جزر القمر 800 ألف نسمة، وأبدت دول خليجية وعلى رأسها السعودية استعدادها لدعم مواطني جزر القمر في سعيهم لأن تكون لديهم دولة صاعدة بحلول 2030.

وفي بداية الشهر الحالي، التقى وزير الداخلية السعودي الأمير عبدالعزيز بن سعود بن نايف بالرئيس غزالي عثماني في موروني عاصمة جزر القمر، حيث تم خلال الاجتماع توقيع اتفاقيات بين البلدين بقيمة 22 مليون دولار. وبمقتضى هذه الاتفاقيات تمول السعودية البنية التحتية للمياه والطرق في الجزيرة الفقيرة الواقعة في المحيط الهندي.

وقطعت جزر القمر العلاقات مع إيران في عام 2016 ومع قطر في يونيو 2017. كما تساند قوات التحالف العربي الداعمة للشرعية في اليمن.

وفي يناير الماضي، ألغت جزر القمر أكثر من 100 جواز سفر لإيرانيين من بين 155

> البند الرئيسي في مشروع غزالي يقضي بتعديل نظام الرئاسة الدورية لإحلال الاستقرار في البلد الذي هزته سلسلة من الأزمات الانفصالية والانقلابية

استفتاء غزالي فرصة البلد لتحقيق النمو

أجنبيا ألغيت جوازات سفرهم الصادرة من جزر القمر خلال السنوات القليلة الماضية. وقالت الحكومة إن هذه الجوازات صدرت بشكل غير مناسب.

وكان من بين هؤلاء عدد من كبار المديرين التنفيذيين في الشركات التي تعمل في مجالات الملاحة والنفط والغاز والعملات الأجنبية والمعادن النفيسة، وهي المجالات التي تستهدفها جميعا العقوبات الدولية المفروضة على إيران.

وتتيح جوازات السفر الصادرة من جزر القمر إمكانية السفر دون تأشيرة إلى مناطق في الشرق الأوسط والشرق الأقصى ويمكن أن يستخدمها إيرانيون لفتح حسابات في بنوك أجنبية وتسجيل شركات في الخارج.

وكان رئيس الدولة، الذي انتخب في 2016، أثار مفاجأة عندما أعلن قبل ثلاثة أشهر في الأرخبيل الصغير الواقع في المحيط الهندي عن عملية تنظيم للسلطات العامة.

والبند الرئيسي في مشروعه يقضي بتعديل نظام الرئاسة الدورية الذي أقر في 2001 لإحلال البعض من الاستقرار في هذا البلد الذي هزته سلسلة من الأزمات الانفصالية والانقلابية. ويقضي النظام المطبق حاليا بأن تمنح واحدة من الجزر الثلاث في الأرخبيل (القمر الكبرى وموهيلي وأنجوان) كل خمس سنوات إمكانية انتخاب رئيس للبلاد لولاية جديدة.

وإلى جانب هذه المادة المثيرة للجدل، ينص المشروع، الذي يدافع عنه غزالي عثمان، على إلغاء مناصب نواب الرئيس الثلاثة وإلغاء المحكمة الدستورية وتبني الإسلام "دينا للدولة".

وطوال الحملة قدم رئيس جزر القمر الإصلاح على أنه "ثورة" يفترض أن تسمح "بإزالة العقبات من طريق تنمية البلد" الذي يعد واحدا من الأفقر في أفريقيا جنوب الصحراء. لكن مبادرته أثارت غضب خصومه الذين رأوا فيها ميلا من حكومته إلى الاستبداد.

وحاول غزالي عثمان تهدئة المعارضين مؤكدا أنه في حال فاز مؤيدو الإصلاحات في الاستفتاء، فإنه سيجري تصويتا على ولايته عبر انتخابات مبكرة تنظم اعتبارا من 2019. وإصلاح الدستور سيسمح له نظريا بالبقاء في السلطة حتى 2029.

والعقيد غزالي (59 عاما) الذي ينحدر من القمر الكبرى شغل منصب الرئاسة من قبل من 1999 إلى 2006 على إثر انقلاب قبل أن يستعيد السلطة بطريقة ديمقراطية. وشهد انتخابه قبل سنتين أعمال عنف واتهامات بالتزوير. ومن بين "تجاوزاته للسلطة" التي تتهمه بها المعارضة منذ عودته إلى السلطة في 2016، تذكر المعارضة تعليق المحكمة الدستورية التي وصفها الناطق باسمه بأنها "غامضة ولا تتمتع بالأهلية"، في أبريل الماضي. وفي الشهر التالي أمر بفرض الإقامة الجبرية على سلفه عبدالله سامبي زعيم حزب جوا الذي اتهم بالإخلال بالنظام العام وبالتورط في تهريب جوازات سفر.

وساهم قمع العديد من تظاهرات المعارضة وتوقيف أنصارها في تأجيج التوتر في الأرخبيل. وآخر هذه التشنجات السياسية نجاة نائب الرئيس عبدو موستودران من اعتداء الأسبوع الماضي عندما كان متوجها إلى قريته في جزيرة أنجوان.

ولم تتبن أي جهة الاعتداء لكن كثيرين أشاروا إلى أن موستودران يدافع عن الاستفتاء الرئاسي.

السلطة الفلسطينية تتمسك بموقفها من المصالحة مع حماس

❑ **رام الله** – أعلن الرئيس الفلسطيني محمود عباس، السبت، أن وفدا سيتوجه، الأحد، إلى القاهرة لنقل الموقف الفلسطيني حول الأفكار المصرية للمصالحة.

وخلال كلمة له، في مستهل اجتماع اللجنة التنفيذية برام الله، قال عباس "نحن ثابتون على الموقف الذي اتخذناه بشأن المصالحة في 12 أكتوبر 2017".

وكانت حركتا فتح وحماس قد وقعتا، في 12 أكتوبر 2017، اتفاقا في القاهرة للمصالحة يقضي بتمكين الحكومة من إدارة شؤون غزة كما الضفة الغربية لكن تطبيقه تعثر وسط خلافات بين الحركتين بخصوص البعض من الملفات.

ومطلع الأسبوع الماضي، زار القاهرة وفد من حركة فتح ترأسه عزام الأحمد مسؤول ملف المصالحة ،لإطلاع الجانب المصري على مقترحات السلطة الفلسطينية بشأن هذا الملف والتي تركزت أول خطوة في هذه المقترحات على تمكين حكومة الوفاق الحالية من إدارة قطاع غزة.

واتفقت حركتا فتح وحماس في وقت سابق على تسليم غزة للسلطة الفلسطينية، لكن حماس رفضت في ما بعد الالتزام بالاتفاق.

وحاليا يكمن الخلاف الرئيسي بين الفصائل الفلسطينية حول البدء بتمكين الحكومة في القطاع أولا أو تشكيل حكومة وحدة وطنية جديدة تتشارك فيها الفصائل وتكون مسؤولة عن إدارة غزة، على غرار الضفة الغربية.

وقالت مصادر داخل حركة فتح، في وقت سابق لـ"العرب، إن السلطة الفلسطينية لن تقبل بتشكيل حكومة وطنية قبل أن تسلم حماس كل شيء لحكومة رامي الحمد الله، وبعدها يتم الحديث عن دخول الفصائل الفلسطينية، ومنها حماس في الحكومة الجديدة.

ويمثل الخلاف الحالي بين فتح وحماس حلقة جديدة من سلسلة سياق قديم اتبعته الحركتان ويتجسد في وضع كل طرف العقدة أمام الآخر لإجباره على تقديم تنازلات. وتتمسك الحركتان على أن يبدأ الطرف الثاني في التراجع.

وفي سياق آخر، عبر عباس عن رفضه "قانون القومية" الذي أقره الكنيست الإسرائيلي في 19 يوليو الجاري. وأضاف بهذا الخصوص "القانون الذي يلغي كل ما هو غير يهودي لن نقبل به".

كما تحدث عباس عن دور للسلطة الفلسطينية في إعادة إعمار مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين في سوريا. وتابع أن السلطة ستشارك في إعمار المخيم إلى جانب وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين الأونروا وغيرها.

عزل مسؤولين من مفوضية الانتخابات العراقية لثبات الفساد عليهم

❑ **بغداد** – أحال القضاء العراقي السبت، خمسة من مسؤولي مفوضية الانتخابات المقالة إلى المحاكم بعد توصيات وزارية أثبتت وقوع مخالفات وفساد مالي في الانتخابات البرلمانية، التي جرت في 12 مايو وشابتها شبهات بالتزوير.

وكان مجلس القضاء الأعلى قرر في أوائل يونيو تعيين قضاة للإشراف على عمليات العد والفرز اليدويين بدل أعضاء مجلس المفوضين الذين أوقفوا عن العمل.

وبعد تلقي التوصيات الحكومية في تقرير مفصل جاء في 28 صفحة، قرر مجلس القضاة المنتدبين عزل وإحالة خمسة من مدراء المكاتب إلى القضاء "بتهمة التزوير".

وأعلن المتحدث الرسمي باسم مجلس القضاة المنتدبين القاضي ليث جبر حمزة في بيان أن المجلس قرر تنفيذ توصيات اللجنة الوزارية "المتضمنة اتخاذ الإجراءات القانونية بخصوص عزل مدراء مكاتب صلاح الدين والأنبار وكركوك، إضافة إلى مديري مكتبي الأردن وتركيا وإحالتهم إلى القضاء".

ولفت جبر إلى أن "مجلس المفوضين اتخذ قراره بعد أن أوصت لجنة التحقيق بذلك بسبب ارتكابهم مخالفات وتلاعب وفساد مالي بعد مصادقة رئيس مجلس الوزراء على توصياتها وإحالة عدد منهم للقضاء".

وأشارت اللجنة في تقريرها إلى أنها "اطلعت على كتاب المفوضية العليا المستقلة للانتخابات بشأن شراء أصوات ناخبين منسوبة إلى المدعو سلمان علي سحاب وزير التجارة الحالي وشقيقه المدعو عصام، ومرفق التسجيل الصوتي بهذا الشأن".

كما اطلعت على "نسخة كتاب جهاز المخابرات العراقي المتضمن حدوث تجاوزات عديدة في المراكز والمحطات التابعة إلى مفوضية الأردن والبعض منها تم بعلم أو بإيعاز مباشر من قبل مدير المكتب محمد جاسم العيساوي".

وبحسب التوصيات، فقد تبيّن أن "المفوضية قد ألغت ما يقارب 22 محطة انتخابية من مجموع 48 في الأردن و16 محطة في تركيا مما يعني أن المفوضية لحق إلى عملها مدى التلاعب الذي تسبب به مدراء المفوضية في الأردن وتركيا".

وأوصت اللجنة "بتشريع قانون جديد يضمن تولي قضاة مهمة إدارة العملية الانتخابية". وكان مجلس المفوضية منذ تأسيس مفوضية الانتخابات يتولى ترشيح أعضائه عبر التوافقات السياسية بين الكتل البرلمانية.

وتنتهج الأحزاب المهيمنة على السلطة منذ سقوط نظام صدام حسين ترشيح شخصيات تنتمي لها لشغل مناصب في مفوضية الانتخابات وفقا للمحاصصة الطائفية. وأوصت اللجنة بإجراء "مساءلة انضباطية بحق رئيس وأعضاء مجلس المفوضية لثبوت وجود مخالفات إدارية وتقصير من خلال تلكئهم في متابعة الرقابة وضبط السلوكيات الوضيعة للبعض من مدراء مكاتبهم في الخارج وأقرانهم في الداخل".

وكانت المفوضية العليا المستقلة للانتخابات أعلنت في 24 يونيو الماضي إعادة فرز الأصوات في الانتخابات التشريعية التي تصدرت نتائجها قائمة "سائرون" بقيادة الزعيم الشيعي مقتدى الصدر. ومنذ ذلك الحين، تحالفت عدة قوائم مع بعضها لتشكيل أغلبية، لكن إعادة العد والفرز والاحتجاجات الشعبية أخرت المفاوضات.

وبعد انتهاء العد والفرز سيعقد مجلس النواب الجديد لانتخاب الرئاسات الثلاث.

وكان نائب رئيس الجمهورية إياد علاوي قد اعتبر في وقت سابق أن عمليات العد والفرز اليدويين في كركوك أظهرت وجود تزوير بنسبة 50 بالمئة، حيث وصف الانتخابات البرلمانية الأخيرة بـ"المهزلة".

كشف التزوير

> إحالة مدراء مكاتب صلاح الدين والأنبار وكركوك إضافة إلى مديري مكتبي الأردن وتركيا إلى القضاء، بسبب مخالفات وفساد مالي خلال الانتخابات البرلمانية

وقال علاوي في بيان أصدره مطلع الشهر الحالي، إن "نسبة التزوير التي أظهرتها عمليات العد والفرز اليدويين في البعض من المناطق أكدت بما لا يقبل الشك أن الانتخابات الأخيرة كانت مهزلة كبرى وجريمة بحق الشعب العراقي لا يمكن السكوت عنها".

ويعاني العراق من ظاهرة الفساد المستشري لدى الطبقة السياسية، وهو ما فاقم الأزمة الحادة التي تعيشها البلاد منذ سنوات.

وأجج هذا الوضع حالة الاحتقان الشعبي مما أسفر عن حركة احتجاج واسعة النطاق ضد الفساد المستشري في مؤسسات الدولة وتفشي البطالة بين الشبان ونقص الخدمات وسوء الإدارة.

ويقول سياسيون عراقيون إن حركة الاحتجاجات التي تشهدها البلاد ضد الفساد وسوء الخدمات تعصف بمستقبل المفاوضات السياسية المتعلقة بتشكيل الحكومة الجديدة. كما أكدوا تعثر التواصل بين مختلف الأطراف خلال الأيام القليلة الماضية. وتدخل الاحتجاجات في العراق أسبوعها الرابع على التوالي، حيث ارتفع سقف مطالبها التي كانت تقتصر على تقديم الخدمات للسكان لتصل إلى المناداة بإسقاط النظام السياسي في البلاد.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان

Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

المصير الثقافي للأمة

الأمير الحسن بن طلال
رئيس منتدى الفكر العربي

❑ هل اللغة، الوعاء الثقافي والفكري والحضاري، عامل مشترك في تقريب المكونات الديموغرافية الأساسية لمنطقة غرب آسيا وشمال أفريقيا، أم أنها عنصر تفرقة وانعزال بيئتها؟

يذكرني هذا السؤال بالاقتباس الشهير الذي ينسب إلى برنارد شو، "إن أميركا وبريطانيا دولتان يفصل بينهما حاجز اللغة".

وإذا تمعنّا في اللغة الحديثة المستخدمة في وسائل التواصل الاجتماعي نرى كثيرا من مفرداتها ومصطلحاتها قد تتحول إلى صورة للتعبير عن الإعجاب أو الاستنكار، الضحك أو البكاء، التحية أو الهجاء، والتي تذكرنا بالرسوم الهيروغليفية المنقوشة على حجر رشيد، والذي ساهم في فك طلاسم لغة الفراعنة القديمة.

تشير الإحصائيات إلى أن استخدام الرموز التكنولوجية الحديثة أصبح اليوم يفوق استخدام اللغات الصينية والإنكليزية والإسبانية، وأضيف هنا "استخدام اللغة بشكل عام". كما تشير الإحصائيات إلى أن تأثير التكنولوجيا امتد ليشمل العلاقات بين الأشخاص.

واللغة المتعارف عليها هذه الأيام هي لغة الحرف والصورة، والشكل البياني ولغة الأرقام، وكل واحد منها له استخداماته الأنسب حسب النصوص العلمية التي نلجأ إليها لنقل الفكر والأدب، والمواقف والتجارب ولكنها مهما تنوعت، فإن الأساس في اللغة هو التواصل الإنساني. وإذا بدأت اللغة في الانقراض وتعرضت للتآكل بسبب الهجوم عليها من حضارات منافسة أخرى، فسيبدو المحتوى الفكري وقد صاحبته لغة متراجعة ويبدأ في التآكل والتضاؤل محدثا شرخا عميقا في وجوده كله.

لقد بدأنا نلحظ أن الأعمدة الأربعة المكونة للأمة في الشرق الأدنى وهي الفرس والأتراك والأكراد والعرب باتوا يؤكدون على هويتهم الخاصة في التمسك بلغتهم الخاصة على حساب اللغة الجامعة لهم والتي جعلتهم من أكثر المساهمين في الحضارة الإنسانية والعلوم الحياتية والثقافية والفلسفية والفكرية، ألا وهي اللغة العربية.

ولم تكن الفارسية أو التركية أو الكردية لغات مضطهدة، ولا ممنوعة، ولكن أصحاب هذه اللغات كانوا على أتم الإدراك والوعي بأن اللغة العربية لغة القرآن القادرة على احتواء عدد غير محدود من المفردات التي جعلت قاموس اللغة أوسعها وأعمقها.

وفي حين كتب عمر الخيام وابن الرومي باللغة الفارسية، فإن ابن سينا والخوارزمي والحسن بن الهيثم والرازي والنيسابوري كتبوا علومهم باللغة العربية. وترى نفس التوجه عند استخدام الكردية أو التركية ولو دخلت إلى مكتبة توب كابي واطلعت على فهارس المجلدات التي تحتوي عليها لرأيت أن ثلاثة أرباع المخطوطات فيها قد كتبت باللغة العربية، لغة القرآن، والباقي قد صيغ باللغة التركية وأقل من ذلك بالفارسية.

وخلال قرون التميّز العلمي قدمنا للعالم إنتاجنا الفكري باللغة العربية والترجمات لكتب الإغريق والهندوس والبوذيين في العلوم والإنسانيات إلى اللغة العربية. ودعونا لا ننسى إسهامات اليهود العرب الثقافية الذين كان غالبيتهم يعتبرون أنفسهم جزءا لا يتجزأ من الثقافة العربية الإسلامية وساهموا في تأسيس مجالس اللغة العربية.

وفي العصر الحديث، انكب الكثير من القساوسة في لبنان والمشرق العربي على تعلم اللغة العربية والإبداع فيها، والترجمة من الحضارة الأوروبية بلغاتها المختلفة إلى العربية على أساس أنها رمز هويتهم كعرب، ووعاء حضارتهم الإسلامية الغالبة.

وعندما تعرضنا لهجمات الاستعمار، تعرضنا لغزو ثقافي أوروبي استهدف كل مكونات حضارتنا الجامعة ليحولنا إلى ثقافات فرعية متنازعة، وجماعات متناحرة تعتز بهويتها الفرعية وترى في جعل لغتها الخاصة لغة رسمية بهدف التمهيد للشرذمة في المستقبل، وليس بهدف تعزيز التنوع الذي ينبغي والتآلف والتفاعل بين المكونات، ذلك التنوع الذي يعزز ويقوي.

لذلك صار الاعتراف بلغات الهويات المختلفة جزءا من شرط البناء في الدولة الواحدة، والاستغراق في إبراز الهوية الفردية ولغتها سيؤدي مع الوقت إلى إسقاط اللغة الجامعة من قواميس هذه الهويات الفرعية، مما يجعل اللغة العربية حائطا فاصلا بينها، وليس عنصر وحدة وتجميع في ما بينها.

وقد رأينا إسرائيل تفعل ذلك حين وافق الكنيست في القراءة الأخيرة على قانون يهودية الدولة، جاعلا اللغة العربية "فضلة خير" لمن يريد استعمالها، ولكنها تلاشت كلغة رسمية، فلا يتحدث أحد معك إلا بالعبرية، ولا تُعرف الأماكن إلا بلغة المحتل للأرض، ولا تُعرف أسماء السلع والدواء إلا باللغة العبرية.

وهكذا نرى صورتين مختلفتين: واحدة داخل الوطن العربي تترك اللغة الأم ضحية اللغات الفرعية، وثانية تضيّق الخناق على الفلسطينيين العرب في إسرائيل حتى ينسوا لغتهم، وتتراجع مكانتهم، وتتوارى ثقافتهم لصالح الاندماج أو الانخراط في ثقافة غريبة عليهم.

هذه الصورة القاتمة على جانبي فلسطين، يجب أن تتوقف، وعلى كل مثقف عربي واجب النهوض للإبقاء على الهوية العربية الفلسطينية داخل أرض فلسطين التاريخية. وهذا يشمل ضرورة الرفض الكامل والتصدي للإشارة إلى اللاجئين الفلسطينيين في الوطن العربي والعالم بأنهم لاجئون دون الإشارة إلى هويتهم.

ويجب ألا نسمح لأي مصدر معلومات على الشبكة العنقودية الدولية بأن يطمس هوية الشعب الفلسطيني بالإشارة إليهم كسكان، أو تجمع، أو عدد مطلق دون توصيف. ومن الواضح أن هذه التطورات لا تحصل دون خطة معدة بالتفاصيل المملة.

> الاعتراف بلغات الهويات المختلفة صار جزءا من شرط البناء في الدولة الواحدة، والاستغراق في إبراز الهوية الفردية ولغتها سيؤدي مع الوقت إلى إسقاط اللغة الجامعة من قواميس هذه الهويات الفرعية، مما يجعل اللغة العربية حائطا فاصلا بينها وليس عنصر وحدة وتجميع في ما بينها

ومما يعزز هذا الاستنتاج هو المعلومات التفصيلية التي تراها لدى بنوك المعلومات الإسرائيلية سواء الاستخباراتي منها أو الوظيفي في الوزارات والدوائر الأخرى عن أعداد الفلسطينيين وتفاصيل أعمارهم وجنسهم وتحصيلهم العلمي، وميولهم الفكرية والدينية ومهاراتهم الشخصية وصلات النسب والقرابة التي تجمع بينهم.

وهم يستخدمون هذه المعلومات سعيا نحو تفكيك المجتمع الفلسطيني الذي يعتدون على شبابه وبناته وأطفاله، وعلى مؤسساته ومدارسه، وحقول زراعته وأراضيه بالقلع والتخريب أو الاستملاك والاستيطان، وإذا فككوا عراهم الثقافية، وتمكنوا من فصلهم عن هويتهم الفلسطينية العربية الإسلامية، فرّقوهم أشتاتا وفرقا متناحرة، وتمكنوا من اقتلاعهم وتهجيرهم بالوسائل المختلفة.

بالمقابل، فإننا نحن العرب أبناء الوطن العربي لم نطور معلوماتنا عن إسرائيل، ونكتفي معظم الأحيان بالمصادر الغربية عنهم. والأدهى أن معلوماتنا عن أهلنا وشعبنا ليست بالعميقة، فالمواطن مجرد رقم أو عنصر من مجموعة ونشير إلى معدل الوفيات والمواليد والنمو السكاني ودخل الفرد ومعدل البطالة ومعدل التضخم وأنواع الجريمة، دون أن نرد هذه الإحصاءات إلى بعدها الإنساني .

ولقد اطلعت مؤخرا على تقرير إحصائي يصدر في غانا بأفريقيا عن أربعين دولة أفريقية بعنوان "بارومتر أفريقيا". يقيس هذا البارومتر القيم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية السائدة مثل الديمقراطية والتسامح، والمواطنة، والفساد.

ويقدم تقارير تقييمية عن السياسة والاقتصاد مثل الديمقراطية وكرامة الاقتراع الانتخابي والثقة السياسية والفساد. ويقدم معلومات عن نوعية الحياة كالفقر المعيش والمشاركة المدنية والتصويت والحملات الانتخابية وعن التجمعات والاحتجاجات ويتناول أيضا الأبعاد الديموغرافية من حيث الدين والمهن والعرق، والإثنية.

وتأتي كل هذه الإحصاءات من قالب إنساني دقيق يسعى إلى تحسين نوعية الحياة، وتعزيز البناء المجتمعي وتجسير الفجوة بين المواطن والمسؤول، ويعزز مناخ الثقة في الإجراءات والسياسات العامة. وإننا بحاجة ماسة في الوطن العربي إلى تعزيز هذه الثقافة الجامعة التي تبحث عن المشتركات بطريقة تفاعلية خلاقة لا تنكر على أحد هويته ولكنها تخلق هوية مشتركة للجميع يتفيأون بظلالها متساوية في الحقوق والواجبات ومطمئنة إلى عدالة الحكم، وإلى أن ما يقدموه يكافأون عليه بما يستحقون دون تمييز أو محاباة.

> معلوماتنا عن أهلنا وشعبنا ليست بالعميقة، فالمواطن مجرد رقم أو عنصر من مجموعة، ونشير إلى معدل الوفيات والمواليد والنمو السكاني ودخل الفرد ومعدل البطالة ومعدل التضخم وأنواع الجريمة دون أن نرد هذه الإحصاءات إلى بعدها الإنساني

وعقد منتدى الفكر العربي مؤخرا في عمان مؤتمر الأعمدة الأربعة بحضور ممثلين عن العرب والأتراك والفرس والأكراد. وجاء ذلك كخطوة أولى تسعى نحو خلق المشتركات بين هذه الأعمدة وخلق وسيلة للتواصل والاتفاق على الهوية الجامعة واللغة الجامعة والتواصل الثقافي الموضوعي غير الاتهامي بينها والتأكيد على أنها جميعا مستهدفة.

إننا نسعى لخلق إطار شوروي يتسع للجميع، وسقف من الأمن والوعي المشترك حتى نتجنب ما يريده بنا من لا يحبون حضارتنا، ولا لغتنا، ويسعون إلى تفتيتنا إلى هويات فرعية ضعيفة مستضعفة تضيع حقنا في فلسطين. وتطمس هويتها الفلسطينية والعربية والإسلامية والإنسانية، لكي يستبدلوها بهوية فرعية عدوانية.

"فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا" صدق الله العظيم، واختم القول بأن أذكر بما تناقله العلماء "إن لله أقواما إذا أرادوا أراد".

حروب الديمقراطية تدمر سلاح التعليم عن قصد

سياسات تدميرية ممنهجة تفرز صفرا من تطلعات الشعوب

طارق القيزاني
صحافي تونسي

❑ احتفل العالم في شهر يوليو بمئوية الزعيم الراحل نيلسون مانديلا، لكنّ قليلين من يستحضرون أن ذكرى العام الحالي تتقاطع أيضا مع إحياء الذكرى السبعين من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وهي المناسبة ذاتها التي يتم فيها ترديد الحقوق الأساسية للإنسان وتذكير العالم بأولوياتها.

من بين الدعوات التي يحرص على إبرازها اليوم العالمي لنيلسون مانديلا، والذي خصصته الأمم المتحدة من كل عام لعرض نضالات الزعيم الجنوب أفريقي، هي دعوته إلى التضامن ومكافحة الفقر كأولوية قصوى من أجل الحرية والعدالة ولكن مع تشديده دائما على أن ذلك لا يتحقق من دون نشر التعليم.

في أي مرحلة من مراحل التحرر والبناء أو الانتقال الديمقراطي، يجري التذكير دائما بإحدى المقولات الشهيرة لمانديلا "التعليم يظل السلاح الأكثر قوة وفعالية أمام الشعوب التي تتطلع إلى التغيير".

لكن بعد سبعة عقود من الإعلان العالمي وأكثر من ستة عقود من نضالات مانديلا يقف الواقع اليوم على طرفي نقيض بين ما يتم التسويق له وما تخفيه أرقام الأمم المتحدة عن واقع التعليم اليوم ومصير الناشئة في غمرة الحروب والتحولات السياسية العنيفة التي تعصف بالمنطقة العربية وأفريقيا أساسا.

وخلف كل ذلك ثمة معادلة لا تخلو من تعقيد وربما تقف وراءها سياسات تدميرية ممنهجة، وهي أن الحروب التي تسير باسم الديمقراطية أفرزت في المحصلة "صفرا" من تطلعات الشعوب مع تدمير مركّز للبنيات التحتية وتفكيك للمجتمعات وهجرات جماعية وجيل ضائع من الناشئة.

ومن أجل فهم أعمق لحجم الكارثة والمغالطة من خلف حروب الديمقراطية، فإن أرقام منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف) تفيد بأن هناك ما يربو عن 13 مليون طفل حرموا من دخول المدارس في الشرق الأوسط بسبب الحروب والنزاعات وأن هناك ما يقارب التسعة آلاف مدرسة دمرت تحت القصف في تلك المنطقة.

وحتى تونس التي ينظر لها كملهمة لدول الربيع العربي، فإنه يحسب لها من جهة أنها تفادت حربا أهلية في بداية انتقالها السياسي، لكن من جهة أخرى فإن المحصلة ليست أفضل حالا في قطاع التعليم والمؤشرات الاقتصادية المتدنية.

ما تزال الطبقة السياسية تلقي باللوم في ذلك أساسا على نظام حكم هجين، ساهمت في إنتاجه، وتديره سلطة برأسين موزعة بين الرئاسة ورئاسة الحكومة، وهو نظام أوجد في الواقع طريقة حكم عقيمة بصلاحيات مشتتة بين مؤسسات الدولة ما عطل السير الطبيعي للإدارة في البلاد.

وما كان يفترض عبر الدستور الجديد أن يمهد لعملية تأسيس جديدة تقوم على تعميم مبادئ الجمهورية الثانية، فقد أعاق في الواقع الحكومات المتعاقبة منذ 2011 من أجل المضي قدما في الإصلاحات بسبب أزمة الصلاحيات وتنازع الاختصاص والتأخر الكبير في وضع محكمة دستورية تفصل في ذلك وتعثر جهود مكافحة الفساد والبيروقراطية.

الأرقام لا تبشر بمستقبل مزهر لقطاع كبير من الناشئة

والنتيجة أنه على عكس السياسات الأولى التي انتهجتها دولة الاستقلال في خمسينات القرن الماضي مع الزعيم الراحل الحبيب بورقيبة الذي عمم التعليم الإجباري والمجاني وخصّص ثلث موازنة الدولة لذلك من أجل صناعة رأسمال بشري يغطي الشح في الثروات الطبيعية، فإن هناك مخاطر عالية تواجهها مؤسسات الدولة اليوم بسبب ترهل التعليم وحالة الاستنزاف الكبيرة للأدمغة والكوادر.

والأرقام وحدها تخفي مستقبلا مظلما ليس للديمقراطية الناشئة فحسب ولكن أيضا لقطاع كبير من الناشئة، إذا ما تم الأخذ بعين الاعتبار أن هناك ما يربو عن 100 ألف منقطع عن الدراسة مبكرا سنويا في المدارس التونسية وأن هناك ما يفوق 90 ألفا من الكوادر التي هاجرت البلاد منذ 2011 بجانب النقص الحاد حاليا لأعداد المعلمين والأطباء في المدارس والمستشفيات العمومية.

ربما تمثل تونس مثالا أكثر اعتدالا وسط السيء، غير أن الدول الغنية نفسها ليست بمنأى عما يحصل في مناطق النزاعات والفقر، سواء بحكم التزاماتها الدولية للإنفاق أو تحت وطأة الضغوط التي تفرضها ظاهرة الهجرة. تريد الأمم المتحدة مثلا التزاما أكبر لضخ المزيد من المال بهدف إنقاذ 250 مليون طفل في العالم عاجزون عن القراءة والكتابة.

وحتى يتسنى سد الفجوات العالمية في حق التعليم في مراحله الأولى إلى حين دخول المدارس الثانوية، تطالب اليونسكو بتوفير ما لا يقل عن 8 مليار دولار سنويا، وهو رقم لا يمكن مقارنته بحجم الإنفاق العسكري الدولي الذي ناهز 1739 مليار دولار في عام 2017 بحسب معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام (سيبري).

ومع تلك المفارقة الكبرى، فإنه من العبث الحديث عن قوة دفع دولية لتعميم الديمقراطية بكلفة لا تقل عن تدمير الدول ونسف كل شيء، فالتحدي الأكثر تعقيدا بعد ذلك هو البناء من الصفر، وليس هناك من رابح أول في هذه الحلقة المفرغة سوى شركات إعادة الإعمار!

> بعد سبعة عقود من الإعلان العالمي وأكثر من ستة عقود من نضالات مانديلا يقف الواقع اليوم على طرفي نقيض بين ما يتم التسويق له وما تخفيه أرقام الأمم المتحدة عن واقع التعليم اليوم ومصير الناشئة في غمرة الحروب والتحولات السياسية العنيفة التي تعصف بالمنطقة العربية وأفريقيا أساسا

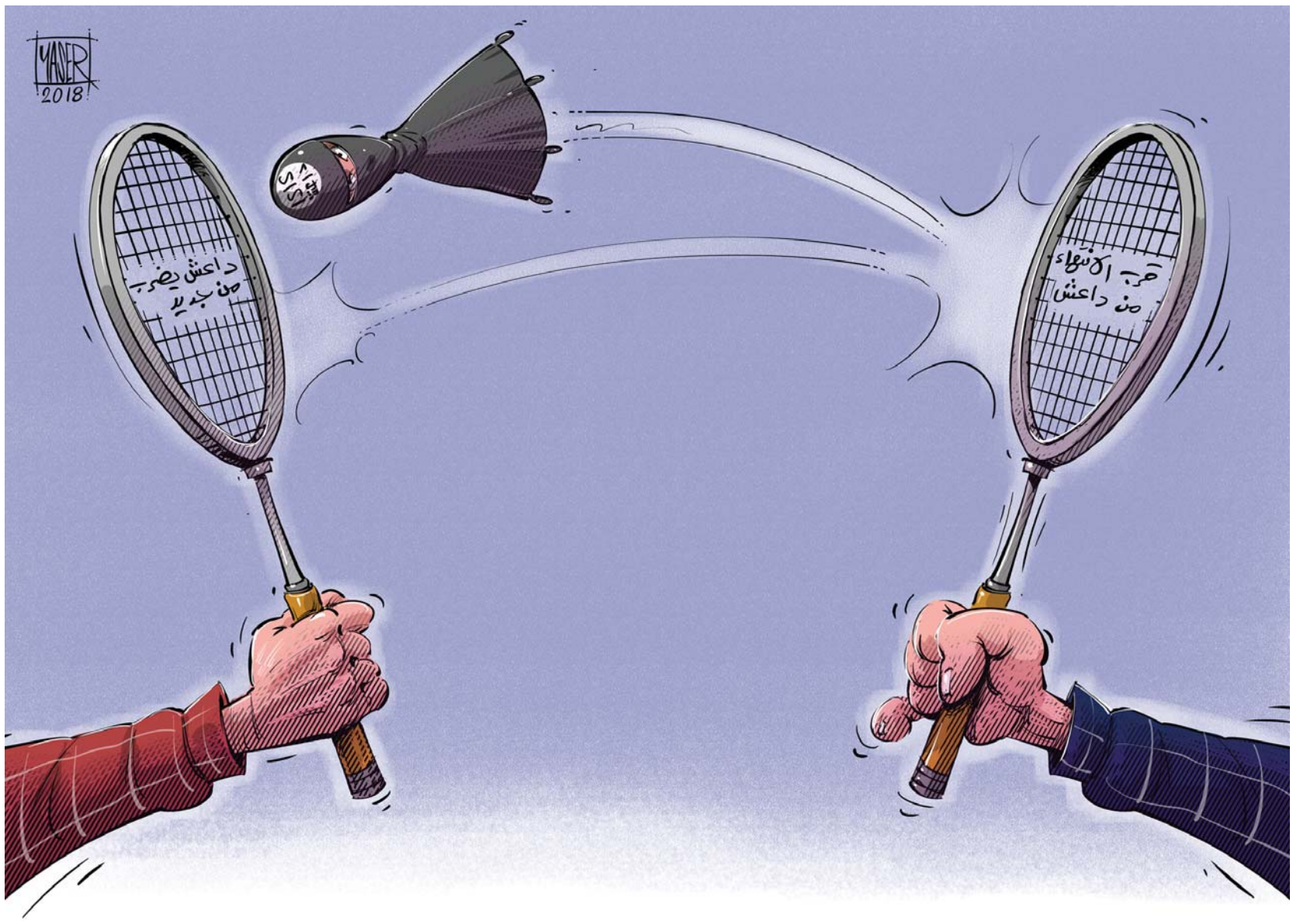

السعودية... على البحر الأحمر

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ تبدأ الحروب أحيانا بالكلام، كما يمكن أن تبدأ بسدّ المضائق البحرية والتعرض لحركة التجارة الدولية. يأتي كلام الجنرال قاسم سليماني قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني، ليؤكد أن إيران علىٰ استعداد للذهاب بعيدا في سياسة تحدّي الولايات المتحدة والاقتراب من شفير الحرب.

تفعل إيران ذلك، بواسطة الجنرال سليماني، من منطلق أنّها مقتنعة بأن إدارة دونالد ترامب ليست في وضع يسمح لها بدخول مواجهة عسكرية مع إيران. هل سليماني علىٰ حقّ أم لا؟ وحدها الأيام والأسابيع المقبلة يمكن أن تجيب عن هذا السؤال وما إذا كانت أميركا تناور وأن إيران قادرة علىٰ الاستفادة من مناوراتها.

> لا مفرّ من ولادة تفكير استراتيجي يقوم على فكرة أن من المهمّ حماية منظومة الأمن الإقليمي وسدّ ثغرة اسمها ميناء الحديدة. معنى ذلك أن منظومة الأمن الإقليمي تمتد من بحر العرب إلى قناة السويس وتشمل عدن والمخا والحديدة وموانئ أخرى على الضفة المقابلة في القرن الأفريقي مثل جيبوتي وعصب ومصوّع

ليس في القرار السعودي القاضي بوقف ناقلات النفط من عبور باب المندب سوى دليل علىٰ أن هناك من يعتبر أن إيران لم تعد تكتفي بالكلام في تعاطيها مع الولايات المتحدة.

علىٰ العكس من ذلك، قررت الانتقال إلىٰ خطوات يفهم منها أنّها علىٰ استعداد للردّ علىٰ العقوبات الأميركية الجديدة بخطوات محددة. يفهم من هذه الخطوات أن إيران قادرة بالفعل علىٰ تعطيل جزء من حركة الملاحة الدولية وأنّها تمتلك أوراقا تسمح لها بممارسة ضغوط علىٰ الآخرين، بما في ذلك دول الخليج.

ليس كلام قاسم سليماني سوى تتمة لما قاله في البداية الرئيس حسن روحاني عن أنه إذا لم تستطع إيران تصدير نفطها، ستمنع الآخرين من ذلك أيضا. كرّر روحاني كلاما قديما لا معنىٰ له عن أنّ إيران قادرة علىٰ إغلاق مضيق هرمز. بقي هذا الكلام كلاما، لا لشيء، سوى لأن إيران تدرك أن التهديدات والشعارات شيء، في حين ترجمة ذلك إلىٰ أفعال يظلّ شيئا آخر مرتبطا بموازين القوى في البرّ والبحر والجوّ.

تحدثت إيران عن إغلاق مضيق هرمز وعملت علىٰ إغلاق باب المندب وذلك عندما تعرّض الحوثيون، وهم أداة من أدواتها، لناقلتين سعوديتين أصيبتا في البحر الأحمر بعد عبورهما باب المندب.

أخذت المملكة ما قام به الحوثيون علىٰ محمل الجدّ. هناك إدراك حقيقي لواقع يتمثل في أن وراء من أقدم علىٰ مثل هذا التصرّف هو إيران التي بدأت تعدّ نفسها منذ الآن للعقوبات الأميركية الجديدة التي يفترض أن تدخل حيز التنفيذ علىٰ دفعتين. في آب – أغسطس وفي تشرين الثاني – نوفمبر المقبلين.

يفرض العمل العدائي الذي أقدمت عليه إيران، عبر الحوثيين، إلىٰ اتخاذ خطوة أساسية تتعلّق بوضع ميناء الحديدة اليمني الذي تحوّل إلىٰ قاعدة عسكرية تهدّد الملاحة في البحر الأحمر وكل سفينة تريد الوصول إلىٰ قناة السويس. باختصار شديد، أرادت إيران أن تقول إن عجزها عن إغلاق مضيق هرمز، بسبب الخوف من مواجهة مباشرة مع البحرية الأميركية، لا يحرمها من امتلاك أوراق أخرى مثل عرقلة الملاحة في البحر الأحمر أو التأثير علىٰ مستوى إنتاج النفط في العراق.

تستطيع إيران ذلك عن طريق ميليشياتها العراقية القادرة علىٰ ممارسة دور في مجال استغلال الحراك الشعبي في هذا البلد بما يخدم في النهاية المصلحة الإيرانية في خفض الإنتاج النفطي للعراق.

كان ضروريا أن تدق السعودية جرس الإنذار وأن تلمّح الكويت إلىٰ احتمال تفادي ناقلاتها لباب المندب. يقول المنطق إنّ ما بدأ بتحرير ميناء عدن من الحوثيين، ثمّ ميناء المخا الذي يتحكّم بباب المندب، لا بدّ من أن يُستكمل بتحرير الحديدة. صحيح أن قوات الجيش اليمني تقدمت في اتجاه الميناء، لكنّ الصحيح أيضا أنّ هذا التقدّم يجب أن يترجم بطريقة أو بأخرى تؤدي إلىٰ سحب الورقة اليمنية من إيران.

مرّة أخرى، يتبيّن أن "عاصفة الحزم" لم تكن حملة عسكرية تستهدف اليمن بمقدار ما أنّها جزء من حرب دفاعية في مواجهة المشروع التوسّعي الإيراني الذي يريد تحويل اليمن قاعدة عسكرية في خدمة هذا المشروع من جهة وتهدّد الأمن الخليجي من جهة أخرى.

من الملفت أنّ الاستهداف الإيراني، عبر الحوثيين، للناقلتين السعوديتين في البحر الأحمر جاء في وقت يسعىٰ مارتن غريفيث مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة إلىٰ إيجاد حل للمشكلة التي اسمها ميناء الحديدة.

يمكن تفهم حرص غريفيث علىٰ تفادي مزيد من السفك للدماء. وقف المعارك في اليمن هدف نبيل من دون شكّ. ولكن هل في استطاعة مبعوث الأمين العام إقناع الحوثيين بأنّ ما يقومون به يهدّد السلام والأمن الدوليين وأن من المعيب علىٰ طرف يمني لا يستطيع أحد إنكار أنّه موجود أن يكون مجرد أداة في لعبة أكبر منه؟

تكمن أهمّية القرار الذي اتخذته السعودية في شأن تفادي مرور ناقلاتها عبر باب المندب في أنّه يضع العالم، في مقدّمه الولايات المتحدة، أمام مسؤولياته. هل مسموح لإيران استخدام ورقتها اليمنية من دون رادع؟ هل مسموح أن تعمل الأمم المتحدة من أجل أن يكسب الحوثيون الوقت وأن تتمكن إيران من المماطلة والمناورة بدل أن تقتنع بأنّ ما يجري في الحديدة يتجاوز مسألة ميناء كبير ومهم يطل علىٰ البحر الأحمر وضعت إيران يدها عليه.

في النهاية، لا مفرّ من ولادة تفكير استراتيجي يقوم علىٰ فكرة أن من المهمّ حماية منظومة الأمن الإقليمي وسدّ ثغرة اسمها ميناء الحديدة. معنىٰ ذلك أن منظومة الأمن الإقليمي تمتد من بحر العرب إلىٰ قناة السويس وتشمل عدن والمخا والحديدة وموانئ أخرى علىٰ الضفة المقابلة في القرن الأفريقي مثل جيبوتي وعصب ومصوّع. لذلك كان مهمّا إجراء المصالحة الإريترية – الإثيوبية في سياق حماية أمن المنطقة كلّها وسدّ كل الثغرات وصولا إلىٰ حسم معركة الحديدة عاجلا أم آجلا.

هذه ليست مسؤولية "التحالف العربي" الذي يدافع عن نفسه وعن أمن كلّ دولة من دول الخليج في اليمن. هذه أيضا مسؤولية دولية تندرج في إطار المواجهة الأميركية – الإيرانية لا أكثر ولا أقلّ. ما الذي ستفعله إدارة ترامب في المستقبل القريب من أجل إظهار أنّها ليست إدارة باراك أوباما وأنّها تستوعب تماما معنىٰ بقاء إيران في الحديدة والنتائج المترتبة علىٰ تهديد الملاحة في البحر الأحمر؟

هناك لعبة كبيرة تدور في المنطقة. سيظل مطروحا هل تتحكم إيران بهذه اللعبة من منطلق أنّها قوّة إقليمية مهيمنة تستطيع أن تسمح لنفسها بتهديد الولايات المتحدة بواسطة ميليشياتها الموجودة في العراق وسوريا ولبنان واليمن؟

الجواب أنّه معروف جيدا ما الذي تستطيع إيران عمله عبر ميليشياتها. ما ليس معروفا هل إدارة ترامب إدارة جدّية تتمتع برؤية إستراتيجية تشمل بين ما تشمله المعرفة المعمّقة بأهمّية ميناء الحديدة ودوره في خدمة المشروع الإيراني وتهديد الملاحة في البحر الأحمر في الوقت ذاته. ما فعلته السعودية الموجودة علىٰ البحر الأحمر ليس كشفا لما تقوم به إيران فحسب، بل وضع للإدارة الأميركية أمام مسؤولياتها أيضا وتأكيد لأمر واقع يقول إن للمملكة شاطئا طويلا علىٰ هذا البحر وأن أمنها مرتبط به إلىٰ حدّ كبير.

تحركات السعودية في البحر الأحمر حماية لأمنها القومي

رسائل إيرانية وأميركية بالحبر السري

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❑ إن مشكلة القادة الإيرانيين الكبار، دينيين وعسكريين وأفندية، تكمن في أنهم لا يقرأون التاريخ، ولا يتعمقون في دراسة الجغرافيا، ولا يرون سوى وجوههم في المرآة. العالم من حولهم شيء، والعالم في عقولهم شيء آخر مختلف تماما وليس له وجود حقيقي علىٰ أرض الواقع الملموس.

والمؤكد أن غرور القوة قد أخرجهم من حالة الوعي إلىٰ اللاوعي، وأعمتهم عنصريتهم وطائفيتهم عن الطريق القويم، حتىٰ صاروا مُصدّقين بأن دولتهم أصبحت هي الأقوى والأكبر، وأن ميليشياتهم في العراق وسوريا ولبنان واليمن أصبحت هي القوة الصاعقة الماحقة التي أرعبت أميركا وجعلتها تتردد وتفكر ألف مرة قبل أن تتورط في "أم الحروب".

ولا بد أنهم هنا ناسون أو متناسون حقيقة تاريخية فاقعة تقول إنهم ما تمكنوا من دخول العراق إلا متغطين بالعباءة الأميركية، وإلا بعد ما سمحت لهم أميركا بالدخول لكي تتوكأ عليهم، وتهشّ بهم علىٰ غنمها، ولها فيهم مآرب أخرى. فهُم، حتىٰ الساعة، لا يستطيعون تعيين رئيس أو وزير أو سفير أو حتىٰ غفير إلا حين ترضىٰ سفارة العم سام في بغداد، وتعطيهم ضوءَها الأخضر الثمين.

وفي سوريا كانوا ومازالوا يتدثرون بالراية الروسية الحمراء، و(يجاهدون) لنصرة الإسلام وآل البيت بصواريخ بوتين وطائراته وجنوده. وكثيرا ما نقلت لنا الأخبار أن أهمّ ضباطهم وقادة جيوشهم سيتساقطون صرعىٰ لو رفع الرئيس الروسي غطاءه عنهم، مرة، لو قضت بذلك أجندته المصلحية الخاصة وتفاهماته مع أميركا وإسرائيل، وهم صاغرون.

وآخر ما صدر عن قاسم سليماني من تهديد، قوله إن "علىٰ الرئيس دونالد ترامب أن يعلم أننا في انتظاره"، وقوله، أيضا، مخاطبا الرئيس الأميركي "قد تبدأ أنتَ الحرب، لكنّ نحن من سينهيها".

ولو كانت هذه الصواريخ الكلامية الحارقة صادرة عن الصين أو روسيا، مثلا، لهان الأمر، ولقلنا إنه القضاء والقدر، وسوء الطالع الذي أوقع ترامب في شر أعماله. لكن حين تصدر من دولة ولدت صغيرة، وظلت صغيرة وتبقىٰ صغيرة، مهما امتلكت من صواريخ وميليشيات وعصابات إرهابية مسلحة، خصوصا وهي في عز ضيقها الاقتصادي والأمني والاجتماعي والعسكري والصناعي والزراعي والمائي والنفطي، فتلك مسألة تدعو إلىٰ الضحك ثم إلىٰ البكاء.

وتذكرنا تهديدات سليماني هذه بالراحلين صدام حسين ومعمر القذافي والرئيس البنمي مانويل نورييغا حين بالغوا كثيرا في العزم علىٰ تحويل أميركا إلىٰ دولة من دول العالم الثالث، ثم انتهوا كما كان مقدرا لهم أن ينتهوا به في طرفة عين.

وليس ذلك لأن أميركا هي طرزان العصر الوحيد لتفعل ما تريد، متىٰ تريد، وأين تريد، بل لأن أي دولة من دُولنا المنتمية إلىٰ العالم المُسيَّر بالفتاوى والتداوي بالكي وبول البعير تبقىٰ ريشة في مهب رياح الأقوياء. ومن اللازم هنا أن نذكر بنظرية أطلقها روبرت ماكنمارا حين كان وزير دفاع جون كندي عام 1962 تقول "لنجعل الاتحاد السوفييتي قلعة مسلحة، ولكن لا تملك الزبدة".

وها هي الدولة الإيرانية في عهد الولي الفقيه اليوم تستورد الحديد والنحاس والرصاص، وتستأجر الخبراء والعلماء، وتبحث عن الماء والدواء والغذاء. أفلا يحق لنا أن نطلب من حسن روحاني أن يقول لنا بأي وجه يتحدى ويهدد بـ"أم الحروب"؟

والشيء بالشيء يذكر. فمن يستمع إلىٰ المقربين من دوائر القرار الأميركي، عن كثب، وبعيدا عن الصحافة والإذاعة والتلفزيون، يتردد في تصديق جدية الرئيس الأميركي في خنق النظام الإيراني حتىٰ النفَس الأخير، ويعتبر لهْوَه علىٰ موقع تويتر واحدا من فنون المساومات في التجارة والمقاولات.

ويرجح المتبحرون في علم التشفير السياسيَ أن تكون هناك أشياء أخرى وراء سطور رسائل التهديد المسافرة، ذهابا وإيابا، بين العاصمتين، ولكنها مكتوبة بالحبر السري لا يستطيع رؤيتها إلا المنجمون.

أما الذي لا بد أن يكون، وسوف يكون، فهو حل واحد لا حل سواه. فما لم يَعرف النظام الإيراني حده ويقف عنده، ويلتقط خشبة الإنقاذ التي مدها له ترامب، وما لم يأت إلىٰ طاولة المفاوضات حاسرا وبلا نياشين ولا هراوات ولا مسدسات، فيومه أسود وغدُه أسود، وعلىٰ نفسها جنت براقش. هل تعرفونها؟

إيران والقس برانسون يغذيان الخلافات المتصاعدة بين أنقرة وواشنطن

رهان أردوغان على ترامب مع تجاهل الكونغرس سوء تقدير كبير

أيّ آمال تركية في أن تخفّ حدة الأزمة مع الولايات المتحدة بفعل العلاقة الشخصية بين زعيمي البلدين تبدّدت الأسبوع الماضي عندما حذّر الرئيس الأميركي دونالد ترامب تركيا مباشرة بفرض عقوبات بسبب أزمة احتجازها لقس أميركي، وبالإضافة إلى خلافات بشأن عدد من القضايا من بينها سياسة واشنطن في سوريا ومطالبة أنقرة بترحيل رجل الدين فتح الله غولن المقيم في الولايات المتحدة والذي تتهمه تركيا بالمسؤولية عن محاولة الانقلاب عام 2016 ومخاوف واشنطن بشأن احتجاز أميركيين وموظفين بالسفارة الأميركية في تركيا.

حميرة باموف ودومينيك ايفانز

❑ **أنقرة** - مع تزايد العداء لأنقرة في الكونغرس بسبب خلافات تشمل مصير القس المسيحي آندرو برانسون وعقوبات إيران وخطط تركيا لشراء نظام دفاع صاروخي روسي، كان المسؤولون الأتراك ينظرون للرئيس الأميركي دونالد ترامب على أنه يمثل حماية محتملة في مواجهة أسوأ تداعيات لانهيار العلاقات. لكن، في علاقة تعاني من تبادل الاتهامات وسوء التفاهم وسياسات الشرق الأوسط التي لا يمكن التوفيق بينها في ما يبدو، يتبيّن أن تعليق الأتراك الآمال على ترامب قد يكون خطأ في التقدير.

قضية القس برانسون

كثّف ترامب ونائبه مايك بنس وسط الأسبوع الماضي من سلسلة التهديدات الموجّهة لتركيا عبر التحذير بفرض عقوبات كبرى على أنقرة إذا لم تطلق سراح القس الأميركي آندرو برانسون.

> المشكلة في تفكير الحكومة التركية هي أنها مازالت تعتقد أن هذا الأمر يعود إلى السلطة التنفيذية. الكونغرس هو الذي يحدد الأجندة الآن، ويجب أن يمثل ذلك تحذيرا

وكانت السلطات التركية قرّرت وضع برانسون تحت الإقامة الجبرية عقب سجنه لمدة 21 شهرا بتهمة دعم جماعة فتح الله غولن، المتهمة من قبل نظام أردوغان بالوقوف وراء محاولة الانقلاب في 15 يوليو عام 2016، الأمر الذي ينفيه غولن.

ويرى الكثير من المحللين أن الجدل الجديد يشي بأن العلاقة بين تركيا والولايات المتحدة أخذت منحى الانهيار. وقال ترامب عبر حسابه على تويتر إن "الولايات المتحدة ستفرض عقوبات كبرى على تركيا بسبب احتجازها طويل المدى للقس آندرو برانسون، وهو مسيحي عظيم ورب أسرة وإنسان رائع". وطالب بوجوب إطلاق سراح القس الذي يقول إنه رجل بريء ويعاني بشدة لذلك من الضروري على أنقرة أن تفرج عنه فورا.

ووجه نائب الرئيس الأميركي مايك بنس تحذيرا مباشرا للرئيس التركي رجب طيب أردوغان قال فيه "إلى الرئيس رجب طيب أردوغان والحكومة التركية، لديّ رسالة نيابة عن رئيس الولايات المتحدة الأميركية، أطلقوا سراح القس آندرو برانسون أو استعدوا لمواجهة العواقب".

لم يكشف ترامب عن الشكل الذي يمكن أن تتخذه العقوبات، لكن هناك مشروع قانون في مجلس الشيوخ الأميركي لتقييد القروض إلى تركيا من المؤسسات المالية الدولية وافقت عليه لجنة الخميس الماضي، وهي خطوة مبكرة مهمة لإقرار التشريع.

وفي الآونة الأخيرة، بات القس برانسون محور التركيز المعلن للغضب الأميركي من تركيا، التي كانت ذات يوم واحدة من أقرب حلفاء الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، لكن الثقة بين البلدين الحليفين في حلف شمال الأطلسي ظلت تتآكل منذ سنوات.

وكانت اللحظة الأسوأ لتركيا عندما قررت واشنطن في عام 2017 تسليح وحدات حماية الشعب الكردية، التي تعتبرها أنقرة "جماعة إرهابية"، لقيادة الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية في شمال سوريا.

ثم قالت تركيا إنها بصدد إبرام اتفاق لشراء نظام دفاع جوي روسي في خطوة رأت واشنطن أنها ستضر بأمن حلف شمال الأطلسي وتجازف بخطط تركية لشراء مقاتلات أميركية من طراز أف 35. وتفاقمت الأزمة عندما احتجزت السلطات التركية موظفين بالقنصلية الأميركية بزعم صلاتهم بمحاولة انقلاب في يوليو عام 2016.

وقالت تركيا إن العقل المدبر لمحاولة الانقلاب هو رجل الدين الإسلامي فتح الله غولن الذي يقيم في ولاية بنسلفانيا منذ نحو 20 عاما. وكانت تركيا قد قدّمت طلبات متكررة دون جدوى من أجل تسليم غولن، لكن ردت واشنطن بأن المحاكم تطلب أدلة كافية قبل أن تتمكن من تسليمه.

وقال هوارد إيسنستات، الأستاذ في تاريخ الشرق الأوسط بجامعة سان لورانس، "كانت هذه سلسلة من حالات سوء التفاهم أضرت بالثقة حتى نقطة الانهيار". وأضاف "هذا يشبه الطلاق البغيض حقا حيث فقد الجانبان الثقة ببساطة في بعضهما البعض. إنهما يشعران بالإساءة، ولأنهما يشعران بالإساءة يشعران بالحق في التجني على حقوق الآخرين".

وتصرّ تركيا على أن محاكمة القس برانسون في تهم تتعلق بالإرهاب مسألة تقررها المحاكم. وينفي القس الاتهامات. ووصفته واشنطن بأنه رهينة وطالبت بالإفراج الفوري عنه وعن اثنين من موظفي القنصلية الأميركية المحتجزين بالإضافة إلى موظف قنصلي ثالث رهن الإقامة الجبرية.

وكان احتجاز برانسون أحد الأسباب التي دفعت مجلس الشيوخ الأميركي الأسبوع قبل الماضي إلى المطالبة بفرض حظر على مبيعات مقاتلات من طراز أف 35 إلى تركيا ما لم يثبت ترامب أن تركيا لا تهدد حلف شمال الأطلسي أو تشتري معدات دفاعية من روسيا أو تحتجز مواطنين أميركيين.

من التصافح إلى الخلاف

تراهن تركيا على مزيد لعب أدوار هامة في العديد من القضايا الدولية والإقليمية منذ القمة التي عقدت بين الرئيسين أردوغان وترامب في جو ودي للغاية منذ ديسمبر 2017. إلا أن التحسّن في العلاقات الشخصية بين زعيمي البلدين لم ترافقه من الناحية السياسية تنازلات أو تلبيات لتطلعات بعضهما البعض.

وبتقليلها من شأن أي تهديد من الكونغرس مازالت أنقرة تراهن على قوة ترامب، بتأكيدها أنه سيقرر في نهاية المطاف الأمور. وقال أردوغان للبرلمان التركي الأسبوع الماضي "هذا شيء يعود تماما إلى تقدير الرئيس الأميركي"، مشيرا إلى مبيعات مقاتلات أف 35. وتحدث مسؤول تركي عن تفاهم أفضل آخذ في الحدوث. وربط التحسن الملحوظ بما قال إنها سيطرة ترامب المتزايدة على السياسة الأميركية على النقيض من "عقلية بعض أعضاء الكونغرس".

لكنّ مسؤولين أميركيين ومحللين يقولون إن التركيز على ترامب، الذي تصافح مع بوتين بقبضة اليد في قمة حلف شمال الأطلسي في أوائل يوليو، كان سوء تقدير كبيرا من تركيا. وقال آرون ستاين، المقيم في المجلس الأطلسي بواشنطن، "المشكلة في تفكير الحكومة التركية هي أنها مازالت تعتقد أن هذا الأمر يعود إلى السلطة التنفيذية. الكونغرس هو الذي يحدد الأجندة الآن، يجب أن يمثل ذلك تحذيرا".

الثقة المتبادلة في منعرج الانهيار

ويتزايد في تركيا العداء للولايات المتحدة على وقع تباعد السياسات التي تتبعها أنقرة وواشنطن في المنطقة لا سيما بشأن سوريا وإيران. ومع تمركز القوات الأميركية إلى جانب مقاتلي وحدات حماية الشعب الكردية في شمال سوريا، حذر أردوغان في وقت سابق من هذا العام من أن الجنود الأميركيين ربما يقعون في مرمى نيران أي عمل عسكري تركي ضد المقاتلين الأكراد قرب مدينة منبج.

وتلوح في الأفق خلافات جديدة بشأن إيران. وأعلن ترامب انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي مع طهران ودعا إلى فرض عقوبات على الجمهورية الإسلامية. وتقول تركيا، التي تشتري قدرا كبيرا من نفطها من إيران المجاورة، إن واشنطن لا تستطيع أن تملي شروطها في ما يتعلق بالتجارة مع الدول الأخرى.

مؤتمرات الشباب سياسة تسويقية للرئيس المصري

الإعلان عن مشاريع جديدة مسكنات لم يعد لها مفعول ضد الانتقادات

أحمد جمال

❑ **القاهرة** - يسعى الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي إلى توجيه دفة الاهتمام الحكومي نحو المشروعات الخدمية، بعد شهرين من بدء فترة رئاسته الثانية، في محاولة لاستعادة الثقة المفقودة بينه وبين قطاعات واسعة من المواطنين.

وحضر الرئيس المصري مؤتمرا حواريا مع 3 آلاف من شباب الجامعات والأحزاب بمقر جامعة القاهرة، السبت، ركز فيه على إعلان جملة من المشروعات الواعدة في قطاعي التعليم والصحة، باعتبارهما الأكثر إلحاحا خلال الفترة المقبلة، بعد أن ركزت رئاسته الأولى على مشروعات البنية التحتية ومواجهة الإرهاب.

وتحمل التوجهات الرسمية رغبة في مشاركة المجتمع المدني في التطوير لأن إحداث طفرات تنموية في ملفي الصحة والتعليم هو السبيل الأكثر فعالية في علاقة النظام بالفئات المختلفة، وأن الوقت الحالي يعد مناسبا لهذا التوجه في ظل غضب مكتوم جراء صعوبة الأوضاع المعيشية، وعدم انعكاس تأثيرات المشروعات القومية على الناس حتى الآن.

وتبدو الحكومة عاجزة عن مواجهة الشائعات التي تحيط بها، وتشكك في جدوى المشروعات التي تتبناها، وتلجأ إلى دغدغة مشاعر الناس عبر مسكّنات يتم ضخها من خلال هذه المؤتمرات.

ويعد مؤتمر جامعة القاهرة السادس الذي يرعاه السيسي منذ عام 2016، والأول خلال فترة رئاسته الثانية، لمناقشة قضايا الشباب والتفاعل معها، غير أنه دائما ما يشتبك مع قضايا أخرى، ويبعث برسائل سياسية معيّنة في خضم الجلسات التي تعقد أثناء المؤتمر.

ويسعى الرئيس المصري إلى التواصل مع فئات مختلفة من المواطنين عبر بوابة الشباب، الذين يمثلون أزمة منذ وصوله إلى السلطة بسبب انصرافهم عن المشاركة المجتمعية والسياسية، وفشل الحكومة في إدارة المشهد بما يحويه من أطياف لتيارات مختلفة.

وعرض طارق شوقي، وزير التعليم المصري، في اليوم الأول للمؤتمر والذي يختتم الأحد، الخطوات الجديدة لمنظومة التعليم، والتي تطبق مع بداية العام الدراسي المقبل، ويستفيد منها حوالي ثلاثة ملايين طالب وطالبة بصفوف المراحل التعليمية الأولى وحتى المرحلة الثانوية.

يبرهن اختيار جامعة القاهرة مكانا للمؤتمر على أن هناك توجها سياسيا نحو ترميم شعبية السيسي والحكومة لدى الطبقة الفقيرة والمتوسطة التي تلحق أبناءها بجامعات حكومية، بعد اتساع الاهتمام الرسمي بالجامعات الخاصة التي تستوعب أبناء الطبقة الغنية.

لذلك فاجأ السيسي الحضور في بداية المؤتمر بالإعلان عن ترقية وزير الدفاع الجديد الفريق محمد زكي إلى رتبة فريق أول، في رسالة على أن المشروعات القومية والاقتصادية التي دعمتها وأشرفت على تنفيذها القوات المسلحة تصب في النهاية لصالح المواطن، وهناك علاقة قوية وتاريخية بينه وبين المؤسسة العسكرية، ولن تتأثر بالانتقادات التي توجهها أطراف تتحفظ على تدخل الجيش في الحياة المدنية.

وقال السيسي "هناك علاقة خاصة بين القوات المسلحة وشعبها، ودائما ما تكون في الموقع الذي يطلبه الشعب منها ما يدفعنا إلى إعلان ترقية الفريق محمد زكي من داخل أعرق معهد علمي وتعليمي داخل مصر". وحملت تلك الخطوة مشهدا غير تقليدي بعد أن كلف شاب وفتاة بتعليق "كتافات" الترقية لوزير الدفاع، في إشارة إلى التلاحم.

ويحاول السيسي في رئاسته الثانية تحقيق قدر من وعوده التي جاءت في خطاب تنصيبه أمام البرلمان، الشهر الماضي. وقال حسن نافعة، أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة، لـ"العرب"، إن السيسي يحاول إثبات أنه يفعل ما يقول بعد جملة من الوعود السابقة بالارتقاء بالوضع الاقتصادي والمعيشي من دون أن يكون لها أي أثر على أرض الواقع.

وأكد متابعون أن هناك تغيّرا طرأ على الاستراتيجية الخاصة بتحديد الأهداف بشكل علني والسعي نحو تنفيذها، بعد أن رفض السيسي الإفصاح عن برنامج حكمه خلال الفترة الأولى، معتبرا أن الظروف والتحديات تقف حائلا أمام ظهوره بدور الصادق في وعوده، ما جعل الناس تنظر إليه على أنه يتحرك ويحدد أهدافه بالصدفة.

وتوقع هؤلاء أن يجد الرئيس المصري صعوبات بأن يحصل على دعم الطبقات الفقيرة والمتوسطة والتي يتوجه إليها بالمشروعات الجديدة في ظل تردي الأوضاع الاجتماعية، من دون أن توازي ذلك مظلة حكومية تحميها من الزيادات في أسعار السلع والخدمات.

وأوضح عمرو هاشم ربيع، الخبير بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية في القاهرة، أن الاتجاه ناحية المشروعات الخدمية يتطلب دعما سياسيا وشبابيا يقبل بهما في قطاعي الصحة والتعليم، وسوف يزداد الأمر صعوبة من دون أن يتم الحديث عن زيادة رواتب العاملين في بعض القطاعات، ما يجعل نتائج التطوير أمرا مشكوكا فيه.

ويحتوي قطاعا التعليم والصحة على النسبة الأكبر من العاملين في الجهاز الحكومي للدولة، ويضم قطاع التعليم وحده مليون و200 ألف موظف ومعلم، فيما يصل عدد العاملين في وزارة الصحة إلى حوالي نصف مليون شخص، من إجمالي خمسة ملايين موظف، بحسب بيانات الجهاز العام للتعبئة والإحصاء في العام 2017.

الوعود كثيرة لكن الثقة أصبحت مفقودة

> السيسي فاجأ الحضور في مؤتمر الشباب بالإعلان عن ترقية وزير زكي إلى رتبة فريق أول في رسالة بأن المشروعات القومية التي تشرف عليها القوات المسلحة تصب في صالح المواطن

من بوتين إلى بوتينا.. روسيا تتقن فن الجوسسة

روسية متهمة باختراق عمق المجتمع السياسي الأميركي

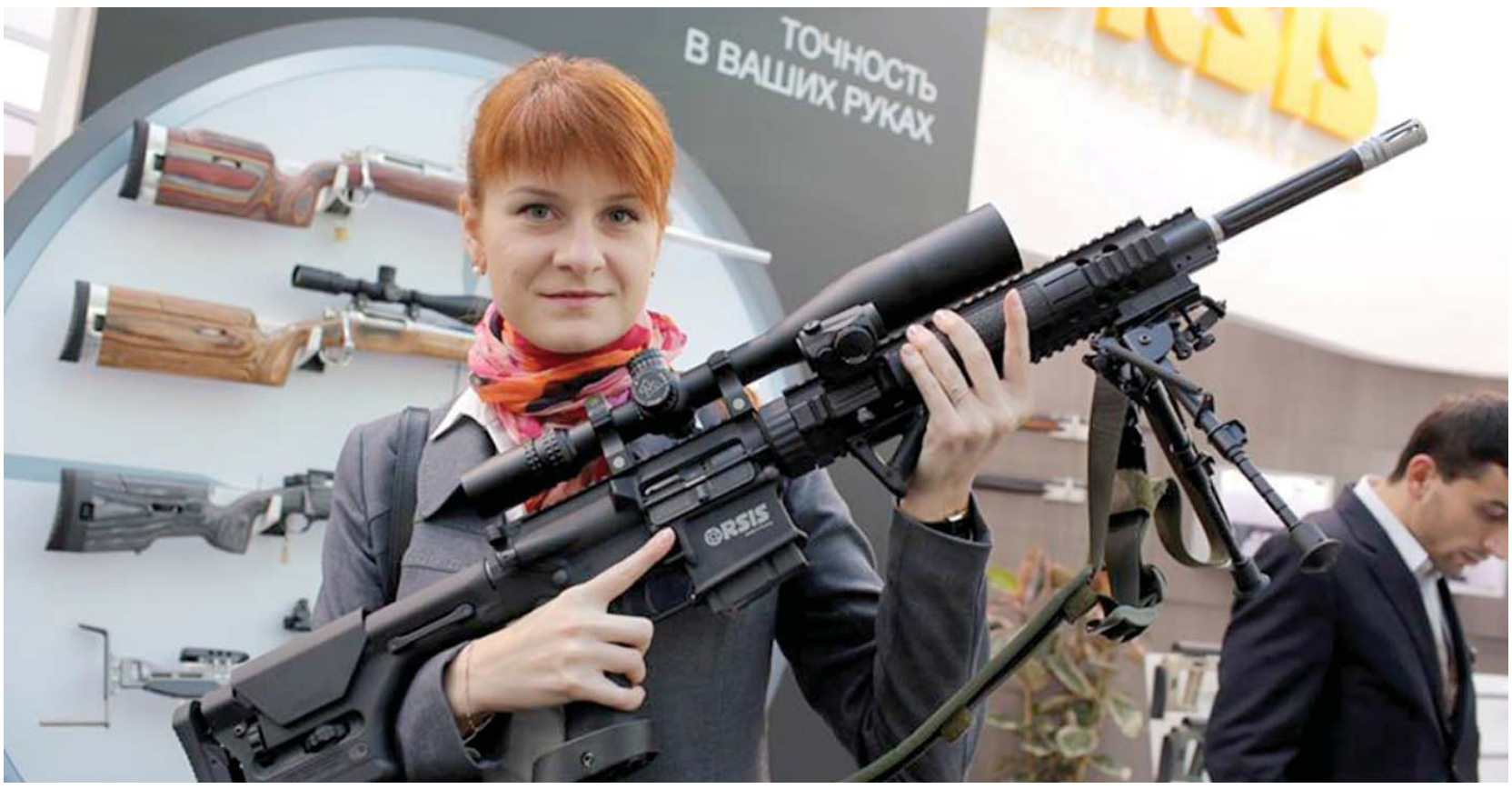

عاشقة البندقية كانت أول من سأل ترامب «المرشح» عن علاقته بروسيا

❑ **واشنطن** – اتهمت الولايات المتحدة الأميركية في الأسابيع القليلة الماضية ماريا بوتينا، وهي فتاة روسية درست في جامعات واشنطن، بالتآمر على الأمن القومي الأميركي بدفع من سلطات موسكو وتحديدا الكرملين الذي يعدّ أحد أهم الهياكل التي أحكم بفضلها بوتين قبضته على الحكم في روسيا وربما مستقبلا في العالم بأسره.

ولئن نفت موسكو عقب عملية الاعتقال توظيفها في أي فترة من الفترات للشابة بوتينا في أجندات جوسسة لفائدة الدولة الروسية على الأراضي الأميركية، أو من خلال تعلّلها بأن من يروجون لهذه الاتهامات يهدفون إلى تقويض نتائج قمة هلسنكي التاريخية التي جمعت ترامب وبوتين، إلا أن مسار تواجد المتهمة في واشنطن يؤكد وفق كل العارفين بتحرّكاتها وسلوكياتها أنها منخرطة في سياسة بوتين، عميل الـ"كا. جي.بي" السابق، الذي يُسميه جزء كبير من الأميركيين بالجاسوس الأكبر.

وتمسكت وزارة الخارجية الروسية على لسان المتحدثة باسمها ماريا زاخاروفا بأنه "يبدو أن هناك أحدا أخذ ساعة وآلة حاسبة لتحديد الموعد المناسب لاتخاذ هذا القرار حول اعتقال ماريا بوتينا لتقويض نتائج القمة بين الرئيسين الروسي والأميركي".

ويتطلب مسار تبدّل العلاقات بين موسكو وواشنطن، في ظل تواصل الاتهامات الموجهة لبوتين باختراق الأمن القومي للولايات المتحدة عبر أجهزته السرية للجوسسة، عملية نبش في تاريخ وأهداف إقامة بوتينا في واشنطن أو سلسلة الأنشطة التي حضرت فيها وواكبتها.

ومارينا بوتينا صاحبة الـ29 عاما، هي فتاة روسية درست في الجامعة الأميركية بواشنطن وهي مؤسسة لإحدى الجمعيات المناصرة للحق في حمل السلاح "رايت تو بير آرمز". وبوتينا تنحدر من بارنول بسيبيريا وكثيرا ما تظهر بسلاح في اليد مندّدة بقوانين الأسلحة المتشددة في بلادها، وتوصف "بالوجه الممثل لحق حمل البندقية في روسيا".

وعقب اتهامها بالعمل مع اثنين من المواطنين الأميركيين ومسؤول روسي لم يُكشف عن هويته بهدف التأثير على السياسة الأميركية والتسلل لإحدى المنظمات المعنية بحقوق الإنسان بحسب ما ذكرته وزارة العدل الأميركي، فقد أصبحت بوتينا محل حديث تقارير صحافية دولية وخاصة أميركية، ليظهر أنه سبق وأن شاركت في تظاهرات مع "جمعية البندقية الوطنية" في أميركا، كما تلاحقها اتهامات أخرى من قبيل تنظيم حفلات عشاء في واشنطن بهدف تطوير علاقات مع سياسيين أميركيين وإقامة قنوات اتصال من أجل "اختراق موقع صناعة القرار الوطني الأميركي".

ولم يكن الحديث عن كشف مؤامرة بوتينا وتورّطها في خدمة أجندات الحكومة الروسية القائمة على الجوسسة، حدثا مفاجئا بالنسبة إلى جل الصحف والمؤسسات الإعلامية الأميركية التي أعادت نشر مقطع فيديو تم تصويره في عام 2015، أي قبل تنظيم الانتخابات الرئاسية، ظهر فيه ترامب وهو بصدد الإجابة على سؤال توجهت به له المتهمة بوتينا وكان فحواه مرتبطا بالاستفسار عمّا يفكر به ترامب واشنطن في تطوير وتوطيد علاقاتها الممتدة مع أعضاء من الحزب الجمهوري خاصة بعد أن صارت تقريبا المحامية والمدافعة الأولى عن حق امتلاك السلاح.

ورغم أن قضية بوتينا، تبدو منعزلة بصفة تامة عن التحقيق الذي يشرف عليه المحقق روبرت مولر بشأن تدخل وانخراط أجهزة الرئيس الروسي السرية في عملية تجسّس خلال الانتخابات الرئاسية في عام 2016، إلا أن الكثير من الأميركيين يؤكدون ويتهمون بوتينا بأنها كانت تقوم بأنشطة الجوسسة بناء على توجيهات من مسؤول رفيع المستوى في الكرملين.

كل هذه الاتهامات أكدها الموظف الخاص في مكتب التحقيقات الفيدرالي كيفين هيلسون، الذي قال "إن مهمة بوتينا كانت استغلال العلاقات الشخصية مع السياسيين الأميركيين الذين لهم تأثير في السياسة الأميركية في محاولة منها لدفع مصالح الاتحاد الروسي".

وأضاف أنها تمكّنت من تفعيل أنشطتها دون تسجيلها لدى حكومة الولايات المتحدة، والحال أن القانون الأميركي ينصّ على وجوب تسجيل الوكلاء الأجانب على حد قول المدّعين العامين، علاوة إلى الكشف عن مساع لديها كانت ترمي إلى إنشاء قناة خلفية لممثلي الحكومة الروسية في الولايات المتحدة الأميركية.

كما أكّد الادعاء العام الأميركي كل الروايات التي نشرتها الصحف في الولايات المتحدة بأن بوتينا كانت تحاول تطوير علاقاتها الشخصية مع السياسيين الأميركيين من ذوي النفوذ من أجل "تعزيز مصلحة" روسيا ولذلك لجأت إلى تنظيم فعاليات للتأثير على آراء المسؤولين الأميركيين بشأن توجهاتهم أو قناعاتهم السياسية الرافضة للدور الروسي في العديد من القضايا الدولية.

كما كشفت التحقيقات الأولية، عقب اعتقال بوتينا أنها كشفت لمن يوظفها من مسؤولي الكرملين عن تقدّمها باستخدام رسائل تويتر مباشرة وبين عدة وسائل أخرى حاولت عبرها التجسس على الإدارة الأميركية أو على شخصيات سياسية نافذة.

أما بشأن وجهة نظر الإدارة الروسية التي اشتد تضييق الخناق عليها في الأشهر الأخيرة من قبل دول الاتحاد الأوروبي أو الديمقراطيين في الولايات المتحدة عبر تواتر الحديث عن مشاركة الأجهزة الروسية في محاول اغتيال العميل سكريبال في بريطانيا أو التجسس على كلينتون من أجل خدمة مصالح ترامب، فيبدو أنها وفق الملاحظين أصبحت تتفنن في وجود التعلات، حيث تشير تقارير عدة إلى أن الحكومة الروسية جندت العشرات من المحامين للدفاع عن بوتينا.

> ماريا بوتينا نجحت، خلال إقامتها في واشنطن في تطوير وتوطيد علاقاتها الممتدة مع أعضاء من الحزب الجمهوري خاصة بعد أن صارت تقريبا المحامية والمدافعة الأولى عن حق امتلاك السلاح

وقال روبرت دريسكول، المحامي الخاص للمتهمة في سياق ردود موسكو، إن موكلته ليست عميلة بل مجرد طالبة علاقات دولية تسعى إلى الاستفادة من شهادتها في مجال الأعمال التجارية. وأضاف أن الاتهامات "مبالغ فيها"، وأنه لم يكن هناك مؤشر على أن بوتينا تسعى للتأثير على أي سياسة أو قانون محدد أو الولايات المتحدة أو تقويضها. وأن موكلته تعاونت مع مختلف الجهات الحكومية لعدة أشهر حول هذه المزاعم.

وعلاوة على مساهمة السيرة الذاتية لبوتينا من خلال مراحل عيشها في واشنطن في فتح ملف اتهام وزارة العدل الأميركية لـ12 من ضباط المخابرات العسكرية الروسية بقرصنة البريد الإلكتروني لعدد من مسؤولي الحزب الديمقراطيين خلال الانتخابات الأميركية لعام 2016، فإن ملفها ساهم في التعريج مجدّدا على الأدوار الاستخباراتية لبوتين.

وفي سياق تشبيه بوتينا ببوتين، ذكرت صحيفة واشنطن بوست أنها أصبحت مساعدا للمصرفي الروسي وعضو مجلس الدوما السابق ألكسندر تورشين الذي فرضت عليه عقوبات من قبل وزارة الخزانة الأميركية في أبريل الماضي. وكان تورشين، وهو عضو دائم في الجمعية الوطنية للبنادق وبوتينا، قد حضرا مناسبات الجمعية عام 2014.

وأشار نفس التقرير إلى أن بوتينا كانت قد شاركت في حملات ترامب الانتخابية، وأنها سألته عن وجهة نظره حول العلاقات الخارجية مع روسيا. في حين كان رد ترامب أنه يمكن أن يتماشى مع بوتين حسب الظروف وتطورات الوضع العام في العلاقات الدولية.

أمّا صحيفة ذا نيويوركر الأميركية فأشارت إلى أنها حبكت علاقات قوية مع أهم الشخصيات من المحافظين وبأهم الشخصيات التابعة للحزب الجمهوري.

ويضيف التقرير أن بوتينا ليست سهلة بالمرة على اعتبار أنها قامت في ليلة انتخاب دونالد ترامب رئيسا للولايات المتحدة بمراسلة مديرها من الكرملين في روسيا لتقترح عليه التحدث على الهاتف، لمناقشة من الذي قد يرشحه ترامب ليكون وزيرا للخارجية.

وكشفت الصحيفة استنادا إلى مراجع وزارة العدل أن مديرها ألكسندر تورشين، نائب محافظ البنك المركزي الروسي، رد عليها آنذاك "يتم التنصّت على جميع هواتفنا"، لتجيبه بوتينا "حسنا ماذا عن الحديث عبر الواتس آب" لتتم العملية بعيدا عن الأجهزة الرقابية الأميركية.

وتشير التقارير إلى أن ماريا بوتينا كانت ربّما أول شخص يسأل دونالد ترامب بصفة علانية عن ماهية سياسته تجاه العقوبات الروسية إذا أصبح رئيسا.

وتشير الكثير من جوانب فضيحة العميلة الروسية إلى أنها تمكّنت من اختراق أجهزة كمبيوتر حملة الحزب الديمقراطي، وبرنامج تويتر، والعديد من الأعمال المشبوهة الأخرى، إضافة إلى أن أحد أقرب مستشاري لدى ترامب كانت لديه شكوك حولها منذ الحملة.

وفي نفس السياق المسلط الضوء على تحركات بوتينا منذ بداية الإقامة في واشنطن، كشفت تقارير أخرى مستقية من أجهزة أمنية واستخباراتية أميركية أن لديها صلات أخرى بمسؤولين أميركيين أكبر كثيرا مما يتم ترويجه.

ومن ذلك حضورها في عام 2015 اجتماعين بين مسؤول روسي زائر ومسؤولين كبيرين في مجلس الاحتياطي الاتحادي الأميركي (البنك المركزي) ووزارة الخزانة.

وكان الاجتماعان اللذان كشف عنهما أشخاص على دراية بالجلسات وتقرير لمؤسسة بحثية في واشنطن رتبت لهما، مع ستانلي فيشر نائب رئيس مجلس الاحتياطي الاتحادي آنذاك وناثان شيتس وكيل وزارة الخزانة للشؤون الدولية في ذلك الوقت.

وفي أحدث تفاصيل القضية، طالب محامي بوتينا جهات التحقيق الأميركية بالإفراج عن موكلته، بدعوى أنها عرضت التعاون مع المحققين الأميركيين لاستهداف بول إريكسون، الناشط المحافظ الذي كانت تربطها به علاقة عاطفية، وفقا لرسالة صادرة عن محاميها وشهادة المحكمة في قضيتها.

المرأة الجاسوسة.. خطة «وعاء العسل» تبقى دائما فعّالة

❑ **واشنطن** – سواء بالنسبة إلى عملاء سي.آي.إيه الحقيقيين أو أعوان 007 الخياليين ليس هناك من تكتيك في حرفة الجوسسة أكثر استدامة من "وعاء العسل" (في إشارة إلى استخدام المرأة الجاسوسة الجميلة).

في العهد القديم رأينا كيف أطاحت حيل دليلة الأنثوية بشمشون، وفي ثمانينات القرن العشرين لدينا كلايتن لونتري جندي البحرية الأميركية الذي تعرض للابتزاز من فتاة سوفييتية جميلة، وتبقى الهولندية ماتا هاري أشهر جاسوسة في التاريخ، وانضمت حديثا إلى القائمة الطويلة من النساء الجاسوسات، الروسية ماريا بوتينا، التي تواجه تهما أميركية بالتجسس لصالح الكرملين.

وتقول الكاتبة الصحافية الأميركية مونيكا هاسي في بحثها عن أسرار هذه الشابة ذات الشعر الأصهب التي نجحت في التغلغل في عمق المجتمع الأميركي الحساس، إن حسابها على موقع إنستغرام عبارة عن سلسلة من صور السيلفي تظهر القوة والأنوثة معا. كما تشارك أقوالا مأثورة ذات مسحة روحية من قبيل "الإيمان يجعل كل شيء ممكنا. والحب يجعلها سهلة". وتنشر نداءات للرجال الوحيدين قائلة "أريد أن أحب شخصا قلبه محطم حتى يعرف بالضبط ما هو الشعور ولا يحطم قلبي".

لكن، يبقى اللافت صورها مع البنادق. صورة بعد صورة تحمل بوتينا أسلحة نارية بكل الأشكال والأحجام. هنا تلوح بمسدس وتلبس قبعة رعاة البقر، وهناك تنحني في الثلج وهي تضع بندقية على خنزير بري ميت. هل يتناسب التبرج النسائي المبالغ فيه مع الأسلحة نصف الآلية؟ على صفحة فيسبوك لماريا بوتينا تلك الأشياء تتناسب.

وتقول مونيكا هاسي إنه سواء أكانت بوتينا بالفعل جاسوسة أم لا، الشيء الذي أصبح واضحا هو أنها كانت بارعة في كونها "النزوة الأميركية".

وبينما قضى المختصون في فترة الحرب الباردة الأسبوع الماضي يتحدثون كيف أن بوتينا تذكّر بجينيفر لورنس في قصة "الدوري الأحمر" أو كيري راسل في "الأميركيون"، فإن المرجع من الثقافة الشعبية الذي ظللت أفكر فيه هو وصف الكاتب جيليان لـ"فتاة مرحة".

بهذه السرعة يشير إلى الاتجاه الآخر: لا توجد الكثير من النساء (الحقيقيات) مثلها. وصفها مصدر مجهول التقى بها خلال مؤتمر العمل السياسي المحافظ بقوله "إنها ودية وفضولية ومغازلة".

الرجال الذين دافعوا عنها كانوا سعداء للقاء امرأة تتناسب مع القالب المثالي لكنهم لم يتوقفوا أبدا عن التفكير بأنها ربما تكون جاسوسا مثاليا. هذا هو السبب الذي يخوّل لخطة "وعاء العسل" الاستمرار في أن تكون ذات أهمية، وذلك لأنها ترتكز على نزوة تُربّت بحنان على الأنا، وهي شكل من أشكال العملة لن تفقد رواجها أبدا، وفق مونيكا هاسي.

كان هذا المفهوم موضوعا أساسيا في رواية فلاين "الفتاة التي انصرفت" التي هي نفسها بالأساس غوص عميق في العلاقة المعادلة لحرفة التجسس: الشخصيات التي تتقمصها النساء من أجل إرضاء الرجال.

إذا كان هناك أخلاّء في حياة بوتينا أو مواعيد غرامية أو حفلات، فذلك لم يكن جزءا من شخصيتها على الإنترنت. في صورها تظهر دائما وحيدة، تماما مثل بيت معروض للبيع يترك عمدا خال من الأثاث حتى يتمكن المشترون المحتملون من تخيل أنفسهم يعيشون هناك.

هل هناك نساء بشخصيات مثل هذه في الحياة الواقعية؟ ربما. لكن هل هناك تخمة من الطالبات الأوروبيات الشرقيات المتخرجات الذكيات جدا يتكلمن لغتين ويحببن المسيح والطبخ والبنادق وصيد الطرائد الكبيرة والويسكي وأحمر الشفاه ورعاة البقر وإصلاح قلوب الرجال المحطمة بحنان؟ ربما؟

كون بوتينا أصبحت مشهورة في الدوائر المحافظة

أزمة الابن الذي يسير في ظل أبيه

حافظ قائد السبسي

براغماتي حالم يخوض عالم السياسة بعقلية الأعمال

الحبيب مباركي

❑ يعيش المشهد السياسي في تونس هذه الأيام على وقع سجال طويل خيوطه متشابكة، ودروبه تأبى الإفصاح عن القادم والبعيد، فيما محوره معلن وظاهري وهو التمسّك بتغيير حكومة يوسف الشاهد.

تغيير بدت ملامحه موضوعية وواضحة لمنتقدين لأدائها وطريقة تسييرها لبعض الملفات، فيما كانت كاميرات المراقبة مسلّطة أكثر على الذين يطالبون بنهج التغيير والدافعين إليه بشتى الطرق والوسائل. خلافا لاتحاد الشغل، الذي لاح كأكثر المطالبين برحيل الشاهد، برزت وجوه محسوبة على الحزب الذي أتى بالشاهد رئيسا للحكومة.

هو وجه أطل على حين غفلة من جميع التونسيين. يصفه البعض بالسائر وراء خطى والده في كل كبيرة وصغيرة، فيما يقول عنه خصومه إنه السبب وراء الأزمة السياسية التي تعصف بالمشهد السياسي حاليا.

محمد حافظ قائد السبسي، ابن الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي. الاسم الذي لاح على التونسيين ذات يوم من وراء الشرفات يتبع خطوات والده ويعرّف نفسه بأنه "نجل" الرئيس. شخصية برزت في أحلك ظروف المشهد السياسي ارتباكا عام 2012. اسم اعتاد التونسيون على صمته أكثر من كلامه، فيما اعتاد هو التواري عن الأنظار والسير في الكواليس أكثر من الظاهر والخارج للشعب ودوائر السياسة عموما إلا في ما ندر.

> القيادي السابق بنداء تونس لزهر العكرمي يهاجم صراحة حافظ قائد السبسي قائلا «في ذكرى تأسيس الحزب لا يمكننا أن نعد حافظ سوى بعدم إدخاله السجن إذا قرر الانسحاب دون شرط». أما رئيس حركة مشروع تونس محسن مرزوق فيقول عنه في تصريح تداولته وسائل التواصل الاجتماعي إن «نجل الرئيس أحاط نفسه بمجموعة من الانتهازيين والبراغماتيين الذين اختاروا التخندق وتضليل العدالة»

وخلافا للتاريخ السياسي الطويل وخبرة الأب الكبيرة وحنكته وتجربته المشهود له بها، فإنه على النقيض تماما من ذلك لاح النجل خجولا، صامتا، متواريا عن الأنظار، أرجعه البعض إلى تلعثم في المنطوق الخارج للناس، فيما يؤكد منتقدوه أن الفصيح من اللغة لم يجد طريقه إلى هذا الابن الذي خدمه عالم السياسة وأظهره بإثارة يطرحها ملف هذا الرجل في الخزائن الخفية والأجهزة الناشطة للدولة بالموازاة مع عجز كامن في أداء حكومتها وتآكل حزامها السياسي عجزت معه عن البت في قضايا مصيرية وملفات وازنة لم تعد تقبل التأجيل.

يقارن مهتمون بشخصية حافظ قائد السبسي بين تلك الصورة التي أطل بها على المشهد السياسي في تونس عام 2012 وبين صورته الحالية، فيكتشفون البون الشاسع الذي طبع الشكل الظاهر لدى جمهور المتابعين لكواليس هذه الشخصية السياسية وتحركاتها داخل المجموعات الراقصة على مسرح الأحداث في تونس.

تغيّرت صورة الابن كثيرا عن الأمس القريب الذي كان فيه على هامش المشهد السياسي يتقفّى خطوات والده وهو يتجول لحشد أنصاره داخل المناطق الأكثر كثافة في العاصمة تونس ودواخلها، ويتخذ مكانا قصيّا بعين الناظر لوالده في كل شاردة وواردة، راصدا أدق التفاصيل ومتابعا لحوارات السياسيين وخطاباتهم على طريقة طالب جاد في التدرّب على النصح والتوجيه ليعمل على تقليديها في ما بعد، قبل أن يصبح التقليد علنيا الآن في محور المجارات والاندفاع نحو ركوب الخطر والذهاب بعيدا في طريق المزالق والمطبات الكبرى، وما أحداث المشهد السياسي الأخيرة إلا خير دليل على ذلك.

يجد ذلك مبرّرا له في النهج الذي خطه الابن لمسيرته في الحياة السياسية التي يقول منتقدون له إنه يخوضها بعقلية الحسابات الضيقة والبراغماتية التي لا تراعي مصلحة الجميع داخل كيان حزبي وازن تأسس ليكون ندا لكنه سرعان ما أصبح ضدا للمنتسبين إليه، زادهم حمق المصالح والجري وراء المناصب قبل المكاسب تفتيتا وتشظيا.

ابن الرئيس الذي لا يشبهه

يقول أشد المنتقدين تفاعلا مع صورة "ابن الرئيس" الذي كثيرا ما يصرّ على الظهور في الصفوف الأولى لكل اللقاءات الهامة والمشاورات الحزبية، إن رؤيته تغيرت إثر عودته من فرنسا دون تحصيل شهادة علمية أرسل من أجلها إلى هناك، فحاول منذ 1987 أن يثبت لأبيه أن فشله في الدراسة لا يعني أنه "الابن الضال"، فانخرط في السياسة من بوابة الحزب الاجتماعي للتقدم أو ما يعرف بالحزب الاجتماعي التحرري الذي كان فيه شخصية ثانوية غادرت الحزب بعد حصولها على المرتبة الأخيرة في انتخابات 1989.

فشله في عالم السياسة كهاو قاد السبسي الابن إلى تغيير وجهته نحو النشاط الجمعياتي وعالم الرياضة عبر فريق كان محببا إلى قلبه وهو الترجي الرياضي التونسي، لينتهي به المطاف قبل 2011 بأن أصبح عضوا في الهيئة المديرة للفريق الذي يرأسه رجل الأعمال الشهير حمدي المؤدب.

الواقف على مسيرة الابن السياسية لا يظفر بسجل يذكر في هذا العالم الذي اختار طوعيا الانتساب إليه رغم أنه لم يكن من هواته، فيما تغمز مصادر عليمة بأن والدته شاذلية سعيدة فرحات، التي منحت ابنها تقاسيم وجهها ودعمها له في كل خلافاته مع والده الذي أعلن مرارا تذمّره من سلوك ابنه، كانت وراء الترتيب لسلك ابنها نهج والده ودفعت بشدة لتذليل جميع العقبات بينهما.

لكن علاقة حافظ بأبيه عرفت تحسنا خلال تلك الفترة، أرجعه البعض ربما إلى اختيار الابن نهجا آخر غير عالم السياسة آثر من خلاله العمل على استمالة قلب والده، ليعودا بعد 2011 مع صعود نجم الأب ليحيي حلم الابن، الذي يقول عنه منتقدون إن اسمه لم يكن يعني شيئا لمتابعي الشأن العام غير أنه "ابن الباجي" والسائر وراءه كظله في كل تحرك وخطوة يخطوها.

هنا سطع نجم حافظ قائد السبسي الذي اختار التخندق وراء تركة الأب "الثقيلة" وبات يحكم بأحكامه عبر ترؤس اللقاءات الحزبية واجتماعات الهياكل ظنا منه أنه أحق من غيره بذلك.

لكن ما قد يعاب على الأب المؤسس لحزب نداء تونس، وفق منتقدين، أن ابنه كان ضحيّة لرفض أبيه أن يلمع نجمه أو أن يكون في الصورة، فاكتفى بتكليفه بمهمّة رئيس لجنة التنظيم المختصة بالتظاهرات في بداية 2013 ثم تقلّد منصب رئيس لجنة الهيكلة والتنظيم، فيما يصنف مراقبون ذلك في خانة اللعبة السياسية والدهاء التكتيكي للباجي الذي خيّر إبعاد ابنه عن الصخب الإعلامي وأجواء التهويل خصوصا وأن الحزب كان في بداية مسيرته التأسيسية.

الواقف على تركة الرئيس

لكن هذه القاعدة سرعان ما تم اختراقها في أول منعطف، ولأن حافظ يرى نفسه صاحب الفضل فقد قرر المرور من الكواليس إلى واجهة الحزب، وهو خروج قال عنه السبسي الابن إنه غير مقصود، فالولد والوالد لم يكونا يريدان ذلك وكلاهما يرفع شعار أنه ضد التوريث.

هذا الانتقال من الهامش إلى المحور، تم بمباركة الباجي الذي خص ابنه بنصائح مستشاره الخاص في سنة 2013 محمد الغرياني، آخر أمين عام للتجمع الدستوري الديمقراطي المنحل، ليقدم حينها الغرياني نصائحه الثمينة لحافظ ويحيطه برجالات الصف الثاني في التجمع لخدمته ويربط له علاقات مع أوساط المال والأعمال.

والغرياني الذي غادر الحزب سريعا لم يغادر موقعه كذراع يمنى تخطط وترسم لحافظ. فالأمين العام السابق للتجمع نجح قبل مغادرته في تثبيت موقع حافظ وحشد الأنصار له، ولكن نجاحه الأساسي كان في إحداث صداقة بين السبسي الابن ورجل الأعمال شفيق الجراية، وهي صداقة يقول منتقدون للرجل إن أساسها الثابت هو المصلحة المتبادلة. ليدعمها في ما بعد بعقد شبكة علاقات هامة مع العديد من رجال الأعمال واللوبيات المتنفذة في أجهزة الدولة، ما جعله محاطا برموز النظام السابق الذين باتوا من مستشاريه وأعوانه في كل مسار يخطوه بما يستجيب لدافعه البراغماتي النفعي بالأساس.

هنا بدأت آلة الابن تشتغل على أكثر من واجهة لتنفتح على أهواء المال والأعمال والرموز "المتعفنة" في عالم السياسة معوله في ذلك ضرب كل ما هو خارج عن خطة العمل المرسومة سلفا والتضحية بالعديد من الأسماء التي كانت إلى وقت قريب من الدائرة الكبيرة لهذا الحزب وإحدى الركائز الأساسية فيه.

الواقف على أزمة نداء تونس إبان الانشطار الذي دبّ في صفوف الحزب لأول مرة لا يخال أن أزمة كفاءات هي من عصفت بهياكله ومؤسسيه وأدت به إلى الحال التي وصل إليها حاليا، باعتبار الوجوه البارزة التي ضمها الحزب إلى دائرته في بداية انطلاقته، وإنما الأزمة الحقيقية كانت بدخول الابن على خط التسيير وفرضه رأيا لم يتقبله الكثير من هذه الوجوه، فيما يقول مراقبون إن الابن قرر إعادة كتابة تاريخ حزب أبيه وجعله مسألة شبه عائلية دبّرت في غرفة مغلقة بين الأب وابنه وأصدقائهما، ليصبح بذلك الابن مؤسسا لا تابعا.

أشدّ المنتقدين لمسيرة حافظ قائد السبسي في عالم السياسة يقرون بأنه مسكون بهاجس حماية إرث أبيه ونهجه الذي بالغ في تعظيمه كما بالغ في تذمره من إنكار خصومه عليه أن يكون سياسيا كأبيه. ولأن السياسة كما تصدح الأمثلة الشعبية مهنة توريث، فمثلما يكون ابن الطبيب طبيبا وابن الصيدلي صيدليا، ربما من هذا المنطق يتساءل النجل في انزوائه وخلوته لماذا لا يكون ابن الرئيس نسخة مصغرة لأبيه وزعيما سياسيا ينقذ البلاد والعباد. لكن الإجابة عن هذا السؤال تجد طريقها في وضعية الحزب التي توصف بالكارثية وما آل إليه منذ تولي حافظ إدارته التنفيذية من أزمات متكررة انتقلت من داخل جدرانه الضيقة إلى القصبة، مقر الحكومة الرئيسي، وقصر الرئاسة بقرطاج.

توريث عربي جديد

التوريث بمعناه الأفقي والعمودي قويت مفاعيله بعد تولي الباجي قائد السبسي رئاسة الجمهورية إثر انتخابات 2014. ترك مؤسس الحزب فراغا كبيرا لم تقو الأطياف التي كانت منصهرة ومتجانسة إلى حين على سده.

هنا بدأت العائلة الموسعة لحزب نداء تونس تستكشف الأثر العميق الذي تركه المؤسس. اعتقد الكثير من الندائيين المؤسسين للحزب بعد انتخابات الرئاسة التي أسقطت النهضة وأخرجتها من دائرة الحكم في 2014 أن المسألة باتت محسومة بإشراك الجميع في مناصب سيادية بالدولة.

لكن شاءت السياسة ودروبها أن تسير عكس ما اشتهاه هؤلاء ورغبوا فيه طامعين في أن من حق حزبهم عليهم، وهو المثل الأقوى في الدولة والبرلمان حينها، أن يمنحهم هذا الحق لكن سرعان ما دبّت الخلافات وتخلل الشقاق الصفوف وبدأت أزمات الحزب تخرج إلى العلن. حينها وجدت مشارب عديدة ضالتها في تأزيم وضع النداء ودفعه إلى المزيد من الشقاق وأولها حركة النهضة التي كانت تدفع نحو تشظي قيادات الحزب وانشطارها إلى صنفين وخروجها من الحزب.

متابعو أزمة المشهد السياسي في تونس منذ تفكك حزب النداء وتزايد حدة شقوقه الداخلية إلى حدود الأزمة المعلنة حول مصير حكومة الشاهد يتراءى لهم أن العقدة المحركة والمعمقة لهذه الأزمة محورها الأساسي هو الابن الذي اتجه ناحية المال والأعمال وأدخل الحزب في أتون الخلافات الضيقة بانسلاخه عن المجموعة المؤسسة واختياره التخندق وراء لوبيات الفساد.

وهو ما بدا واضحا في نقد وجهه القيادي السابق بنداء تونس لزهر العكرمي هاجم فيه حافظ قائد السبسي بالقول "في ذكرى تأسيس الحزب لا يمكننا أن نعد حافظ سوى بعدم إدخاله السجن إذا قرر الانسحاب دون شرط"، فيما قال عنه رئيس حركة مشروع تونس محسن مرزوق في تصريح تداولته وسائل التواصل الاجتماعي "حافظ لا مستقبل له دون أبيه"، مضيفا أن "نجل الرئيس أحاط نفسه بمجموعة من الانتهازيين والبراغماتيين الذين اختاروا التخندق وتضليل العدالة".

حافظ قائد السبسي مثال للصراع الدائر بين أجنحة الحكم في تونس وهو أيضا عيّنة من إفرازات المشهد السياسي المترهل الذي دفع إلى الواجهة بوجوه كانت محسوبة على هامش الدوائر الضيقة للأحزاب، فيما الأهم من كل ذلك دخوله على خط المعركة في اعتقاد واه منه بأنه الحريص على تركة أبيه الذي أضحى يتحرك في كل الاتجاهات منذ أيام لتطويق الأزمة الخانقة التي وضع فيها ابنه الحزب والحكومة معا.

● التوريث بمعناه الأفقي والعمودي يبدو أقوى اليوم، قياساً بلحظة تولي الباجي قائد السبسي رئاسة الجمهورية إثر انتخابات 2014. حين ترك مؤسس نداء تونس فراغا كبيرا لم تقو الأطياف التي كانت منصهرة ومتجانسة على سده.

● حافظ السبسي الذي يصفه البعض بالسائر وراء خطى والده في كل كبيرة وصغيرة. أطل في غفلة من التونسيين، ليقول عنه خصومه إنه السبب وراء الأزمة التي تعصف بالمشهد السياسي حاليا.

مدينة خانها الماء

بترا

عشبة الجنة التي تنام في حلم النبطي الأخير

فاروق يوسف

❏ أن يزور المرء بترا، جنوب الأردن فذلك حدث لا يتكرر. كل زيارة جديدة هي كذلك. فهناك وسط الرمال يكتشف المرء أن الزهور ممكنة. تلك الزهور التي تحضر نضرة في كل مرة في إمكانها أن تخبرنا بأن لا شيء يؤلم مثل التاريخ. غير أن بترا لا تقول عن التاريخ كلاما بعينه. فهي ليست مدينة تاريخية خالصة وإن ذهب بُناتها إلى العدم تاركين كل شيء في مكانه.

> من يرى بترا يشعر أن تلك المدينة التي استخفت ببولس الرسول قد سبقت كل دين إلى خلاصته: الجمال الخالص. أما التاريخ فهو شيء آخر، شيء يُعنى بالجمال باعتباره بضاعة للدرس الذي يغمر الحواس بالنوم. فمَن يزر بترا لن يكون معنيا بالتفاصيل التي يمكن ألا تكون حقيقية ❞

يشعر المرء بأن تلك المدينة التي استخفت ببولس الرسول قد سبقت كل دين إلى خلاصته: الجمال الخالص. أما التاريخ فهو شيء آخر، شيء يُعنى بالجمال باعتباره بضاعة للدرس الذي يغمر الحواس بالنوم. ومَن يزر بترا لن يكون معنيا بالتفاصيل التي يمكن ألا تكون حقيقية. سيضع كل معارفه على الرف ليستسلم للغبار المنقى عاريا. هناك عاطفة تنبض في كل شق يقع ما بين حجرين من حجارتها. حين كنت أصور كنت متأكدا من أن صوري لن تقول الحقيقة كما توّهمت أنني خبرتها بحواسي النائمة. أي حقيقة أقصد؟ كنت أرى بعين خيالي ما لم تكن عيناي الواقعيتان قادرتين على رؤيته. لقد أدركت يومها أن في إمكان بترا أن تنتج بشرا يكون الخيال مهنتهم.

زائر بجناحين

كما لو أن الخالق رفع يده للتو، لحظة الخلق لا تزال ساخنة.

بترا لا تقيم في المكان عينه دائما، فهي ليست ذلك المكان الذي نحث الخطى فيه لاقتناص أمتاره طولا وعرضا، بل هي فكرة ملغزة عن مكان يشكل القبض عليه نوعا من المعجزة. علينا أن لا نصدق عيوننا دائما. هي ليست هنا وليست هناك أيضا. جزء منها يكفي لكي تتحقق تلك المعجزة البصرية. غير مرة وأنا أشعر بالعجز عن تفسير ما يجري لي. قلت لنفسي: هذا يكفي. بعدها استمر في المشي، مثقلا بأصوات كائنات لا مرئية تُعبّئ جسدي خيالا. "أين أنت؟" أقول لنفسي. هبطت على كوكب أم غفوت في حلم رجل، مهنته صناعة الأساطير. منذ الخطوة الأولى التي يلقيها على ذلك الدرب الطويل يدرك المرء أنه يمشي محلقا خارج المكان. لا مكان بعينه، بترا تهب زائرها جناحين. تتخلى القدمان عن وظيفتهما. العينان تمشيان أيضا، بل الحواس كلها. أن ترى فأنت تعرف أنك صرت مرئيا أيضا من قبل بشر سبقوك إلى المعرفة الخفية، تلك المعرفة التي تسعى جاهدا إليها من غير أمل واضح في الوصول. تتأكد من أن مشهدك يبعث على الضحك وأنت تبحث عن أولئك البشر الذين اختفوا. "هل اختفوا حقا؟" ألفان من سنوات الغياب زمن يكفي للانفصال المطلق. ولكن هل نحن على يقين من أن بترا قد انفصلت عن ذاتها لتكون مسرحا لحكاية تاريخية محايدة؟

الدليل السياحي لا يقول سوى مرثيات تنتهي بالندم. ولكن المرئيات تقول شيئا آخر. "لولا خيانة أحد مهندسي المدينة لما اهتدى الجيش الروماني إلى الينابيع والآبار التي تغذي المدينة بالمياه" عبارة جارحة، ذلك لأنها تغرس الخيانة في قلب الحقيقة مرة أخرى. الخطأ الذي يصنع جزءا من جوهر التاريخ البشري.

ولكن من يرى المدينة، ما يظهر منها الآن وهو جزء صغير، لا بد أن يهتدي إلى فكرة نقدية: ربما استنفدت بترا أسباب وجودها. لا تتعلق تلك الأسباب بالتاريخ وحده، بل بالجمال في قوته الملهمة. أعني أن تلك المدينة ـ الحضارة وقد خلصت إلى جمالها المطلق لم تجد أمامها سوى أن تختفي لترعى ذلك الجمال في مكان آخر.

انتقلت بترا بجمالها المطلق إلى عالم الغيب فيما استولى الرومان على صخورها. لقد شُبه لهم. كانت روح المدينة موجودة في مكان آخر يوم انحرفت طرق التجارة عنها وصارت مجرد صخور. ومع ذلك فإن تلك الصخور لا تزال تصيبنا بالبكم دهشة.

سنتمتر بعد آخر

أمشي بين جبلين، الفضاء من فوق يتسع ويضيق. نبطي أنا، أجدادي مروا من هنا. لست سائحا مندهشا، أعرف أن عبقرية الأسلاف تلقي بي في حيز ضيق حزين. فجأة من بين الظلال تظهر الخزنة. أكثر الأماكن المكتشفة اكتمالا واستعلاء. أحاول أن أؤجل النظر. شيء من عبقرية المكان كله يتجلى هنا. اقترب بهدوء وأتسلق الأعمدة بنظري ببطء شديد، سنتمترا بعد آخر. يحتاج المرء إلى ساعات، أيام، سنوات ليصل إلى الفضاء البعيد من غير تعب، بشرط أن يمحو كل ما ترسب في ذاكرته.

عمارة هائلة هي عبارة عن نحت عملاق مدور. استخرج الأنباط من الجبل قصورهم ومعابدهم وبيوتهم ومقابرهم. وجدوا الجبل فصنعوا منه مادة لخيالهم. كانت الأسطورة تتبع خيال أصابعهم المتوترة. ليست الحقيقة التاريخية سوى ظل لذلك الخيال.

أعيش لذة النظر المنبهر وأتساءل عن لذة الخلق. كانت الأرواح تتسامى فيما الأقدام تمس تلك السلالم بشعر أعصابها المتوتر. في كل مكان تقع عليه عيناي أرى بقايا سلم يقود إلى مكان لا يرى، أو أنه صار كذلك. اعتقد أن آلة الزمن التي نعرفها خياليا لا تعمل في بترا. يشعر المرء حين يمد يده إلى أي حجر أنه لا يمس زمنا بعينه، فيده التي تقع في فراغ موحش لا تقبض إلا على هواء الأبدية. ليست الطريق الرئيسة سوى نهر يجري بترو.

فجأة يبرد الهواء في يوليو. أقف لتشملني أجنحة الملائكة برحمتها. معجزات صغيرة اجترحها الأنباط من أجل أن يهبوا جنتهم الأرضية معنى العيش المباشر. أتكئ بجسدي كله على الصخر وأغمض عيني. على بعد متر واحد يقع الجبل المقابل. تمر الحمير المدرّبة على حمل الزائرين الكسالى، تمر الفتيات بسيقان الزرافات العارية وأحذيتهن الخفيفة، يمر الشعراء من رفاق الرحلة. لا أحد يجرؤ على إيقاظ النبطي الذي صرت إليه من نومه. في لحظة بذاتها يستغني المرء عن حواسه المباشرة. لا يرغب المرء في أن يقول "كنت هناك" بل يرغب في أن يكون موجودا.

"لقد عشت" حين يغمض المرء عينيه على مشهد من بترا يتحقق معنى العيش كله خارج التاريخ. لا يتعلق الأمر بفردوس أرضي بقدر ما يتراءى ذلك الفردوس بصفته نوعا من السلوك الأرضي. لا يكفي أن يكون المرء هناك.

ليست بترا بابل ولا قرطاج ولا روما. هي ليست صنيعا بشريا خالصا مثلما هي حال المدن التي صنعت تاريخا. في المسافة التي تقع بين الإنسان والإله تقع بترا بأسلوب خيال ومحبرة لكتابة لم تُستنفد حروفها بعد. مدينة هي نتاج تلك اللحظة الأسطورية التي يمتزج فيها الإلهي بالبشري من غير أن يعني ذلك الامتزاج انبثاق كائن ثالث هو وليد لحظة الالتباس العظيمة تلك. ولكن المعجزة تكمن في أن لا أحد في إمكانه أن يفصل بين ما هو نتاج الإله وبين ما هو بشري خالص في تفاصيل تلك الجمل الموسيقية التي تصل الأرض بالسماء. حتى الجبال التي هي هبة إلهية لا تستقر جماليا إلا من خلال الزخرف الذي تتقن استلهامه حياة الناس العاديين أو الملوك على حد سواء.

يرى المرء في الأفق البعيد لطخات سوداء في الجبل فيدرك أن كل واحدة من تلك اللطخات هي باب تؤدي إلى عالم آخر، هو جزء من سماء لا يزال في إمكانها أن ترتجل كائناتها اللامرئية. كائنات تنبثق من الحجر مثل ينابيع مجهولة المصدر، في يد كل كائن زهرة هي عبارة عن مفردة لغوية نضرة لا تذهب إلى القاموس بل إلى الفم مباشرة. كل اللغات ممكنة في بترا فلا عمر لها. أللحجارة قلب؟

أمة تلتحق بالخفاء

سلع التي صار اسمها بترا "الصخرة في اليونانية القديمة" بعد احتلالها من قبل الرومان يوم كان تراجان إمبراطورا كانت قد استقبلت الألفية الأولى بخفة الحرف الذي كانت خطوطه تتشكل متنقلا بين السلالات: بدأ ذلك الحرف آراميا ليخرج من مصهر الخيال النبطي عربيا لكن من غير نقاط. أبصر أعلى باب مهملة يدا واثقة تكتب جملة ملقاة من أجلي، من أجل رجل سيقف بعد ألفي سنة لا ليقرأ بل ليبكي.

لم يكن تراجان يتخيل مشهدي يوم انتهى إلى قراره: احتلال المدينة حتى لو مات أهلها عطشا. للاحتلال لغته التي تمضي معه غير أن هناك صمتا يتبع ضجيج تلك اللغة الهاذية لو أنصت إليه تراجان لأصابه الجنون.

في بترا يشعر المرء أن كل لغة هي مجموعة متلاحقة من لحظات الصمت. لا بد لك أن تصمت ليحل الجمال بكل أبهته. هل كان الأنباط يفكرون في نهاية التاريخ؟ شيء من هذا القبيل يهبط مثل نبوءة يائسة. كل هذا البياض من أجل صيحة ديك لم ينجده الفجر. لقد اختفى الأنباط أو اندمجوا بأقوام هي أقل منهم شأنا. وهو ما حدث للسومريين في العراق القديم.

لا تنتج الحضارات المطلقة إلا شعوبا مفاجئة في تواضعها وزهدها وضجرها الخلاق. هي ذي أمة تذهب إلى الخفاء. ولكن بترا لا تزال موجودة. على الأقل شيء منها هو ذلك الجزء المكتشف. وهو جزء بالرغم من صغره غير أنه يصيب الزائر بقدر هائل من الإرهاق البصري. يكفي أن المرء يقول لنفسه "لم أر ما يضارع هذا الجمال دنوا من لحظة الخلق النضرة".

> بترا لا تقيم في المكان عينه دائما، فهي ليست ذلك المكان الذي نحث الخطى فيه لاقتناص أمتاره طولا وعرضا، بل هي فكرة ملغزة عن مكان يشكل القبض عليه نوعا من المعجزة ❞

حين دخلت إلى الخزنة، إلى الجزء المكتشف منها، هبّت علي تيارات هوائية، لم تكن سوى جمل متشظية من لغات متجاورة، عرفت في ما بعد أن الأنباط باعتبارهم بناة مشروع جمالي كانوا قد وضعوها كلها في متناول ألسنتهم. أغادر بترا متلفتا وأنا أردد بيت الشريف الرضي "وتلفتت عيني فمذ خفيت/ عني الطلول تلفت القلب".
بترا مكان يتسع له القلب.

● بترا عمارة هائلة هي عبارة عن نحت عملاق مدور. استخرج الأنباط فيه من الجبل قصورهم ومعابدهم وبيوتهم ومقابرهم. وجدوا الجبل فصنعوا منه مادة لخيالهم. كانت الأسطورة تتبع خيال أصابعهم المتوترة. ليست الحقيقة التاريخية سوى ظل لذلك الخيال

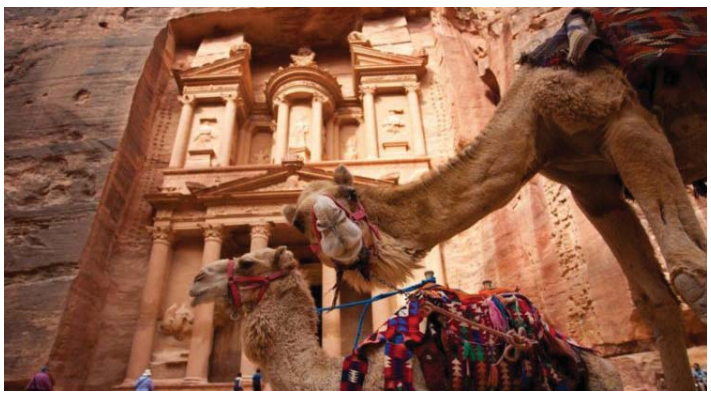

● زائر المدينة لا بد وأن يهتدي إلى فكرة نقدية ما: ربما استنفدت بترا أسباب وجودها. لا تتعلق تلك الأسباب بالتاريخ وحده، بل بالجمال في قوته الملهمة.

نظرة قلقة على التراث

سياسة ثقافية جديدة لإعادة توظيف الموروث العربي

حاتم الجوهري
كاتب من مصر

❑ لُبّ الدراسات الإنسانية خدمة المجتمع والتعبير عن حاجاته المتطورة والمغايرة، ففي لحظة تاريخية معينة تبرز الحاجة لظهور مجال إنساني جديد، وتختفي الحاجة لمجال قديم ربما بعد أن يكون قد وصل إلى ذروته وأدى دوره على أكمل وجه، وظهرت الحاجة للتعامل معه بطريقة جديدة لخدمة المجتمع الإنساني.

وصلت دراسات توثيق التراث المصري وتسجيله وحفظه من الضياع على مدى القرن الماضي إلى مداها، وذلك قبل أن يشهد المجتمع المصري عدة تطورات ككل دول العالم، اختفت معها العديد من مظاهر ذلك التراث وعاداته المتنوعة، وأصبح كمّ المتراكم في مجال دراسة الموروث الشعبي العربي والمصري على حد سواء، يحتاج غاية جديدة، هذه الغاية تفرض بدورها مجالا بحثيا وتطبيقيا جديدا لخدمتها وتفعيلها.

وأعتقد أن الغاية الجديدة في ذلك المجال عنوانها: إعادة توظيف التراث، ووفق هدف إعادة توظيف التراث يجب أن تظهر مجموعة من المجالات الجديدة ينشط فيها العاملون في هذا النطاق. إعادة توظيف التراث تهدف إلى المساعدة في إعادة خلق وتكوين الهوية القومية واستعادة سماتها المتفردة، في خضم عالم ساده التنمّط والاتباع لنمط الحياة الأميركي تماما من خلال العولمة. وستشمل استعادة التراث من سجلاته المحفوظة وإعادته عدة مجالات يجتهد فيها المجتهدون ويضعون فيها التصورات.

وقد تشمل أولا: إعادة التوظيف المباشر، وهو قد يضم مجموعة من العادات التي يمكن اختيارها وإعادة دمجها في الحياة المعاصرة لوجود وظيفة من الممكن أن تقوم بها في الحياة المعاصرة، وقد يشمل هذا المجال مثلا مجموعة من الأكلات الشعبية وتقاليدها وإعادة تقديمها في ثوب معاصر جديد بالاتفاق مع سلسلة مطاعم محترفة وطهاة بارعين، أو مجموعة من الأزياء الشعبية القديمة وتحويلها بالتعاون مع مصممي الأزياء المهرة إلى موضة جديدة جذابة، ودمجها في اتجاهات الذوق السائدة بالتعاون مع خبراء إعلاميين ومتخصصين في تشكيل وتوجيه الرأي العام عبر الحملات الإعلامية المختلفة.

كما يمكن اختيار عدة مشروبات شعبية طبيعية وتحويلها إلى منتج يمكن تصنيعه، مستفيدين من التوجه الجديد والثقافة التي تنتشر في الاستفادة من المكونات الصحية والعودة للطبيعة، والاتفاق مع مجموعة مصانع متخصصة في المسألة على البحث في طرق تصنيع وتقديم المنتجات الجديدة وتحويلها إلى موضة معاصرة رائجة.

وقد تشمل ثانيا: الصناعات الثقافية والإبداعية، التي تهتم بالعلاقة بين الخامات المحلية المتوفرة وبين الحرف اليدوية الشعبية المرتبطة بها، والعمل على استعادة وتعزيز الحرف التي تفعل الخامات الطبيعية الموجودة في مجموعة البيئات المحلية، وتحويلها إلى صناعة واسعة عن طريق المشاريع الصغيرة ذات الخطة الواحدة لتقدم خطا إنتاجيا عريضا وكافيا لخلق طلب كبير، أو عن طريق تطوير الحرفة الشعبية والبحث في طرق تحويلها إلى صناعة واسعة ضمن مشاريع كبيرة.

وأفرق بين الصناعات الثقافية والصناعات الإبداعية، عن طريق معيار التكرار والنمطية، فكلما كان المنتج متجانسا ومتشابها بقدر بعيد في طريقة صنعه وشكله النهائي داخل بيئة تصنيعه المحلية، يعد منتجا للصناعات الثقافية، كمنتجات جريد النخل التي تقدم في أشكال معتادة كأطقم الجلوس والحدائق مثلا. أما منتج الصناعات الإبداعية فأعطيه معيار التفرد والاختلاف في المنتج الواحد كل وحدة عن الأخرى، كصناعة السجاد اليدوي التي تقدم رسما وشكلا طبيعيا مختلفا في كل سجادة، أو التي تصنع حسب الطلب ووفق مواصفات مميزة.

وهذه الصناعات الإبداعية قد تشمل الدمج بين عدة حرف تراثية واستحداثها بشكل مبتكر، فمثلا يمكن الدمج بين صناعة البردي الثقافية النمطية، وتحويلها إلى صناعة إبداعية تشتهر بمنتجاتها، عن طريق دمجها بفن الخط العربي والزخرفة الإسلامية، لتقدم شكلا مختلفا حسب الطلب في كل ورقة بردي، على اعتبار أن تاريخ الفنون أصلا قائم على الدمج والاستعارة بين وحدات مختلفة الأصل والمكان والزمان، ليعطينا في كل مرحلة روحا جديدة.

وقد تشمل ثالثا وأخيرا: المستوى الفني ومهرجانات الأداء الجماهيري وفنون الطهي والتذوق في الساحات المفتوحة (والمسارح المكشوفة)؛ وهذا من أكثر المجالات الثلاثة استحقاقا للعمل وجهد المبدع، حيث سيقوم على الاجتهاد في اختيار واستعادة مجموعة من الطقوس والتقاليد التراثية القديمة، التي يمكن إعدادها ومعالجتها فنيا ليتم تقديمها في شكل فني جديد للجماهير من خلال مهرجانات عامة مخصصة لذلك. فمثلا يمكن استعادة طقوس الحصاد وأفراحه بما تشمله من مراسم وحفلات عرس وسمر وأغنيات، لإعادة تقديمه وإنتاجه سواء عن طريق أبناء البيئة المحلية وتذكيرهم بالطقس، أو عن طريق فرق شعبية تتخصص في استعادة الطقوس التراثية وإعادة تقديمها، كما يمكن أن يصحب طقس الحصاد وأفراحه بمهرجان للتذوق والطهي، عن العادات الغذائية المصاحبة له قديما سواء في الأفراح أو في مراحل الحصاد، كما يمكن عمل مهرجان موسع على نطاق مركزي داخل البلد نفسه لعرض ومقارنة طقوس الحصاد للبيئات المحلية المختلفة كالدلتا والصعيد ومطروح والنوبة والواحات وسيناء مثلا، كذلك يمكن عمل مهرجان الحصاد وأفراحه ذاته على المستوى العربي والتعرف على الثقافات العربية المشتركة بين وادي النيل والمغرب العربي والشام والخليج، ثم في مرحلة لاحقة يمكن عمل المهرجان نفسه على المستوى الدولي والمقابلة بين عادات وطقوس الحصاد بين مجموعة من الثقافات المتعددة في مختلف دول العالم والبحث عن المشتركات وقبول المختلف والتعرف عليه.

والمجال هنا يتسع لاختيار عناصر التراث وتوظيفها في مهرجانات الأداء الجماهيري، فيمكن تطبيق فكرة مهرجان الحصاد نفسه، على عادات الصيد البحري القديمة، أو الأغنيات المرتبطة بالميلاد أو الحرب، أو طرق التعامل مع المواد الأساسية للطعام كالدقيق والأسماك واللحوم والألبان والتمور وتقديمها في مهرجانات للطهي والتذوق، أو تصور حدوتة جحا الشعبية أو الغول على مستوى عدة دول عربية، وتقديمها في شكل درامي قصير، وفي المستقبل يمكن تطوير هذه الفكرة إلى عمل أوبريتات ملحمية شعبية كاملة وإعادة إحيائها في شكل يمزج بين مختلف فنون العرض، أو فلنعتبره نوعا فنيا جديدا يرتبط باستعادة التراث وإعادة زرعه في الوعي الجمعي من خلال تلك الملاحم وإعادة تمثيلها، وتخصيص الموارد للاستثمار في هذا المجال الجديد.

وأهمية الأمر هنا تكمن في أن بناء نموذج حضاري واستعادة الذات لأمة ما في عالم يتدافع الآن بقوة، يجب أن يقوم على فكرة مركزية وحزمة من السياسات الثقافية الداعمة لهذه الفكرة المركزية والمدمجة فيها، فإذا كانت الفكرة المركزية هي استعادة الذات العربية وتفردها وهويتها الخاصة ورصف الطريق لنهضتها، فإن إعادة توظيف التراث في رسم ملامح هذه الشخصية العربية يجب أن تكون آلية رئيسية، ومجالات للدراسات الإنسانية الجديدة، فرضتها الحاجة.

الرسمة للفنان محمد خياطة

أفريقيا تتطهر من جرائم الغرب بالسينما

سعد القرش
كاتب من مصر

❑ منذ زمن، أيام خلوّ البال ومجانية الأحلام، وضعت تصورا لكتاب عن مفهوم العنصرية وجذور الإبادة في السينما الأميركية، وكالعادة لم ألزم به نفسي. كنت مهموما بقدرة العقل الأداتي على تشييء الإنسان، ولو كان أخاه فهو شيء، أداة، سلعة أو وسيلة إلى سلعة، ويسهل التخلص منه بعقل بارد. أثناء التخطيط رأيت تجسيدا لذلك في ثلاثية «الأب الروحي». وشغلتني قضية الاستعلاء والعقل النيتشوي/ الداروينى، في ضوء أفلام منها «صمت الحملان» و«أساطير الخريف»، وكلاهما من بطولة أنطوني هوبكنز.

أغرتني الفكرة، وأنا أرى عربا ومسلمين مهزومين نفسيا؛ لا يرون في تاريخنا إلا نسخا داعشية، ناسين أن المسلمين لم يورطوا العالم في الحرب العظمى (1914-1918)، الحرب الأوروبية التي استهدفت اقتسام بلادنا، وأزهقت أرواح نحو تسعة ملايين، ومعهم 28 مليونا بين مصاب وأسير ومفقود. ولم يخرج منا مهووس عنصري اسمه أدولف هتلر أدخل العالم في حرب حصدت أكثر من 62 مليونا. وتخلو سجلاتنا من جريمة استعراضية مثل القصف النووي لهيروشيما ونجازاكي، أو قصف الطيران البريطاني-الأميركي لمدينة درسدن والحرب تكاد تكتب نهاية النازية. وليس في هذا السجل جريمة ضد الإنسانية كالتي نفذها الفرنسيون بحق جزائريين تظاهروا سلميا؛ لتذكير المستعمر بوعده لهم بالاستقلال، بعد نهاية حرب أسهموا فيها بالرجال والأرواح، فلم يتردد جيش الاستعمار في ارتكاب مذابح بلغ ضحاياها 45 ألف شهيد، في مدن قسنطينة وقالمة وسطيف.

ولكن الإغراء الأخير بشروعي في إنجاز الكتاب أنهاه الأستاذ فاروق عبدالخالق، فأراحني مؤقتا بكتابه «الهجرة.. الرق.. الحرية والبحث عن الهوية في أفلام دول غرب أفريقيا»، وهو أحدث إصدارات مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية (2018). ويقدم بانوراما للسينما الأفريقية، بعيون محلية واعية وواثقة وحانية، ولا تستهدف إبهار المشاهد الغربي، وتنجو من غواية الاستشراق.

الكتاب فرصة تأخرت كثيرا، لتقديم التحية إلى مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية منذ انطلاقه عام 2012، وللمرة الثانية أقول إنه الثمرة الوحيدة الباقية من طيف 25 يناير 2011، الثورة الشعبية التي ذكرت مصر بأفريقيا، وأعادت الأفارقة إلى مصر. وجسر العودة مهرجان أهلي دلالته أعمق من مجرد عروض للأفلام، فهو ينشط طوال العام ببرامج تشمل أسابيع للأفلام، وطموح الإنتاج المشترك، والتدريب على فنون السينما لشبان أفارقة، وقد أصدر في دوراته السبع كتبا تلقي أضواء على سينما كنا نجهلها، ومنها «سينما التحريك في أفريقيا» (2013) لمحمد غزالة، و«السينما الأفريقية في الألفية الثالثة» (2013) للفرنسي أوليفيه بارليه، وترجمة فرح سوميس وحورية بويحيى. وفي عام 2014 صدر كتاب ثان لأوليفيه بارليه وترجمته عبلة عبدالحفيظ سالم، وفيه يقول بارليه إن «أفريقيا قادرة على تعليمنا الكثير من الأشياء إذا أردنا الإنصات إليها دون الرغبة في إرشادها بهدف إنقاذها». أما الكتاب الأهم فعنوانه «الفيسباكو حالة أفريقية.. المهرجان البانافريقي للسينما والتلفزيون.. واغادوغو 1969-2009» للفرنسي كولان دوبري وترجمته عبلة سالم. ويثبت الكتاب كم غابت مصر عن أفريقيا، جهلا أو استعلاء، وربما اكتفاء باحتذاء خطى المستعمر على الشاطئ الآخر للبحر المتوسط، في حين كانت أفريقيا تبدع فنونها، ويؤسس فنانوها في فبراير 1969 أول مهرجان للسينما الأفريقية في جنوب الصحراء الكبرى، في واغادوغو عاصمة فولتا العليا «بوركينا فاسو، وتعني أرض الأطهار».

> الكتاب فرصة تأخرت كثيرا، لتقديم التحية إلى مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية منذ انطلاقه عام 2012، وللمرة الثانية أقول إنه الثمرة الوحيدة الباقية من طيف 25 يناير 2011

عرض مهرجان الأقصر أفلاما من كلاسيكيات السينما الأفريقية، مثل «فتاة سوداء» (1966) للرائد السنغالي عثمان سمبين، والفيلم وجه عصري لتراث استعباد عمره عدة قرون، وكان من ضحاياه ملايين لا يعرف لهم حصر دقيق، تم قنصهم وقيدوا في السلاسل، وبيعوا في أسواق أوروبا وأميركا، ومن حاول التمرد ألقي طعاما لأسماك المحيط.

يتتبع فاروق عبدالخالق منحى رؤية السينما للأفارقة، من عنصرية غربية كرست الصورة الذهنية الاستشراقية، واعتبرتهم متوحشين وهمجا بدائيين ومحتالين، إلى رؤى وطنية لمخرجي أفريقيا بعد الاستقلال في ستينات القرن الماضي، وتحفل أعمالهم بثراء حضاري وفني وثقافي أفريقي، وتذكّر بجرائم «الأوروبي المتحضر». وكان في انتظار الجيل الجديد من سينمائيي أفريقيا قضايا لا تقل تعقيدا، وأبرزها الهجرة السرية، جرح جديد ينزف، والاستعمار القديم، ناهب الثروات والأرواح، يدير ظهره، ولا يريد أن يتحمل نصيبا من المسؤولية الأخلاقية عنه.

مرايا ويوسف إدريس وأرستقراطيته

محمد حياوي
كاتب من العراق

❑ من بين الكتّاب العرب القلائل الذين تأثرت بهم في مطلع حياتي الأدبية كان الكاتب الكبير الراحل يوسف إدريس، أذكر أنّني كنتُ مهووسا بأسلوبه الرشيق وجرأة موضوعاته واقتحامه التابوهات، لا سيّما في أعماله العظيمة مثل "لغة الآي آي" و"النداهة" و"بيت من لحم" و"الحرام" و"العيب" وغيرها، وأزعم أنّني قد قرأت له جل أعماله التي وصلت العراق آنذاك بتأثر شديد، لا سيّما القصصيَّة منها، وفي أواخر الثمانينات من القرن الماضي، وكنت وقتها أديبا شابّا يقودني جموحي وتمردي، سنحت لي فرصة لم تكن في الحسبان لمقابلة يوسف إدريس بعد أن تمت دعوته من الجهات المشرفة على مهرجان المربد، وكان المسؤولون في وزارة الثقافة آنذاك من كبار المثقفين والمبدعين العراقيين، وكانوا يقدرون مواهبنا نحن الشباب حتى وإن لم نكن محسوبين على النظام، وقد جرت العادة على تخصيص أديب شاب لكل زائر من الضيوف الكبار، فاستقتلت من أجل أن أكون مرافقا ليوسف إدريس، وكان لي ذلك في نهاية المطاف، فالتقيته لأوّل مرّة في مكان إقامته في فندق المنصور ميليا في جانب الكرخ وكنت متحرجا ومترددا، لكنني فوجئت ببساطته وحلاوة روحه وميله للنكتة والسخرية من الواقع المؤلم الذي كان يحيط بنا.

كان إدريس وقتها من أشدّ المعارضين لاتفاقيات كامب ديفيد، وهو الأمر الذي جعله يحظى بمكانة كبيرة لدى النظام في العراق وصدام حسين تحديدا، حتى أنّني كنت حذرا من مكاشفتي له بكرهي للنظام، لكن حين جمعتنا ذات ليلة جلسة هادئة على ضفاف دجلة في شارع أبي نؤاس وتكشفت السرائر وأسدل الارتياح أستاره على النفوس، اكتشفت سخريته الكبيرة من الأنظمة والدكتاتوريات، وتعلقت به أكثر بعد تلك الليلة. كنا نقضي الوقت بالتسكع في أزقة بغداد العباسية القديمة وتناول الأطعمة البسيطة، لا سيما لحمة الرأس التي نطلق عليها في العراق "الباجة" بتفخيم الباء.

ولعل من أكثر الكلمات التي تركت أثرا عميقا في نفسي ووعي هي تلك الكلمات التي وصف فيها الأدب، عندما عاب على نصّي - آنذاك - سطحيته وخوفه وجبنه وتردده وخشيته من العيب، على حدّ قوله، "ضع لهم المرايا في وجوههم، سيديرون نظراتهم إلى الناحية الأخرى أو سيتراجعون أو يضعون أيديهم على أفواههم المفغورة دهشة، لكن لا تكن رحيما ولا ترفعها حتى يروا حقيقتهم، الناس تحب من يجرؤ على كشف حقيقتهم يا محمد".

كانت كلماته عن مفهوم الثورة وعدم جدوى الخطب الرنانة تلهمني في الحقيقة، على الرغم من ميله للانحراف نحو موضوعة المرأة، كما لو كان يستقرئ ميلي الفطري لتلك الموضوعة، لكن أكثر ما كان يدهشني فيه هو حجم التناقض الكبير بين شكله الأرستقراطي وموضوعاته المغرقة في المحليّة وقصص القاع والغوص بعيدا في عمق المجتمع المصري. وكان يبرر ذلك في القدرة على النظر من مكان مرتفع لرؤية المشهد كاملا "لا تستطيع أن ترى ما هو موجود على تلك الطاولة من أطباق وكؤوس لو كانت زاوية النظر لديك منخفضة يا عزيزي، لكن لو وقفت ستتسلط على المشهد كاملا. هل فهمت ما أعنيه الآن؟" طبعا فهمت ما رمى إليه وقتها، على الرغم من دهشتي الكبيرة من إسباغ الفلسفة حتى على تلك المفردات البسيطة التي تحيط بنا، لكن في المحصلة أستطيع القول إن ذلك اللقاء البعيد والوحيد الذي جمعني مع كاتب بحجم يوسف إدريس، قد غيّر الكثير من المفاهيم لدي، سواء على صعيد النظرة للحياة أو على صعيد فهم وظيفة الأدب وجدواه وماهيته.

الهوس باللون

توني موريسون تبحث عن «جذور الآخرين»

توني موريسون روت حكاية امرأة سوداء اغتاظت عندما رأت حفيدتها أقل سواداً

حسونة المصباحي
كاتب تونسي

❑ لم تشرع توني موريسون الحائزة على جائزة نوبل للآداب في كتابة الرواية والقصة بصفة فعليّة إلاّ بعد أن تجاوزت سنّ الأربعين. كان عليها أن تقضي خمسة أعوام لكي تنتهي من كتابة روايتها الأولى "صول" التي تتحدث عن امرأة تعيش في حيّ من أحياء مدينة أوهايو. وبسبب رفضها للتقاليد المحافظة، تتعرض إلى هجومات عنيفة من الأوساط المتشبثة بتلك التقاليد. وبفضل هذه الرواية التي لقيت نجاحا واسعا، فرضت توني موريسون نفسها في المشهد الأدبي الأميركي والعالمي.

في روايتها الشهيرة Beloved التي حوّلت إلى فيلم نال إعجاب الملايين في جميع أنحاء العالم، تتطرّق توني موريسون إلى موضوع العبودية. وتدور أحداث هذه الرواية في القرن السابع عشر، أي في الفترة التي كانت فيها الولايات المتحدة الأميركيّة لا تزال "عالما جديدا". وكان المهاجرون يتدفقون إليها من البلدان الأوروبية بأعداد وفيرة، بينهم سويديّون، وفرنسيّون، وإسبان، وإيطاليون، وهولنديّون، وروس. وكانت المدن تسمى بحسب الأسماء التي يختارها لها المهاجرون.

في هذه الفترة بدأ يظهر خدم بيض. وفي الحقيقة كان هؤلاء الخدم عبيدا تماما مثلما هو الحال بالنسبة للخدم السود. وفي طريقهم إلى المهجر الأميركي، كان البعض من هؤلاء الخدم البيض يموتون قبل الوصول إلى "العالم الجديد". أما الذين يتمكنون من الوصول فإنهم يتحولون في الحين إلى عبيد. وكذلك زوجاتهم، وأبناؤهم. الشيء الوحيد الذي كان يميّز الخدم السود عن الخدم البيض هو أن هؤلاء كان باستطاعتهم أن يفرّوا، وأن يذوبوا في الجموع البيضاء. وهذا ما لم يكن بمقدور الخدم الزنوج القيام به بسبب لون بشرتهم.

يضم الكتاب الجديد لتوني موريسون "جذور الآخرين" الصادر حديثا في ترجمة فرنسية عن دار "كريستيان بورغوا" ست محاضرات كانت قد ألقتها في جامعة "هارفارد" عام 2016، وفيها تناولت موضوعات مختلفة متصلة اتصالا وثيقا بقضية العنصرية في الولايات المتحدة الأميركية، وبالعلاقات بين البيض والسود، وبلون البشرة، وبالهجرات الجماعية التي يواجهها العالم راهنا. وقد اعتمدت توني موريسون في ذلك على وثائق تاريخية، وعلى شهادات من البيض والسود، وعلى أعمال روائيين كبار أمثال فوكنر وهمنغواي. كما خصصت بعض الفصول لتقديم قراءتها الخاصة لأعمالها التي تناولت فيها جوانب مختلفة من المظالم التي تعرض لها السود في الولايات المتحدة الأميركية.

وكانت توني موريسون قد ألقت هذه المحاضرات في فترة عرفت فيها العنصريّة البيضاء تصاعدا رهيبا ومفزعا، خصوصا بعد أن تمكن اليمينيون بقيادة رونالد ترامب من الدخول إلى البيت الأبيض ليصبحوا مُتحكمين في السياسة الأميركية داخليا وخارجيا.

إلاّ أن توني موريسون لم تتطرق إلى الأوضاع الحالية بشكل مباشر، بل اختارت النبش في جوانب مختلفة من التاريخ الأميركي بحثا عما يثبت بالدليل القاطع أن العنصرية البيضاء قد تتقلص لحين من الزمن لكنها سرعان ما تعود متخذة أشكالا مسبوقة أو غير مسبوقة. لذلك يمكن القول إن كتاب توني موريسون يتواصل مع كتب أخرى ظهرت في فترات سابقة مثل كتب سفان بيكيرت وإدوارد بابتيست التي أبرزت الطبيعة العنيفة للعنصرية، وكتب جيمس ماكفيرسون وإيريك فونير التي كشفت عن الأسباب التي أدت إلى الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب، إلى دحر المجهودات التي كانت تهدف إلى بناء البلاد وإعمارها. كما يلتقي كتابها مع كتابات خليل جبران محمد وبريس واستارن التي أظهرت كيف أن العنصرية مهدت إلى محْتشدات الاعتقال الجماعية.

بشرة سوداء

في بداية الكتاب، تشير توني موريسون إلى أن اكتشافها لما ترمز إليه بشرتها السوداء يعود إلى طفولتها. فذات يوم، جاءت الجدة من الأم التي كانت "سوداء مثل القطران" لزيارة عائلتها، وحالما لاحظت أن حفيدتها كانت أقلّ سوادا منها، اغتاظت وصاحت محتجة على ذلك لأن لون البشرة بالنسبة لها هو الذي يحدد أصالة جنسها. أما الأقل سوادا فهم مزيفون. وهم أقرب إلى البيض منهم إلى السود. ومنذ ذلك الحين، ترسخت في ذهن الطفلة الصغيرة التي هي توني موريسون رمزيّة لون بشرتها في مجتمع يعاني من العنصرية البيضاء، لتصبح هذه الرمزية موضوعا أساسيا في جل أعمالها الروائية والقصصية.

تقول توني موريسون إنها اعتمدت في روايتها "Beloved" على قصة واقعية بطلتها امرأة سوداء تدعى مارغريت غارنار في الخامسة والعشرين من عمرها، قامت بقتل أطفالها الأربعة بأشكال وحشية لكي لا "تسلط عليهم المظالم التي سُلطت عليها"، ولكي "لا يعذبهم الأسياد البيض مثلما عذبوها" بحسب تعبيرها. وقد ارتكبت تلك المرأة جرائمها بهدوء، وبصفاء ذهني عجيب كما لو أنها تؤدي عملا صالحا. ولم تقم والدتها بردعها، بل كانت تراقب أفعالها من دون أن يصدر منها ما يشير بالموافقة أو الاعتراض، داعية الله أن "يأخذها بسرعة إلى العالم الآخر حيث يكف الأشرار عن ارتكاب الذنوب".

الأبيض المغتصب

من خلال يوميات صاحب مزرعة يدعى توني ثيستلوود، تثبت توني موريسون أن الإنسان العنصري يمكن أن يسعى إلى إثبات إنسانيته بأفعال لا إنسانية. فقد كان هذا الرجل يقوم يوميا باغتصاب الخادمات والعاملات في مزرعته إرضاء لشهواته وهوسه الجنسي. وهو لا يفصل أفعاله هذه عن الأعمال اليومية التي يقوم بها كالحرث، والزرع، وجزّ الأغنام، واستقبال الزوار، وغير ذلك. وهو يغتصب الخادمات والعاملات مرددا في داخله: أنا لست وحشا! أنا لست وحشا! وإنما أنا أعذب اللاتي من دون وسيلة للدفاع عن أنفسهن لكي أؤكد لنفسي أنني لست ضعيفا!".

كان توني ثيستلوود يعتبر عملية الاغتصاب "حقا مشروعا" باعتباره "سيدا" متفوقا عقليا، ويتمتع بخصال ومواهب لا يتمتع بها ضحاياه. وقد يجد "الأسياد البيض" متعة في تعذيب خدمهم السود من خلال إجبارهم على القيام بأعمال مرهقة، بل قاتلة في بعض الأحيان. من ذلك مثلا أن امرأة سوداء روت أنها كانت تقضي الشطر الأكبر من النهار في منجم للملح ورجلاها في الماء حتى الركبتين. وفي نهاية عملها، تخرج منتفخة الساقين بحيث لا تقدر على الحركة بطريقة عادية. وكانت تصف مرورها من "سيّد إلى آخرّ كما لو أنه مرور من جزار إلى جزار آخر قد يكون أشد منه قسوة وشراسة".

الهوس باللون

في التقارير التي أعدوها، سعى علماء وأطباء بيض إلى إظهار دونية السود لتبرير عنصريتهم. وفي تقريره حول الأمراض والخاصيات الفيزيقية للجنس الأسود، أشار طبيب يدعى صامويل كارترايت كان يدافع باستماتة عن الاستعباد، إلى أن القاعدة العامة تثبت، باستثناء بعض الحالات، أن السود لا يمكنهم أن يتمتعوا بالمواهب والمَلَكَات التي تخوّلُ لهم الحصول على ثقافة أخلاقية والاستفادة من تربية دينية أو غيرها إلاّ إذا ما كانوا خاضعين لسلطة الرجل الأبيض. فإن لم يكونوا خاضعين لهذه السلطة، فإنهم يمضون حياتهم خاملين، ساكنين، وشبه نائمين كما لو أنهم مُخدّرُون. بل أن الدم الأسود الذي يجري في عروقهم غالبا ما يكون حافزا للجريمة، والعنف، والهمجية، والجهل، ورفض كل ما يمتّ بصلة للحضارة والتمدن.

وفي محاضرة حملت عنوان "الهوس باللون"، تطرقت توني موريسون إلى ملامح وخاصيات العنصرية البيضاء في الأدب. ففي قصة للكاتبة فلانري أو كونور بعنوان "الزنجي المُخْتَلَق"، يحاول رجل أبيض يدعى المستر هيد تعليم حفيده منذ البداية كيف يميز بين الرجل الأبيض والرجل الأسود، موحيا له أن هذا الأخير "ليس إنسانا بالمعنى الحقيقي للكلمة"، بل هو في مستوى قد يكون قريبا من مستوى الحيوان. وفي روايات وقصص ويليام فوكنر، تتحول قطرة الدم التي قد يحملها رجل أبيض إلى "لعنة" تلاحقه طوال حياته، وإلى عقدة تثير لديه نوازع العنف والشر والجريمة.

وعند همنغواي، قد يكون اللون الأسود موقظا للغرائز الجنسية ومحفزا على الشبقية والإيروسية. ففي قصة "حديقة عدن"، يقضي شاب وشابة شهر العسل على الشاطئ اللازوردي الفرنسي، وهما يمارسان الجنس طوال الوقت بمتعة لا مثيل لها. وفي حوار يدور بينهما، تطلب الفتاة من الفتى الذهاب إلى شاطئ في الجنوب لتصبح أكثر "سوادا" إذ أن اللون الأسود يثيرها، ويجعلها راغبة في المزيد من متع الحب والجنس.

رف الكتب

القطع بين الماضي والمستقبل فنيا وسياسيا

❑ يذهب الرأي العام الفكري إلى القول إننا انتهينا من السرديات الكبرى والحداثة الفنية، والحال أننا لسنا واثقين تماما أننا بدأنا التفكير في ما يغطي هذين اللفظين. لفهم ما يدور في حركات التفتح والانقلابات الفنية التي ترافقه، ينبغي أن نضع في الحسبان البعد المضاعف للزمن. خلف الصورة البسيطة للخط الممدود بين الماضي والمستقبل، ذلك الذي يحمل الوعود والخيبات، ثمة تراتبية أشكال حياة تفصل بين التي لديها متسع من الوقت والتي ليس لديها. في كتابه الجديد "الأزمنة الحديثة: الفن والزمن والسياسة"، يبين الفيلسوف جاك رانسيير كيف يتنزل الصراع ضد تقسيم الوقت هذا في صميم الثورات السياسية والفنية الحديثة، وكيف يعقّد المظهر البالغ البساطة للقطع بين القديم والجديد. لإقامة الدليل على نظريته استعان رانسيير بفيلسوف يؤمن بالعلو والتسامي، وبعاملين في حظائر البناء، وثلاثة سينمائيين وبعض الراقصات لبناء مشهدية عن ذلك القطع.

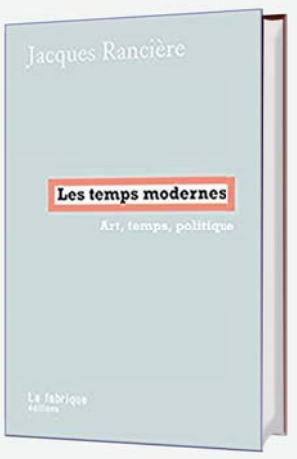

ساحات السلطة أم ساحات عامة

❑ على مر الأزمنة، حرص الحكام، من يوليوس قيصر ولويس الرابع عشر ونابليون الثالث إلى إسماعيل باشا وهتلر وستالين، على تهيئة ساحات عامة تليق بصورتهم، فهي فضاءات جعلت كي تجسد رؤيتهم السياسية وتعزيز سلطتهم. فتركوا لنا ميادين ملكية، امبراطورية، قومية، فاشية لا تزال حتى يومنا هذا قائمة في المدن والقرى.

ذلك ما تتناوله أستاذة الفلسفة السياسية جويل زاسك في كتابها الجديد "عندما تصبح الساحة عامة"، وتتساءل: إذا كانت تلك غاية الحكام السابقين الذين لا يعترفون إلا بشخصهم لا يأتمرون إلا بما يمليه عليه فكرهم، فما موقف الحكام في الديمقراطيات الغربية اليوم؟ هل سيطالبون هم أيضا بميادين تليق بمُثلهم وتروج لأنماط عيشهم؟ والجواب في رأيها بالنفي، مع استثناءات قليلة.

الطريف أن هذا السؤال لم يسبق طرحه حتى في أثينا. فمن يأتي الخلل؟ وما طبيعة اللاوعي السياسي الذي يجعلنا لا نبصره؟ وأي ميادين في ظل الديمقراطية؟

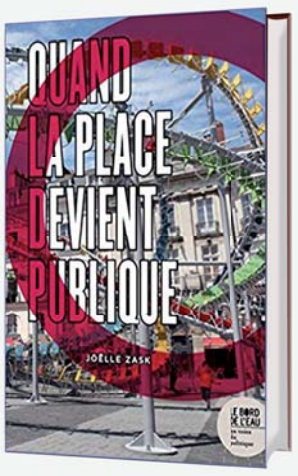

مديح النزعة المحافظة

❑ لئن كانت النزعة المحافظة طريقة مخصوصة في الوجود، و"مزاجا" يطالب بنصيبه في شتى أنشطة البشر والفنون والموسيقى والآداب والعلوم والدين، والسياسة بطبيعة الحال، فإن الفلسفة السياسية التي استمدت منها اسمها تولدت عن ثورات ثلاث: الثورة الإنكليزية المجيدة عام 1688، والثورة الأمريكية التي اكتملت عام 1783، والثورة الفرنسية عام 1789. تاريخ هذا التيار الفكري المنبوذ والمجهول هو ما يقترحه الكاتب والفيلسوف الإنكليزي روجر سكروتن عضو الأكاديمية البريطانية والأستاذ المحاضر بجامعات أوكسفورد وبوسطن وواشنطن، ويعترض على صورة المحافظ النوستالجي، الرجعي الذي يتبدى فكره دائما في حالة حداد، كما يتبدى ذهنه منصرفا بغير انقطاع نحو الماضي، بل يمتدح هذا التيار ليؤكد مدى ما يحويه تراثه من ثراء متعدد الأوجه، اكتسب حقه في الحضور منذ القرن السابع عشر، وأغنى فكر فلاسفة كثر.

النقد ميزان القيمة

حمادي صمود: النقد العربي الحديث ليس منفصلا عن أصوله القديمة

محمد الحمامصي
كاتب مصري

❏ اشتغل الباحث والناقد التونسي حمّادي صمود على ميدان الخطاب، وتحليله قادما إليه من النظرية البلاغية القديمة، حيث عمل على البلاغة العربية، وقبلها البلاغة اللاتينية واليونانية، لينتقل إلى تحليل الخطاب، والعلاقة بين الحياة والنص، وقدم في هذا الميدان أعمالا عدة، ثم انطلاقا من إيمانه بضرورة خدمة اللغة العربية، اشتغل مع أستاذه عبدالقادر المهيري على أمهات الكتب اللغوية في الترجمة، فقاما بترجمة معجمين كبيرين جدا يبلغ تعداد صفحات الواحد منهما 1500 صفحة تقريبا، وهما من أهم المعاجم الآن بالفرنسية في قضايا اللغة، وقضايا الميادين التي تستعمل فيها، المعجم الأول "معجم تحليل الخطاب"، والثاني "المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة". وهما مساهمة لصياغة هذه العلوم باللغة العربية، وتقديمها للقارئ وخاصة القارئ الذي لا يحسن الفرنسية.

يعمل الناقد صمود حاليا على مشروع كبير مسجل في المجمع التونسي "بيت الحكمة" عنوانه "صورة المجتمع في كتب أخبار الأدب إلى القرن الرابع الهجري"، مؤكدا أنه يحاول فيه الكشف عن الجانب الذي لم نتعود على رؤيته في حياتنا العربية، وهو كيف كان الناس يحيون إلى جانب النص، هناك النص، وهناك الحياة، كيف كانت العلاقة بين النص والحياة؟ الناس في كتب أخبار الأدب كيف يعيشون يومهم؟ إنني أسعى لاستخراج الصورة التي كانت عليها حياتهم في ذلك الوقت.

حاز صمود على جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية في دورتها الخامسة عشرة (2016–2017) حقل الدراسات الأدبية والنقد، ووفقا للجنة التحكيم "تقديرا لجهده في إثراء النقد العربي الحديث، حيث قدّم أفكارا ومعالجات جديدة في التراث البلاغي العربي، فهو من القلائل الذين تتوافر في منتجهم المعرفي درجة عالية من العمق والتمحيص، وتأصيل المكتسبات المعرفية الإنسانية في الثقافة العربية".

لا قطع مع الموروث

انطلاقا من رؤيته لمشهد النقد العربي كان الحوار مع حمادي صمود الذي قال إن النقد العربي له ملامح خاصة به، باعتباره يمتد إلى أو ينطلق من كما نريد إلى النقد العربي القديم، المشهد النقدي الآن، مهما كانت التغيرات التي تحدث أو حدثت فيه، ومهما كان التطعيم الذي يمكن أن يمارس، فالنقد العربي أولا يأتي من النظرية العربية القديمة للأدب، ومن الأطروحات الكبرى التي طرحها النقاد العرب عندما مارسوا نصوصهم، فنحن نمارس هذا النقد باعتبار استحضار أهم ما في هذا النقد القديم من قضايا بعضها لافت جدا، وبعضها مواقف في فهم الشعر، وتحديد دواعي المزية في الشعر والنثر، حتى وصل الأمر إلى النص القرآني. هذا كله أعطى ملامح لنظرية عربية قديمة متجذرة في التراث متعلقة بالنص، هذا النص العابر للأزمنة والأمكنة، باعتبار أنه نص شعري، والنقد العربي اليوم مهما كان اعتماده أو اطلاعه على المعرفة الحديثة في النقد والاتجاهات والتطورات الحديثة، فلا بد أنه يستحضر هذا الموروث، ويستحضر ما فيه من مواقف مهمة، والملمح الأساسي أنه لا قطع بين الموروث النقدي القديم والموروث اليوم، بل هو امتداد ومحاولة لجعل النقد العربي القديم بما يكتسب طرقا في القراءة الجديدة، جعله النقد قادرا على أن يقرأ النصوص الحديثة، وأن يساهم في الحوار الدائر الآن في القضايا النقدية، حيث أن النقد العربي اليوم عند أي ناقد من النقاد ليس منفصلا عن الجذور النقدية عن العربية القديمة.

التواصل مع العالم

يرفض صمود أن تكون حركة النقد العربي قد استحوذت عليها المدارس والتيارات النقدية الغربية، وأضاف "المعرفة ليس بها استحواذ ولا سيطرة، المعرفة هي منتوج فكر عالمي نحن جزء منه، ونحن مدعوون وبشكل أساسي إلى أن نكون في خضم هذه المعرفة، والاطلاع على هذه الأمور وحزقها وتبين أصولها ومنطلقاتها وغايتها، هو أمر نحن مندوبون إليه. الاطلاع ضروري، لا يمكن للإنسان أن يعيش الآن دون الاطلاع على ما يجري في العالم من تطورات ونظريات تغذي المعرفة. بقي أن تكون هناك استعمالات مدرسية لمثل هذه الأمور، وهذا لا يحسب على النقد، هذا ليس نقدا، الإنسان الذي يبقى في ظاهر النظرية، ويحاول أن يُجريها على النص العربي مهما كانت ودون ترو أو احترام الممكنات الموجودة في النص التي لا تحمل ذلك، فهذا لا يعتبر ناقدا، الناقد مبدئيا يجب أن يكون متجذرا في التراث وعارفا به، مدركا لما يؤسسه من ناحية الرؤية، ومن ناحية المنطلقات المعرفية، علينا ألا نحسب من النقد ما ليس من النقد، هناك صحيح طفرات، وهناك محاكاة سخيفة وبسيطة، ولكن هذا لا يدعونا إلى أن نجعل الاطلاع على الفكر الآخر وعلى ما يدور في العالم من المعرفة استحواذا، ليس استحواذا. نحن مدعوون، وبإلحاح، إلى أن نكون على علم بما يجري في الكون، كل واحد منا في اختصاصه، كل واحد مدعو إلى ألا يركن ولا يرتاح أو يطمئن إلى بعض ما تحصل عليه من علوم، لعلها إن تثبت منها وجدها في حاجة إلى تعهد أو في حاجة إلى تطوير".

نص على نص

رأى صمود أن مشكلة النقد العربي في علم القيمة، علم المزية، وقال "كان النقد العربي القديم يسعى إلى إبراز مزية نص على نص وتفوق نص على نص، وما الذي يجعل من نص معين نصا أدبيا؟ المسألة مسألة القيمة، أين مكمن القيمة؟.. هل القيمة في قدرة الكاتب، وبالتالي الكاتب الذي يملك القيمة في نصه هو من يسيطر على اللغة وله معرفة بالآداب، وفي ذهنه القوالب الأساسية التي على أساسها يمكن أن يكتب الأدب، أم أن القيمة في السياق، أم أن القيمة في القارئ؟ إن التطورات التي حدثت في العالم كله من بداية القرن الماضي إلى اليوم، لا تعدو أن تكون في مثلث أو بنية ثلاثية الأضلاع. المرحلة الأولى عشنا ردها من الزمن على أن النص ملك لصاحبه يضع ما يريد ويوجهه الوجهة التي يريد، ويخدم به - إذن - أغراضه، باعتبار أن النص مرآة تنعكس عليها حياته ونفسيته، عشنا على ذلك زمنا طويلا، وكان النقد يبحث من ناحية النص - زمنا طويلا - عن نفسية الكاتب وعن الأوهام التي تعيش في ذهنه.. إلخ، إذ النص هنا مرآة الكاتب".

المرحلة الثانية هي أنه وقع الانتباه إلى أن اللغة رغم كل شيء مستقلة عن كاتبها، وأن للغة ذاكرة، وأن اللغة لا تقول ما يريد مستعملها أن يُقوّلها، بل تقول ما يريد أن يقول ولكنها تقول ما تريد هي قوله، ولا يعرفه هو نفسه، وأن اللغة لها استقلال عن الكاتب وأنها عالم وبنية ولها علاقات تربط بين أجزائها ولها تاريخ وسياقات نزلت بها ولها ذاكرة، وأصبحت - إذن - قادرة على أن تقول على لسان الكاتب ما لم يخطر بباله، وهنا كان الاهتمام بالنص، ليصبح أهم من صاحبه.

المرحلة الثالثة هي تلك التي جاءت مع جماليات التلقي والمدرسة الألمانية، وهانس روبيرت ياوس وأصحابه لهم فضل كبير، حيث أن المعنى والقيمة في الحوار الذي ينشأ بين النص المكتوب وبين النص الذي في ذهن القارئ، وبين شبكة القراءة التي يمتلكها القارئ. هذه تطورات كبرى، في النظرية ومحاولة تحديد مكمن القيمة، ومكمن المعنى، ومن الذي ينتج المعنى، ومن هو القادر على الوقوف على المعنى.. إلخ. هذه الأشياء ليست أجنبية ولا عربية، هي مخاض متأت نشأ عن تفكير الإنسان المستمر في ما يصنع في اللغة وباللغة.

النقد والعلم

يشير صمود إلى استغرابه للمحاكمات التي تقام في الكثير من الدول العربية للتيارات الفكرية الهامة، محاكمات ساذجة قام بها بعض ممن لا يعرفون الأصول. الحقيقة أن كلمة نقد الآن عندنا تطلق على كل من هب ودب، كل من كتب نصا عن نص أصبح ناقدا، كل من أرسل فكرة في ما يخص كتاب سمي ناقدا. إن النقد في أصل معناه خبرة لأن "نقر ونقد"، والنقد هو تمييز الغش من الصالح، والكلمة في أصلها لـ"الصكة" أي الفلوس، كانوا يميزون بين الدينار الصالح والدينار المغشوش.. والعصفور ينقر الثمرة ليرى إن كان أصبح بالإمكان استغلالها أم لا. إن عملية النقد هي عملية تثبت وتدقيق ومعرفة، وليست هكذا الآن، نحن الآن في بلداننا لدينا القدرة على إنتاج النقاد بالآلاف، ليسوا نقادا هؤلاء الذين يشتغلون على السماع عن المذهب البنيوي ثم يخطون في ما يخص قصيدة أو نص سردي كلاما فارغا.. هذا لا يعد نقدا.

وأكد صمود أن قوله هذا يسري على المشهد النقدي التونسي، كما يسري على المشهد العربي النقدي وأشار إلى أن مشهد النقد العربي ينقصه أمر أساسي، هو أن يكون النقد رديف العلم. إن المعرفة الأدبية ليست هينة، لكن للأسف نحن نستهين بها ونعتبر أن الأدب - سامحني نقول بالتونسية "البهيم القصير يستطيع كل إنسان أن يركبه" - لا يستطيع كل إنسان أن يركبه، الأدب معرفة وخبرة وتعمق في الأشياء واكتشاف لها، وكونه لا ينطوي على معادلات رياضية أو فيزيائية، فلا يعني هذا أن كل إنسان يستطيع أن يتكلم فيه، ولكن عندنا في العالم العربي، كل إنسان يستطيع أن يتحدث في الشعر والقصة والرواية والنقد، بينما الأمر اختصاص، اختصاص ربما استدعى من صاحبه خبرة ومعرفة أكثر مما تستدعيه بعض الاختصاصات الأخرى.

حمادي صمود: الموروث النقدي حاضر في التجربة العربية الحديثة

النقد الثقافي

يلفت صمود إلى أننا نفتقر إلى نقد ثقافي رصين، ومتابعة لكل ما ينشر، متابعة يومية، وهذا مجاله الصفحات الأدبية في الصحف، وأن يقوم به أناس متخصصون. عندما تعيش في الغرب، تقرأ أحيانا في جريدة كجريدة لوموند، مرة في الأسبوع أربع صفحات أو أكثر لعالم الكتب، جريدة لوموند تستدعي لذلك كبار القوم من مختصين عارفين حتى يقدموا لهذا الكتاب أو ذاك سواء في الفلسفة أو الرواية أو الشعر أو النقد أو الفكر.. إلخ تقديما معرفيا، وهذا ما لا نجده في ما ينشر في صحفنا، وهو ما يسمى بالنقد الثقافي.

إن النقد الصحافي الذي يعلم الناس وينشر بينهم الوعي والمعرفة وينبههم إلى الجيد من الكتب ويحذرهم من الرديء، ليس عندنا، وإذا وجد فهو أقل من القليل. إن النقد الثقافي هو ما يتابع الإصدارات بقراءتها قراءة جدية ليست عاجلة تقف عند صفحة من الأول وصفحة من الآخر، ويبدي فيها رأيه. عندما تفتح الصحف عندنا من حين إلى حين تجد شيئا، لكن في الغالب هذا الذي ينقصه.

نحن والمعرفة

حول مطالبته أن تستعيد الجامعة العربية المعرفة استعادة دقيقة قال "إنني أطمح وأريد لأمتنا وجامعتنا وشبابنا أن يلتحقوا بالأفق أو بالمدار الذي يصبحون فيه قادرين على إنتاج المعرفة، لأن إنتاج المعرفة هو طريق الحرية والاستقلال وتطور اللغة، اللغة لا تتطور، ولا يصبح لها بين اللغات شأن كبير إلا إذا انتقلت من فترة النقل والحكاية إلى فترة فرض لما أنتجه أهلها من المصنوعات والمعلومات، لأنهم سيصنعونها ويضعونها بالعربية، في غياب هذا - وهو في الحقيقة غائب - نحن لسنا في مرحلة إنتاج المعرفة بصفة عامة.

> كلمة نقد الآن عندنا تطلق على كل من هب ودب، كل من كتب نصا عن نص أصبح ناقدا

على الأقل أضعف الإيمان - وهذا أيضا غير متوافر غالبا - أن الذي يدرس المعرفة يجب أن يكون ملما بها إلماما يجعله قادرا على أن يوصلها للناس كما هي في مصادرها، لا أن تكون معرفة مبتثرة، معرفة محولة، معرفة قائمة على سوء الفهم، والكثير من الناس يحدثك عن أشياء وهو لا يفهمها على وجهها الحقيقي. في هذا المجال، على الأقل تحدثت عن استعادة المعرفة استعادة صحيحة في غياب إنتاج المعرفة، حتى يمن الله علينا في يوم من الأيام بأن نصبح منتجي معرفة".

حلم الطيران الأزليّ

معرض باريسي يستعرض محاولات الإنسان في التحليق وتجاوز حدود السماء

عمار المأمون
كاتب من سوريا

❑ ما زالت رغبة البشريّ أن يكون مُعلقا في الهواء محطّ جهوده المختلفة، سواء كانت فنيّة أو أدبية أو علميّة، فحلم أن يتحرك الفرد دون أن تلامس قدماه الأرض، انعكاس لرغبته بالانعتاق من الأرضي، سواء كان ذلك بالطيران كما في أفلام الخيال العلمي، أو طفوا كما يقوم بذلك السحرة ولاعبوا الخفة، أو تحليقا كما في الاختراعات الحديثة التي تسعى لجعل الآلة امتدادا لجسد الإنسان وتتيح له تجاوز العوائق "الأرضيّة"، بل حتى مغادرة الكوكب بأكمله، وكأن الإنسان أسير لعنة جعلته أرضيا منفيا من موطنه السماويّ.

> الأعمال في المعرض كثيرة ومتنوعة، وتحاول دوما أن تحيلنا إلى «أعلى»، لنستطيع عبرها تلمس الفرق بين «الطيران» و«الطفو» و«التحليق»، فكل منها ينتمي إلى مساحات من التجريب الفنيّ والعلمي وأحيانا الخرافات الشعبيّة، وفي كل منها نتلمس رغبة بالانعتاق من قيود الجسد وحدوده

تستضيف صالة "البيت الأحمر" في العاصمة الفرنسية باريس معرضا باسم "التحليق، الحلم بالطيران"، الذي عمد منظموه الأربعة على جمع ما يقارب 200 منتج فني تتناول حُلم الطيران، لا المحاولات التي نجحت بل تلك التي بقيت أسيرة الخيال أو باءت بالفشل، فالصور واللوحات والفيديوهات والمخطوطات والمنحوتات التي يحويها المعرض تنتمي إلى مختلف الحقب والأجناس، سواء كانت أعمالا معاصرة أم مجرد اختراعات فاشلة في محاولة لعكس مفهوم الحلم ذاته بوصفه هشا و"لا يصدّق" وأحيانا غير مكتمل.

يثير المعرض مخيلة المشاهد، ويستدعي الأحلام الطفوليّة بالتحليق عاليا واستكشاف ما وراء سمائنا، إذ نشاهد مثلا رسومات فيلم "رحلة إلى القمر" للمخرج الفرنسي الشهير جورج ميلياس، فاللوحات العشر التي استخدمها ضمن الفيلم عام 1902 تعكس الخيال البشريّ عن عوالم الطيران واكتشاف مساحات سماويّة جديدة، كما نشاهد صورا فوتوغرافيّة عن موضوعة التحليق، سواء التقطها مصورون مجهولون أو تلك التي نرى فيها شخصا يحاول القفز محلقا من أعلى سطح منزل، كما في صورة تعود إلى عام 1960 التقطها الفرنسي إيف كلان بعنوان "سقطة في الفراغ"، وكأن عجز الإنسان عن الطيران، تركه أسير محاولات التقاط لحظات من الطفو، يكون فيها معلقا على وشك السقوط لتكون الصورة لحظة انتصار وهميّة على الجاذبيّة.

نشاهد في المعرض تراث الطيران والتحليق الذي يحضر في الأدب، إذ نرى صورة للفنان أورس لوثي على بساط قماشي، في استعادة لبساط علاءالدين الطائر، كذلك نشاهد التراث الديني في عمل تجهيز لكل من إليا وإيميلي كاباكوف بعنوان "كيف يمكن للشخص أن يغير ذاته"، والذي نرى فيه جناحي ملاك موضوعين على كرسي، فالطيران هنا لا يحضر فقط بالمعنى الحرفي بل المجازي أيضا، فأمام الجناحين ورقة فارغة متروكة لأجنحة الخيال.

نشاهد أيضا المحاولات المختلفة لاختراع آلات للطيران، سواء كان ذلك ضمن سياق علميّ أو فنيّ، ككتاب فنّي للأميركي تشارك أوغيس ألبيرت ديلشو، الذي يحوي رسوما تعود إلى عام 1921 أشبه بمخطوطات متخيّلة لتجارب فنية لاختراع آلة طائرة، في ذات الوقت نشاهد الأبعاد السياسيّة لاستعمار السماء، ففي منحوتة لفرنسوا بولاند باسم "صاروخ سوفيتي" يحاول الفنان استعادة تاريخ السباق نحو الفضاء، والذي شغل الساحة السياسية أثناء الحرب الباردة، فالسيطرة على الفضاء تعني الهيمنة الكليّة على ما هو "أرضي".

الأعمال في المعرض كثيرة ومتنوعة، وتحاول دوما أن تحيلنا إلى "أعلى"، لنستطيع عبرها تلمس الفرق بين "الطيران" و"الطفو" و"التحليق"، فكل منها ينتمي إلى مساحات من التجريب الفنيّ والعلمي وأحيانا الخرافات الشعبيّة، وفي كل منها نتلمس رغبة بالانعتاق من قيود الجسد وحدوده، وفي ذات الوقت تطلعا نحو مستقبل ما، نحو لحظة نتغلب فيها على قوانين نيوتن، لتتغير حتى صورتنا عن أنفسنا كأفراد، كما نرى في كائنات هنري دارغر، التي تنتمي إلى عشرينات القرن الماضي، وفيها يعيد تصميم شكل الجسد البشري، لنرى كائنات ذات أجنحة ومجسّات

قادرة على الارتقاء عاليا، متجاوزة الشكل البشريّ الأرضي العاجز حتى عن الطفو لثوان.

رحلات سينمائية إلى القمر

الهيمنة على الفضاء

مساحات للطيران

المعطيات الرقميّة بشكلها الماديّ

معرض يجعل من المعلومات المتداولة يوميا أعمالا فنيّة

❑ **باريس** – يشير مصطلح المعطيات الكبيرة أو الـ"BIG DATA"، إلى البيانات الهائلة الموجودة على شبكة الإنترنيت وفي مراكز الأبحاث، والتي تُسجل وتُؤرشف وتُصنف يوميا، ويزداد حجمها بسرعة خياليّة، كونها تتكون من كل ما يُضاف إلى عالم الشاشات، هذه البيانات تشكل جوهر العالم الرقميّ ومُحرك الحروب السياسية والاقتصاديّة، كونها تُستخدم في سياسات التسويق والهيمنة الأيديولوجيّة وتصنيف الجمهور وخلق العادات الاجتماعيّة، والأهم، أنه لا يمكن التنبؤ باحتمالات توظيف هذه المعطيات إلى جانب كونها تنتهك مفاهيم الخصوصيّة لأنها تعتمد على تقنيات المراقبة وجمع المعلومات سواء كان ذلك عبر كاميرا في الشارع أو عبر صورة ننشرها على وسائل التواصل الاجتماعيّ.

تشهد صالة مؤسسة الكهرباء في العاصمة الفرنسيّة باريس معرضا باسم "data.1.2.3"، وفيه تتداخل "المعطيات الرقميّة" مع الممارسة الفنيّة، إذ تستقبل الصالة أكثر من أربعين فنانا ومصمصا ومبرمجا يجمعهم استخدامهم للبيانات كأساس للممارسة الفنيّة، حيث يعمل كل واحد منهم على إعادة توليفها ضمن تكوينات مادية تتيح اكتشاف مساحات بصرية جديدة واحتمالات وليدة الاختبارات الفنيّة، لتكون الأعمال المعروضة ذات مرجعيّة أساسها "شيفرة" عن العالم من حولنا لا العالم نفسه.

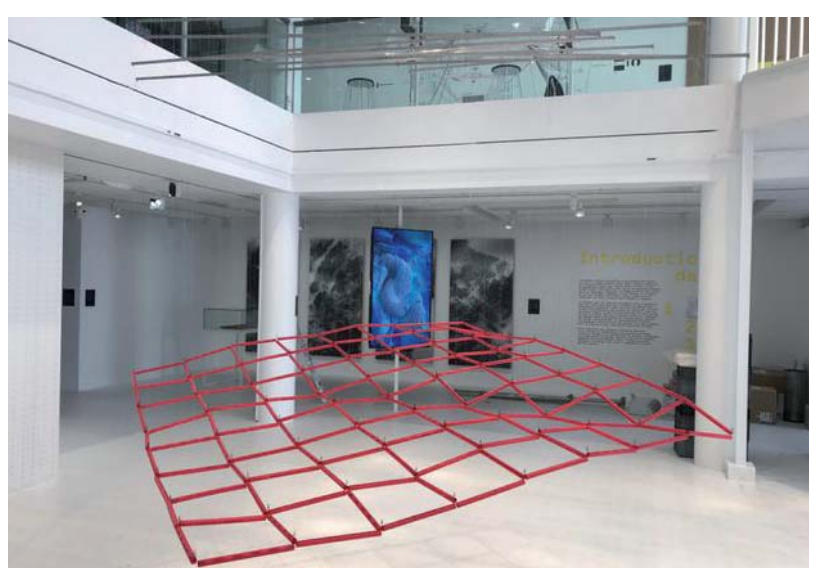

أمواج اصطناعيّة

يحاول المعرض أن يجعل من تمثيل "المعطيات" بصريا موضوعة فنيّة، إذ نشاهد مثلا عمل تجهيز ضخم يزين جدران الصالة للفنان الأميركي ستيفان سيغمايستر بعنوان "استعراض السعادة"، والذي يحوّل عبره المعطيات المرتبطة بالسعادة سواء في العمل أو الحياة الشخصيّة إلى جدارية ضخمة تحوي مختلف أشكال المعلومات والممارسات التي تعتبر "مقياسا للسعادة"، ذات الشيء نراه في عمل تجهيز لأبيغال رينولدز بعنوان "جبل الخوف- لندن الشرقيّة"، وهو خارطة ثلاثية الأبعاد تمثل معدلات الجرائم العنيفة هناك بين عامي 2002 و2003، فهذا العمل يتيح للمشاهد أن يتلمس حرفيا الكم الهائل من الجرائم، بوصفها ليست مجرد أرقام عابرة، بل حقائق لا يمكن تجاهلها.

أحد أبرز الأعمال في المعرض هو تجهيز باسم "مياه حيّة رقميا" لديفيد بوين، والذي يقوم فيه باستخدام قطع مع المعدن لصناعة أسطح متحركة، وكأنها مساحات من المياه، موصولة بكمبيوتر يزودها بمعطيات ومعلومات عن حركة الأمواج الطبيعية، بحيث تتموج مثلها لتبدو تمثيلا بصريا للبيانات المتعلقة بسرعة الرياح ومقاومة سطح المياه التي تشكل الموجة.

تدفعنا الأعمال الموجودة أيضا إلى إعادة التفكير بالعلاقة بين الفضاء العام والتجربة الشخصيّة، ففي عمل باسم "تعدد" لموريس يتفنر، نشاهد أبرز ملامح باريس، لكن عبر المئات من الصور التي التقطها العابرون وقاطنو المدينة، بحيث نراها بأعين من يختبرون جغرافيتها، فهذه الصور تعكس خصائص المدينة من وجهة نظر من لهم معها تجربة حسيّة، وليس من وجهة نظر المعماريين والمصممين الذين يراعون الجمالي والوظيفي، متجاهلين الحميمي والفردي الذي يكتشفه كل شخص في المدينة، لنرى خارطة لباريس بأعين عشاقها وانطباعاتهم البصريّة عنها.

يحاول المعرض أن يضيء على جانب هام مرتبط بتمثيل المعلومات والصيغ الفنية التي تُنتج عبرها، بحيث يتجاوز صيغة الأعمدة والأرقام التقليدية، إذ توظف بعض الأعمال في المعرض الطعام مثلا، كوسيلة لنقل المعلومات، كأن نشاهد بيتزا مكونة من المعطيات الديموغرافية لسكان هيلنسكي، فالأعمال تتحرك ضمن ثلاث فئات، وهي شرح المعلومات وعرضها واستكشافها، كون تقنيات العرض المختلفة تتيح استكشاف علاقات جديدة بين المتغيرات، قد لا تتيحها الصيغة التقليديّة، كعمل بعنوان "الغابة الخفيّة" الذي يقترح أن تزرع شجرة في كل نقطة تحوي مخدّم wifi في مدينة ميلان، وحين تم تصميم الخارطة نكتشف أن المدينة بأكملها يمكن أن تتحول إلى غابة خضراء.

* ع.م

غابة لاسكليّة

الإسباني أليخاندرو كاسونا يصطحب نوارسه البيضاء إلى القاهرة

«مركب بلا صياد».. مسرحية الدفء الإنساني والأمواج المتصارعة

شريف الشافعي
كاتب مصري

مشهد من «مركب بلا صياد».. المسرحية تواصل عرفا سائدا في المسرح المصري باقتباسه لأعمال عالمية

❏ من سمات المسرح المصري اللافتة اتكاؤه على نصوص عالمية بارزة، خصوصا في العروض التي تقدمها الفرق المستقلة ومسرح الجامعة والبيت الفني للمسرح ومراكز الإبداع وقصور الثقافة، وتعتني بالمضمون الجيد قبل التفكير في التربح التجاري الذي يكاد يرسم بمفرده خارطة مسرح القطاع الخاص. وفي هذا الإطار، تأتي مسرحية "مركب بلا صياد" المعروضة حاليا في القاهرة بمعالجة درامية جديدة لنص الكاتب الإسباني أليخاندرو كاسونا.

على مسرح مركز الهناجر للفنون بالقاهرة، يراهن عرض "مركب بلا صياد" (دراماتورج وإخراج عمرو قابيل) على النص الأصلي الزاخم والأفكار المتعمقة حول الحياة والموت والعشق والصراع بين الخير والشر للكاتب الإسباني أليخاندرو كاسونا (1903–1965)، والتناول المسرحي المعاصر من خلال المعالجة الجديدة التي تتسم بالحساسية والدفء الإنساني.

بهذين الجناحين يسعى العرض إلى التحليق خارج مدار الكساد المسرحي السائد وأزمة الكتابة وفقر النصوص المحلية، بما يغري باللجوء إلى أعمال عالمية، كما يحاول العرض بمنظومة عناصره المسرحية المختلفة أن يتحسس طريقه الخاص بين عروض "المهرجان القومي للمسرح" (19 يوليو2– أغسطس).

قلوب متعطشة

جاء الرهان الأول موفقا ويُحسب لفريق العمل، فالقماشة "الخام" التي جرى الاشتغال عليها بالغة الجودة والثراء، إذ يطرح كاسونا في مسرحيته ضمن قالب جمالي فلسفة إنسانية واسعة، تصلح لكل زمان ومكان، ومن ثم فإنه يجدر به أن يصطحب نوارسه البيضاء إلى القاهرة، هربا من الصقيع، وأملا في شاطئ افتراضي مشمس، تتراقص فيه الأسماك، ويضع الدفء حدا للأمواج المتصارعة.

من السهولة أن يتسلل كاسونا إلى القلوب المتعطشة للعشق، ففي مسرحيته "مركب بلا صياد" فيض لا ينفد من الطاقة الإيجابية المعينة على ظلمات الحياة وظلمها وثلوجها القاسية، فكل الأمور السيئة قابلة للتغيير، وبالمشاعر الصادقة ولحظات الرومانسية يمكن أن يسترد الإنسان جوهره الغائب، ويعم الخير والسلام، ويعترف الشيطان بهزيمته في معركة إغواء البشر.

تقدم المسرحية عالمين متناقضين تماما، يتوازيان مع الثنائيات التقليدية: الخير والشر، الحياة والموت، الملاك والشيطان، الوفاء والغدر، وغيرها. العالم الأول: مجتمع الصيادين البسطاء، الذين يعيشون في أكواخ فقيرة الأثاث، ويقدسون قيمة العمل، وتربطهم أواصر المحبة وروح التضحية والإيثار، ويتحدّون برودة الطقس الشمالي بالأحاسيس الصادقة الجياشة والألفة العائلية.

في المقابل، يأتي العالم الثاني، في الجنوب الدافئ شكلا البارد موضوعا، حيث مجتمع الأثرياء وكبار الرأسماليين وتجار البورصة الذين تجمّدت حواسّهم من فرط أنانيتهم، فتحولوا تدريجيا إلى قتلة، يلقون بأطنان الموز في البحر للمحافظة على سعره، في حين يتضور الأطفال الفقراء جوعا.

يتعرض الرأسمالي ريكاردو خوردان لضربة موجعة في السوق، تفقده ثروته ووجاهته لصالح خصومه، وهنا يظهر الشيطان في صورة آدمي، ليقدم له عرضا مغريا بأن يعيد له كل ما فقده، في مقابل أن يبدي ريكاردو النية في قتل أي إنسان لا يعرفه، في أي موضع بعيد من العالم، كي لا يصاب بتأنيب الضمير بعد موته، ويظهر له شبح القتيل في الكوابيس.

ويقع الاختيار العشوائي على الصياد الفقير بيتر أندرسون، ويموت قتيلا بالفعل في ليلة عاصفة، بعد ساعات قليلة من شرائه قاربا جديدا كان يتمنى أن يعمل عليه ليعوّض زوجته ستيلا سنوات من الفقر المدقع والذل والقهر، وتعيش ستيلا مع جدتها وحيدتين صامتتين من فرط الحزن والصدمة.

لم يمت ضمير ريكاردو مثلما ظن هو والشيطان، فقرر الذهاب إلى كوخ الضحية بيتر ومقابلة أسرته للاعتراف بجريمته، وهناك ينخرط في حياة البسطاء ويتعرف على مجتمع المحبة والإخاء والصدق والعمل، ويبدأ في استرداد إنسانيته المفقودة شيئا فشيئا، وتنشأ علاقة حب بينه وبين ستيلا التي صارت تعمل في تقطيع الأخشاب لمواجهة أعباء الحياة، لكنها تتراجع عن العشق احتراما لروح زوجها، كما يتراجع ريكاردو بسبب تورطه القديم في العقد المبرم مع الشيطان.

وعندما يهم ريكاردو بالاعتراف لستيلا بكل ما حدث أملا في الانتصار لحبه، تتكشف الحقيقة، وهي أن شخصا آخر هو الذي قتل بيتر، قبل دقائق معدودة من صفقة ريكاردو والشيطان، وهذا القاتل هو كريستيان زوج أخت ستيلا، بدافع الغيرة والحقد. وهنا، يتنازل ريكاردو عن ثروته وحياته القديمة كلها، ليولد ريكاردو أندرسون كإنسان جديد متطهر من خطاياه بالعشق، ويقترن بعقد آخر مع ستيلا الحبيبة، ويعترف الشيطان بهزيمته وفقدانه القدرة على التأثير في الإنسان.

التفاصيل الصغيرة

بدأ المخرج عمرو قابيل رهانه الثاني مبكرا، فمنذ الوهلة الأولى وقبل انطلاق العرض يجد المتفرجون أنفسهم في قلب المشهد، إذ يأخذهم صوت خرير الماء وعصف الرياح وديكور المسرح مباشرة إلى ذلك الكوخ الساحلي الفقير الذي يخص أسرة بيتر في الشمال الأوروبي البارد، ثم يبدأ الشخوص في الظهور تباعا، وتتلاحق الأحداث اللاهثة.

أدرك صنّاع المسرحية أن سر نجاح تقديمها بأسلوب معاصر يكمن في اللعب على التفاصيل الإنسانية الصغيرة التي تمس أوتار القلب، وليس ترديد الشعارات الطنانة عن الفضيلة والشرف وما نحو ذلك من أغراض لم تعد مناسبة، لذلك اعتمد العرض على مساحات حوارية وحكائية تعرّي الروح والنفس الإنسانية في حالات الطهر والشفافية والعشق، وأيضا في لحظات القسوة والغدر والكراهية.

فلسفة أن يكون الإنسان إنسانا، حققها العرض خلال تلك المسحة الشاعرية التي غلفت الأحداث كطقس عام، في أوقات الحزن والسعادة على السواء، ففي يأسها مثلا بعد رحيل زوجها تتوحد ستيلا مع شباك الصيد لتغدو جمادا تفر من ثقوبه عناصر الحياة. وعند ارتباطها بريكاردو وتشابك أصابع يديهما تتحول إلى باليرينا راقصة تكاد تطير من فرط النشوة وتشع من وجهها النورانية.

هذه الحساسية في المعالجة طالت كل تفاصيل العرض، فتغير ريكاردو من مادي إلى روحاني يمكن التقاطه من خلال استغنائه عن ساعة يده بعدما تعلم معرفة الوقت بأسلوب الصيادين في مراقبة الشمس، ورغبته في إعادة تشكيل ذاته تتوازى مع براعته التي اكتسبها في طلاء القوارب، ورهافة روحه تبلغ منتهاها عندما صار بمقدوره استكشاف مواعيد هبوب العواصف من ردود أفعال النوارس.

أداء الممثلين عمرو قابيل، منحة زيتون، هاني عبدالناصر، راندا عوض، مي رضا، إبراهيم فرحات، جاء متزنا هادئا، يعتمد على ما وراء الكلمة والحركة من انفعال كامن، فتناول الزوجة والجدة الطعام مثلا بعد رحيل الزوج بيتر يتحول إلى روتين يومي مؤلم وتمارين آلية، فقد غاب الرجل الذي يملأ البيت ويبارك الطعام. وتضيف إضاءة محمد عبدالمحسن الذكية الكثير إلى هذه الطقوس التي تتكشف فيها الملامح من خلال الأنوار والظلال.

لم يخرج عن النسق التمثيلي العام سوى شخصية الشيطان، التي جسّدها هاني عبدالناصر، فلم يكن مناسبا إضفاء طابع كوميدي على هذا الشيطان في حركاته و"قفشاته" المقحمة، في حين أن جميع الشخصيات الأخرى تتحدث وتتحرك بحساب، وتصطبغ بتلك النزعة الفلسفية التي تحكم العرض، ولديها إمكانات تعبيرية من خلال الشفافية والوضاءة الداخلية وليس من خلال الاستعراض الباهت.

> بخفة النوارس البيضاء، يتسلل الكاتب الإسباني أليخاندرو كاسونا إلى القلوب المتلهفة بمسرحيته «مركب بلا صياد»، التي تُعرض في القاهرة بمعالجة جديدة تتميز بالدفء الإنساني والعمق وحساسية التعبير

انسجمت تماما موسيقى حازم الكفراوي وتوزيعات أحمد حامد مع الحالات النفسية المتفاوتة التي يقدمها العرض، بين الفرح والحزن، والأمل واليأس، والحياة والموت، وجاءت رقصة النهاية بمصاحبة أنغام الأوكورديون بمثابة تحليق للطيور الغرّيدة في الفضاء. وتلاءمت ديكورات محمد زكريا وأزياء ريم شاهين مع العالمين اللذين يقدمهما العرض، في مجتمع الصيادين البسطاء، ومجتمع الرأسماليين الأثرياء.

انطلقت المسرحية من منصة نص أصيل أعطاها قوة دفع ابتدائية، واجتهد صنّاعها بقدر إمكاناتهم في استحداث طاقات جديدة لاستكمال المسار الصعب.

مشهدان من عمل مسرحي يقوم على اللعب بالتفاصيل الإنسانية الصغيرة

قطفت في فيلمي فاكهة محظورة

المخرج السينمائي مؤيد عليان: صورت خصوصية الفلسطيني في القدس

عرفان رشيد
كاتب عراقي

المخرج مؤيد عليان: حاولت ان اصور جوانب من حياة فلسطينيي القدس

❏ بصرف النظر عن البعد السياسي وعن إشكالات الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، يُشكّل فيلم "التقارير حول سارة وسليم"، من كتابة الأخوين مؤيد ورامي عليان، وإخراج مؤيّد عليان، نقطة انطلاق جديدة لقراءة واقع الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي، وبالذات الفلسطيني الذي يعيش في مدينة القدس ويسعى للبقاء فيها وعدم الهجرة منها أياً كانت الظروف، لأن الرحيل عن القدس، يمنح سلطات الاحتلال الإسرائيلية مسوّغ نزع "هوية القدس" عنه.

يقدّم فيلم "التقارير حول سارة وسليم"، الذي عُرض مؤخراً في "مهرجان السينما العربيّة في باريس" المنظم من قبل "معهد العالم العربي" بباريس، رؤية أخرى حول خصوصية حياة المواطن الفلسطيني في هذه المدينة وتميّز هذه الخصوصيّة عن أي حياة أخرى في أيّ بقعة من بقاع العالم.

وتدور أحداث الفيلم في القدس وتروي عن سارة، صاحبة حانة في القدس الغربية والمتزوّجة من نقيب في الجيش الإسرائيلي، وسليم، العامل الوقتي لدى مخبز يملكه إسرائيلي، والمتزوّج من بيسان (تؤديها بذات براعتها المعتادة ميساء عبدالهادي) وينتظران ميلاد وليدهما البكر"كريم".

العلاقة التي تجمع سارة (تؤديها سيفان كريتشنير) وسليم (يؤديه أديب صفد) تُشعل لعبة خطرة من الخداع بين من يملكون السلطة ومن لا يملكونها.

ولو وقع الحدث المروي في الفيلم، في أي مكان آخر، كان ربّما سيحظى باهتمام أو انشغال على الصعيد الاجتماعي أو القانوني، لكن عندما يحدث هناك، في فلسطين، تكون مآلاته بالخطورة والتعقيد اللذين يرويهما الشريط.

أهو مسار جديد للحديث عن مأساة الفلسطيني، خارج المسار السياسي المباشر الواضح، والتوثيقي في بعض الأحيان؟

خصوصية القدس

يقول مؤيّد عليان في جلسة حوار معه لـ"العرب"، "في عالم القصة التي أرويها من خلال فيلم "التقارير حول سارة وسليم" تركيز كبير على خصوصيّة القدس، وخصوصيّة الفلسطيني في القدس. فالواقع الموجود في القدس، بغض النظر ما إذا أعجبنا أم لا، وهو لا يُعجبنا بالتأكيد، هو الواقع الموجود والقائم حالياً في المدينة. لديك مدينة تحت نير سلطة احتلالية تحكم حياة الناس، وهي مقسومة، فالقدس الغربية غالبيتها إسرائيلية، والقدس الشرقية غالبيتها فلسطينية.

معظم الشباب الفلسطيني في القدس مضطر للعمل في القسم الغربي حتى يُؤمّن لقمة العيش، أو حتى يتمكّن، في الأساس، من البقاء في المدينة، لأنّ ذلك ليس سهلاً على جميع مستويات الحياة، وبالذات اقتصادياً وسياسيّاً.

في هذا الجو، وفي هذا العالم، عندما تجمع علاقة جنسيّة خارج إطار الزواج شخصاً مثل سليم الفلسطيني بامرأة، مثل سارة الإسرائيليّة، يكون وقعها فريداً ومتميّزاً عن غيره من العلاقات، بالضبط مثلما رأينا في الفيلم، فلولا أنّ هذا الحدث وقع في القدس وتحت ظروف الاحتلال وتحت ظروف غياب العدل والمساواة في النظام القانوني والاقتصادي والاجتماعي في المدينة، لما سلكت الأحداث المسار الذي اتّخذه في النهاية، ولما كانت شخصيات الفيلم ستمرّ بجميع التعقيدات التي مرّت بها، لكن في الوقت ذاته فإنّ الخطورة على الإنسان الفلسطيني وما يُمكن أن يخسره هذا الإنسان في هذه المنطقة هي دائماً الأعلى، ودائماً الأكثر والأخطر، فالمخاطر القائمة في أن يتحوّل المرء في القدس إلى مُتّهم، ومُتّهم بأمور خطيرة للغاية أكبر منه وأثقل عبئاً ممّا يمكن أن يتحمّل، هي مخاطر يمكن أن تقع في غاية السرعة، وبدءاً من أبسط أمور الحياة إلى أعقدها".

قصة حقيقية

على رُغم فرادة ما تؤول إليه أحداث الفيلم وحياة الشخصيات فيها، فإن ما يعرضه الأخوان عليّان في هذا الفيلم ليس الحادثة الوحيدة في هذا الإطار، ويقول مؤيّد عليّان "إن قصّة الفيلم مُستوحاة من أحداث حقيقيّة، وحقيقيّة للغاية. شخصياً أعرف أنّها حدثت مع كثير من الناس في القدس. وللأسف الشديد، إذا كان الآخرون يجهلون هذا الواقع، ولم يكونوا من سكان القدس، فسيكون عسيراً عليهم فهم هذا الواقع، وقد يُعتقد بأن الموضوع غريب نوعاً ما، وسيكون عالم القصّة صادماً للمشاهد الذي يُتابع أخبار القدس عبر موشور الخبر السياسي فحسب، لكن، للأسف الشديد، ثمة في القدس، وفي قاعها، واقع شبيه بهذا، وهو، سواءٌ أعجبنا أم لا، الواقع بعينه".

بصرف النظر عن الإدانة الأخلاقية، وربّما القانونيّة، للحدث الأساسي في الشريط، المتميّز بالخيانة الزوجية لسليم، وبالتكثيف العالي لمفهوم الحب، بالمطلق، لدى شخصية بيسان لزوجها سليم، وإذا استثنينا شخصية المفتي، الذي يظهر في مشهد قصير ضروري تعريف استشاري ولبناء الحدث، فإن جميع الشخصيات الرجاليّة التي تظهر في الفيلم، سلبية بشكل أو بآخر، وهي خاسرة، منهزمة ومنكسرة، وبعضها شخصيات وغدة.. في حين هناك امرأتان، هما، في خاتمة المطاف، الأقوى، الأبرز والأكثر صدقاً مع المشاعر الإنسانية بشكل عام.

الشخصية النسائية

فهل كان خيار المخرج والمؤلّف منذ البداية، تثبيت أهمية الشخصية النسائية، كأم وكزوجة وأخت وكحبيبة أيضاً، لأنّ سارة، الإسرائيلية، كانت، بالفعل وبصرف النظر عن مسألة الخيانة الزوجية، تُحب الفلسطيني سليم.

هناك في الفيلم رفعةً لشأن الشخصيّة النسائية، وأنا متّفق معها ومعجب بها، مقابل التركيز على جوانب الحطّة والضعف والاحتيال والبراغماتيّة لدى العديد الشخصيات الرجاليّة في الفيلم.

يقول مؤيّد عليّان في هذا الصدد، "أنا متّفق معها وموافقها ومؤيدها مليون بالمئة أيضاً مع هذه القراءة للحصيلة النهائية للفيلم، كما تفضّلت. نحن نرى بأنّ سارة وبيسان هما الشخصيتان الأساسيّتان في الفيلم، وخلال عملية تطوير السيناريو للفيلم توصّلنا إلى النهاية التي رأيتها، واتّضحت رحلتهما أكثر فأكثر".

فهاتان الشخصيتان، واللتان هما عملياً بطلتا الفيلم، هما من يتغيّران كبشر في نهاية الفيلم، فالبطل، بالنسبة لي، ليس من يأتي بأعمال بطوليّة بالمعنى الملموس والحسّي، بل البطل، كما أراه، هو الإنسان الذي يبلغ مدىً أفضل من ذاته كإنسان، وهو من يحاول حماية إنسانيّته من جميع المشاكل والمصائب التي تُرمى عليه، وبالرغم من جميع التحدّيات التي يمر بها البطل يُحافظ، في هذه الحالة، على موقفه الإنساني، في وضع يسهل كثيراً أن تفقد فيه إنسانيّتك.

وعملياً فإنّ ما يميّز شخصيتي سارة وبيسان، هو أنهما امرأتان لم تأتيا بما يترقّبه مجتمعاهما. بيسان، من الناحية الاجتماعية البحتة، لم تأتِ بما هو مُترقّبٌ منها كزوجة رجل مُعتقل لأسباب غير سياسية، يُغضّ الطرف عنها لخصوصيّة الوضع السياسي، وتفرض على هذه المرأة موقفاً ما؛ وسارة، التي يمكن اعتبارها أنموذجاً للإسرائيلي الراغب في أن يكون تقدميّاً، ليبرالياً ويسارياً، لكن دون أن يمس ذلك الخيار الأيديولوجي راحته وأمانه الاجتماعي، وهذان المعطيان بالذات هما ما يُحتّمان على سارة أن تتماهى مع ما يتطلّبه مجتمعها ويترقّبه منها، إذْ يطالبها أن تترك الفلسطيني يذهب إلى الجحيم وأن تمارس هي حياتها كالمعتاد.

لقد اشتغلنا على هذا في الفيلم كثيراً، وبالذات على رفض بيسان وسارة، وبطرق مختلفة، الاتيان بما كان مجتمعاهما يترقّبان منهما، إحداهما، أي بيسان، على الصعيد الاجتماعي، والأخرى، سارة، على الصعيد السياسي".

مسألة الأسماء

وفي هذا الفيلم أيضاً، بالإضافة إلى الدلالات السياسية والاجتماعية والأخلاقية المتعدّدة، مستوى آخر اشتغل عليه مؤلّفا الفيلم، وبالذات في مرحلة إطلاق الأسماء على شخصيات الفيلم، وهي إحدى أعقد وأعسر مراحل بناء النص، إذْ يصعب وجود كاتب يُنجز رواية أو قصّة أو مسرحية، ويُطلق الأسماء على شخصياته بشكل اعتباطي، ولا أعتقد بأن الأخوان عليّان قد شذّا عن هذه القاعدة، وبالتأكيد كان هناك حوار طويل حول الأسماء، وبالذات العربية الواردة في الفيلم والتي أُختيرت بدقّة شديدة، ابتداءً من بيسان وسليم وانتهاءً باسم الوليد الجديد "كريم، ويؤكّد مؤيّد عليان ما ذهبنا إليه من توقّع، ويقول "نحن أيضاً، رامي وأنا، مررنا بمرحلة النقاش حول الأسماء، وقد واصلنا زيارة هذا الجزء من النص بتواصل.

> في هذا الجو، وفي هذا العالم، عندما تجمع علاقة جنسيّة خارج إطار الزواج شخصاً مثل سليم الفلسطيني بامرأة، مثل سارة الإسرائيليّة، يكون وقعها فريداً ومتميّزاً عن غيره من العلاقات

بإمكاني القول بأن عملية انتقاء الأسماء لم تكن مُركّبة، لكنها كانت مدروسة نوعاً ما. فبيسان، هي بيسان، المدينة الفلسطينيّة المُهجّرة، سليم، أو سالم هو القدس، وفي الوليد كريم رمزية ما من سلوك بيسان في نهاية الفيلم تجاه زوجها، أو بشكل عام تجاه الموقف الذي وُضعت فيه، واضطرّها إلى التعامل بهذه الطريقة.. نعم أسماء أبطال الفيلم، لا تخلو من الرمزية.. أتّفق معك..".

الفيلم أعطى النساء حيزا كبيراً

لقطة من الفيلم: عربي واسرائيلية في علاقة محرمة

حافلات الحرب العالمية الثانية دليل السياح لجولات بمحمية غلاسيير

الحديقة الوطنية الجليدية الأميركية طبيعة بكر تنتظر الزائرين

المحمية تضم أعدادا كبيرة من الدببة

ميزة المكان تكمن في جولات بالحافلات الحمراء

مسارات وعرة تحتاج مرشدا

يعمل أميركيون في الشمال على إنعاش السياحة في محمية طبيعية تحيط بها الجبال والبحيرات والدببة والطبيعة البكر، من خلال جولات سياحية بحافلات حمراء ترجع إلى أواخر الثلاثينات تجوب مسارات المحمية الطبيعية غلاسيير كاشفة أسرارها للسياح.

❏ **مونتانا (الولايات المتحدة)** – لا تعتبر الحديقة الوطنية الجليدية أو غلاسيير الواقعة في جبال روكي ماونتز الأميركية عامل الجذب السياحي الوحيد في هذه المنطقة، لكن المنطقة تزخر بالكثير من الجبال والبحيرات والدببة وبعض السيارات القديمة ذات اللون الأحمر، على الرغم من أن هذه المحمية الطبيعية تستمد اسمها من الأنهار الجليدية.

> شلالات ريدروك الواقعة في شرق محمية غلاسيير تعد من الوجهات السياحية الشهيرة لقضاء رحلة نصف يوم

ويتمتع إدوارد دانيال بخبرة كبيرة في قيادة السيارات الحمراء الكبيرة، حيث عمل في المطافئ بولاية أتلانتا لمدة 29 عاما، وقد انتقل للإقامة في مونتانا بسبب الهواء النقي بعدما كان يعاني من الصيف الخانق في الولاية الأميركية الجنوبية، ولم يعد يرتدي الزي الخاص بالمطافئ في الولاية، التي تقع أقصى غرب الولايات المتحدة.

ويقوم دانيال بدلا من قيادة سيارات المطافئ حاليا بقيادة حافلة رحلات قديمة مطلية باللون الأحمر على الطريق الضيق "وايت 706"، والذي يعود إنشاؤه إلى عام 1936، ويتوفر حاليا ما يبلغ مجموعه 33 حافلة حمراء ترجع إلى أواخر عقد الثلاثينات من القرن الماضي تجوب مسارات المحمية الطبيعية غلاسيير.

وتعد هذه الحافلات بمثابة النجوم السرية لهذه المنطقة الجبلية العالية، التي تعتبر ملاذا للحيوانات وتمتاز بطبيعتها البكر، التي لم تعبث بها يد الإنسان، وتعرف هذه المنطقة باسم "تاج القارة" وتستقطب الكثير من السياح سنويا.

وتقع المحمية الطبيعية على الحدود بين الولايات المتحدة وكندا وترتبط بالمحمية الطبيعية واترتون ليكس، وتشكل المحميتان الطبيعيتان منذ عام 1936 محمية واحدة باسم "واترتون ليكس غلاسيير بيس بارك"، وقد انطلق دانيال بحافلته المحجوزة بالكامل، والتي تسع حوالي 17 راكبا يجلسون على مقاعد خشبية، منذ الصباح الباكر على الطريق "وايت 706". وينطلق سائقو السيارات الكلاسيكية في هذه الرحلة يوميا خلال الموسم السياحي القصير في فصل الصيف مع فتح السقف القماشي للسيارة، ويصلون إلى ارتفاع 2000 متر، ويمرون خلال رحلتهم على القمم الجبلية الحادة والبحيرات الجبلية المتلألئة.

وأكد دانيال أن هذه الحافلات تم بناؤها قبل الحرب العالمية الثانية لكي يتم استعمالها خصيصا في المحميات الطبيعية في غرب الولايات المتحدة، لكن الآن يقتصر تشغيل هذه الحافلات على محمية غلاسيير ويلوستون ولا تزال تعمل بتجهيزاتها الأصلية في أغلب الأحيان.

وإذا قرر السائح الانطلاق في جولة بواسطة الحافلات الحمراء، فإنه يمكنه ركوبها من عدة محطات في جنوب غرب المحمية الطبيعية وشرقها.

ويتم تنظيم جولات لمدة نصف يوم، وكذلك رحلات لمدة 9 ساعات على جانبي قمة جبال روكي الرئيسية، وتبلغ تكلفة التذكرة 100 دولار أميركي للبالغين في البرنامج اليومي، الذي يعرف باسم "تاج القارة".

وتنطلق الرحلة على طريق "جوينج تو ذا صن" المتعرج، والذي تم افتتاحه في عام 1933، ويرتفع طريق "لوجان باس" بمقدار 2025 مترا عن سطح البحر، ولا يتم السير على هذا الطريق إلا إذا كان خاليا من الثلوج، وعادة ما يسمح بالسير فيه خلال الفترة من منتصف يونيو إلى بداية يوليو.

ولم ينطلق دانيال في رحلته خلال هذا اليوم على طريق "لوجان باس"، ولكنه سلك طريق "ماريا‌س باس"، الذي يقع إلى الجنوب منه ويصل ارتفاعه إلى 1591 مترا فوق مستوى سطح البحر.

ونظرا لتساقط الأمطار على الجبال، التي يزيد ارتفاعها عن 3 آلاف متر، تنمو بعض الأشجار التي تظهر في الغالب على شواطئ المحيط الهادئ، وتظهر الصورة في الشرق مختلفة تماما، حيث تعتبر الأرض أكثر جفافا وتظهر الأشجار وسرعان ما تبدأ السهول الكبرى.

ويعمل طريق "جوينج تو ذا صن" والطريق المؤدي إلى "ماريا‌س باس" على الربط بين الشرق والغرب، كما أنه يساهم أيضا في تركّز النشاط السياحي في مواقع قليلة. وأوضحت ميليسا سكوت، من شركة "Glacier Guides" المحلية، قائلة "على الرغم من توافر 750 ميلا من المسارات والدروب، التي تهتم بها هيئة المحمية الطبيعية، إلا أن عدد السياح لا يتجاوز 37 ألف سنويا، والذين يحصلون على تصاريح باك كنتري، ويتجولون بخيامهم بعيدا عن الطرق، وهناك 85 إلى 90 بالمئة من زوار المحمية لا يتجاوزون الحد الأقصى للمسافة الفاصلة بينهم وبين السيارات والحافلات، والذي يبلغ 100 متر.

ويرجع سبب ذلك إلى الدببة، حيث يوجد ما يقرب من 250 إلى 300 من الدببة الرمادية وضعف هذا الرقم من الدببة السوداء في المحمية الطبيعية، وغالبا ما تظهر هذه الدببة في أواخر يوليو وأغسطس في مسارات التجوّل عندما ينضج التوت البري في النهر الجليدي، وليس بالضرورة أن تكون هذه الدببة عدوانية، ولكنها لا تختفي عندما يظهر السياح، ولذلك فإنه يتم إغلاق مسارات التجوّل خلال هذه الفترة من العام.

وقد اصطحبت سكوت السياح في هذا اليوم لزيارة شلالات ريدروك، والتي تعتبر من الوجهات السياحية الشهيرة لقضاء رحلة نصف يوم، وتقع في شرق المحمية الطبيعية، ويحيط بمسار الرحلة عشب الدب، الذي يمتاز بأزهاره، التي تظهر كل خمس إلى سبع سنوات، وتنمو أعشاب الدب على المنحدرات بأكملها، وقد لا تظهر الدببة في بعض الأيام، ومن الأمور المهمّة أثناء الرحلة أن يسير السياح في مجموعات تضم أربعة أشخاص، وأن يتم الحديث بينهم بصوت مرتفع، من أجل لفت الانتباه.

ويوجد طريق التجول إلى شلالات ريدروك في منطقة "ماني غلاسيير"، ولم تعد هناك أنهار جليدية كثيرة في هذه المنطقة، ولا يتبقى منها سوى 25 نهرا.

وخلال فترة ما بعد الظهيرة توجه دانيال بحافلته الحمراء إلى النهر الجليدي الغربي، حيث ظهرت القمة الجبلية متلألئة تحت أشعة الشمس، وخلال هذه الجولة مر السياح على بحيرة فلاتهيد، والتي تعتبر أكبر بحيرة في غرب الولايات المتحدة وتمتد لمسافة 220 كلم إلى الجنوب في مدينة ميسولا، ويمكن للسياح أن ينعموا بجولة في البحيرة بواسطة القوارب الخشبية.

سياحة العالم

السعودية تراهن على وجهة سياحية جديدة

❏ **(الأحساء) السعودية** – تسعى الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني بالسعودية إلى تحويل ميناء بحري تاريخي في المنطقة الشرقية إلى مقصد سياحي في إطار جهود المملكة لجذب المزيد من السياح لزيارتها.

وستؤسس الهيئة شركة لتطوير ميناء العقير، الذي أنشأته الدولة العثمانية إبان حكمها لمنطقة الخليج، والذي يضم منشآت قديمة وكان أقدم ميناء في المملكة في السابق.

وترتبط منطقة العقير بمدينة الجرهاء القديمة وتكتسب أهميتها التاريخية من كونها مكان توقيع معاهدة أو مؤتمر العقير لعام 1922 الذي يحدد حدود السعودية الحديثة. ويقع الميناء التاريخي حاليا في منطقة الأحساء التي أعلنت في الآونة الأخيرة موقعا ضمن قائمة التراث الإنساني العالمي بمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو).

وتأمل السعودية بأن يؤدي إنعاش مثل هذه الأماكن إلى تعزيز الهوية الوطنية وجذب السياح المحليين والأجانب.

قطارات البوسنة تقدم رحلة الأحلام

❏ **سراييفو** – توفر قطارات البوسنة والهرسك لحظات فريدة لمسافريها، وهي تمر وسط الجبال الخلابة ومن فوق الجسور المبنية على الأنهار، خلال رحلتها من العاصمة سراييفو إلى مدينة موستار، جنوبي البلاد.

وتقدم القطارات التي تمر من بين الجبال والأنهار، فرصة استكشاف المنطقة والتمتع بنقائها وسكونها، في رحلة يطلق عليها "الحلم" وتستغرق الرحلة ما بين المدينتين حوالي ساعتين.

وقال عصمت ربيوه، سائق قطار، إن والده وجده كانا أيضا يعملان في سياقة القطارات، مضيفا أنهم يمرون خلال الرحلة من 99 نفقا، مبينا أن خط السكك الحديدية دخل الخدمة في 15 يونيو العام الماضي بعدما تعطل عن الخدمة خلال الحرب البوسنية (1992–1995).

وأشار إلى أن العديد من المواطنين والسياح الأجانب يستخدمون "طريق الحلم الحديدي"، لافتا أن مسافة الرحلة بين المدينتين تبلغ 160 كلم.

وأفادت ياغمور أوزباك، سائحة تركية، إنها فضلت السفر عبر القطار من أجل مشاهدة المناظر الجميلة خلال الرحلة.

«بلاد الماعز» تستقبل زائري الدنمارك

❏ **جزر فارو (الدنمارك)** – تستضيف تورشهافن عاصمة جزر فارو الدنماركية، الواقعة في المحيط الأطلسي الشمالي، العديد من السياح مع ارتفاع درجات الحرارة في الصيف إلى ما بين 12 و13 درجة مئوية

ويطلق عليها اسم جزر فارو لاشتهارها بالماعز، حيث تعرف بـ"بلاد الماعز" ويعيش فيها قرابة 50 ألف شخص، فيما يبلغ عدد قطيع الماعز بها حوالي 80 ألفا.

وتشتهر هذه الجزر بغناها في مجال تربية المواشي لكثرة مساحاتها الخضراء، ويعتمد سكانها أيضا على صيد الأسماك كمصدر لكسب الرزق.

وجزر فارو عبارة عن أرخبيل يتكون من نحو 18 جزيرة، ولا تختلف هذه الجزر قليلة السكان عن دول المنطقة التي تتميز بأنها مجتمعات هرمة، ترتفع بها نسبة كبار السن، وتقل نسبة الشباب. وطبيعة المناخ في هذه الجزر لا تختلف عن باقي الأراضي الدنماركية من حيث البرودة خاصة في فصل الشتاء. وتعتمد جزر فارو على لغتها الخاصة اللغة الفاروية جنبا إلى جنب اللغة الدنماركية.

شلال كونبنار التركي.. ملاذ للاستمتاع بالهدوء

❏ **ملاطيا (تركيا)** – تجذب منطقة شلال كونبنار في قضاء داريندا بولاية ملاطيا (وسط تركيا) الهاربين من ضوضاء المدن، ويقلص شلالها الذي يشق أخدودا جبليا تحيط به الخضرة من همومهم اليومية.

وأعلنت وزارة الزراعة والغابات ومديرية الحدائق الوطنية التركية منذ فترة قصيرة، منطقة شلال كونبنار في القضاء محمية وطنية.

وتعتبر المنطقة مركزا لاستقطاب الزوار وعشاق التصوير من خلال طبيعتها البكر وأخدودها الجبلي وأسماكها وغطائها النباتي وشلالاتها الصغيرة.

وقال أنور زنغينجه، قائمقام داريندا، إن منطقة شلال كونبنار تعتبر أحد أثمن وأهم المواقع السياحية البارزة في القضاء.

وأشار إلى أن المنطقة من منبع المياه وحتى نهاية الشلال تمتد على طول كيلومترين اثنين ضمن أخدود جبلي، مبيّنا أن ارتفاع الشلال يبلغ 40 مترا.

وأوضح المرشد السياحي غوكهان كوج أنهم في شركتهم بدأوا بتسيير رحلات سياحية إلى المنطقة بعد اكتشاف جمال طبيعتها.

شيكاغو تستقبل السياح من بوابة السحاب

❏ **شيكاغو (الولايات المتحدة)** – تشهد منحوتة "بوابة السحاب" بمدينة شيكاغو الأميركية إقبالا كبيرا من قبل السياح الأجانب، باعتبارها أحد أهم المعالم السياحية في المدينة التابعة لولاية إلينوي.

ويبلغ وزن المنحوتة المعدنية 110 أطنان، ويطلق عليها أيضا اسم "فاصولياء".

وتجدر الإشارة إلى أن المنحوتة المعدنية المنصوبة وسط شيكاغو تعود إلى الفنان البريطاني من أصول هندية أنيش كابور، وتم افتتاحها عام 2006.

وبحسب إحصائية رسمية، فإن نحو 55.2 مليون سائح زاروا مدينة شيكاغو خلال العام الماضي.

ومن أبرز مناطق الجذب السياحي في شيكاغو أيضا إلى جانب بوابة السحاب مراكز التسوق في أحياء الماغنيفيسونت مايل والستايت ستريت، بالإضافة إلى العديد من المطاعم وهندسة شيكاغو المعمارية المميزة التي مازالت تجذب السياح إلى الآن. وتعتبر المدينة ثالث أكبر وجهة للمؤتمرات في الولايات المتحدة.

أجهزة الواقع الافتراضي تسبب الغثيان

شاشة «هولوغرافيك» تحرر من النظارات والانعزال عن المحيط الواقعي

حين نستخدم مصطلح الواقع فنحن نعني بذلك ما يقع في حياتنا وندركه بالحواس، لكننا في الوقت الحاضر ومع الثورة التكنولوجية أصبح مصطلح الواقع يطلق أيضا على ما هو افتراضي أو خيالي، وهناك أيضا واقع ثالث هو المعزز حيث يظل الإنسان في عالمه لكنه يحصل على إضافات لهذا العالم الحقيقي. وفي الوقت الذي يتنافس فيه الواقعان الافتراضي والمعزز طورت شركة ناشئة شاشة "هولوغرافيك" تحرر المستخدم من استعمال نظارة الواقع الافتراضي والانعزال عن محيطه الواقعي.

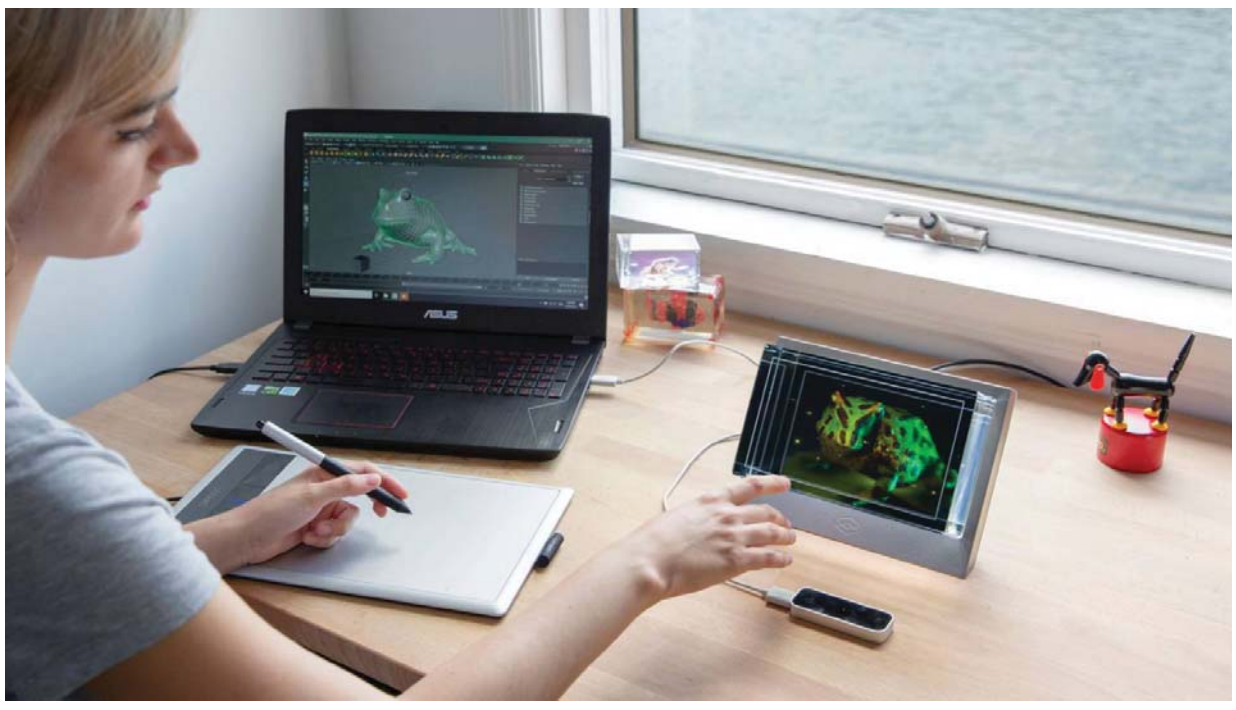

شاشة تغني عن السماعات والنظارات الثقيلة

❏ **بروكلين (الولايات المتحدة)** – بفضل الواقع الافتراضي يمكنك السباحة مع الدلافين أو لعب التنس أو قضاء بعض الوقت وحيدا، كل ذلك من مكانك المريح في بيت الجلوس في منزلك، لكن هذا الواقع الافتراضي لم يبلغ مرحلة الكمال بعد، رغم أنه ليس وليد السنوات الأخيرة، بل هو من التقنيات القديمة والتي يعود تاريخها إلى عشرات السنين من القرن الماضي، فالمفهوم بشكل عام ظهر قبل ظهور الإنترنت والهواتف المحمولة.

ما تزال أجهزة الواقع الافتراضي تعاني من الهنّات، إذ يمكن أن تصيب أجهزة الواقع الافتراضي الإنسان بالغثيان والإرهاق والإعياء أثناء الاستعمال، بسبب سرعة تحرك العناصر أمام عيني اللاعب، ففي العالم الافتراضي تنخرط العين والأذن داخل المحتوى، وتتوقف بقية الحواس الأخرى، على عكس العالم الواقعي، الذي تتفاعل فيه الحواس مع بعضها البعض وتعمل بشكل متزامن.

> شاشة «هولوغرافيك» تحرر المستخدم من النظارات والانعزال عن محيطه الواقعي وتمكنه من رؤية المحتوى بشكل طبيعي

تجربة نظارات الواقع الافتراضي تشبه تماما من يجرب ارتداء نظارة صديقه المختلف قياس النظر فيها، فقد يشعره هذا بألم في العينين وصداع خفيف، وهذا ما يحدث عندما يرتدي الإنسان جهاز واقع افتراضي على عينيه، والحل في ضرورة ضبط إعدادات الجهاز وأخذ الاستراحة المطلوبة.

وهذا يعني أن الواقع الافتراضي لم يصل بعد إلى الكمال، لكن هناك سبب للاعتقاد بأن تكنولوجيا الواقع الافتراضي أثبتت أخيرا أنها هنا لتبقى.

يقول دافيد ايوالت كاتب منهمك في إعداد تكنولوجيا جديدة ف، "لم تعد هذه التقنية حديث الناس مثلما كانت، إنها تحتاج إلى تحسينات أكثر بكثير، وأعتقد أنها وصلت إلى نقطة التحول التي يمكن للمستخدمين أثناء تجربة المنتجات الجديدة أن يقولوا: هذا حقا يعمل. الواقع الافتراضي حقيقي".

ويرى ايوالت أن هناك بعض المشكلات التي مازالت تحتاج للإصلاح قبل أن نحصل على أجهزة موجهة للسوق الجماهيرية تجعل الجميع يرغب في استخدامها، مثل سماعة الرأس التي إذا أراد حاملها إدارة رأسه بشكل أسرع من استجابتها يمكن أن تبدو الصورة ضبابية وفي بعض الأحيان سيبدو برنامج تتبع الحركة وكأنه لا يعمل.

وحسب ايوالت، المشاكل التابعة لسماعات الرأس نفسها مسؤولة عن كل هذه المرات التي يشعر فيها المستخدم بالدوار والغثيان، لكن الواقع الافتراضي سوف لن يظل على حاله كما هو اليوم، بل سيعمل المختصون فيه على تطويره لجعله أكثر واقعية من أي وقت مضى، ومن المرجح أن تسفر تطورات الواقع الافتراضي عن تطبيقات أفضل، لكن الشركات المطورة للأجهزة حاليا، مثل شركة سوني وأكيولوس، لا تتيح التطبيقات سوى على منصاتها الخاصة ومتاجرها.

يقول ايوالت، "تُقدّم أجهزة الواقع الافتراضي أداء جيدا حاليا، لكنها ليست مثالية وينبغي تحسين دقتها، ولا بد من تخفيف وزنها وتعديلها مع ما يناسب راحة المستخدم، إذ يتجنب الكثير استخدامها لنصف ساعة أو ساعة، لأنهم ينزعجون من ذلك الشيء الكبير الذي يغطي وجوههم".

وقد يشق الواقع الافتراضي طريقا إلى البرامج التلفزيونية، بحسب ايوالت الذي يقول، "قد تنطلق مستقبلا منصات لفيديوهات 360، كأن تخصص شركة نتفلكس أو هولو تبويبا للواقع الافتراضي"، فيتمكن المستخدمون من الاستمتاع بتجارب افتراضية لا تفاعلية، وتتمتع هذه التجارب بمقومات تؤهلها لاستضافة منصة عالمية وسوق ضخم.

ويرجح ايوالت، أن ينتشر الواقع المعزز بسرعة أكبر من الواقع الافتراضي، لأن الأول يمكّن المستخدمين من رؤية أزمنة أخرى ومتابعة حروب تدور في بلد آخر، أو الاستمتاع بمشاهدة فيلم، بحيث يشعر المشاهد بأنه جزء من الحدث، كما تعطي تكنولوجيا الواقع المعزز الفرصة لمستخدميها بإضفاء تفاصيل جديدة على مشاهد الواقع الحقيقي وتشكيله وفقا لرؤيتهم.

وينطلق الواقع الافتراضي من وجود عالم آخر مفترض، يتطلب مغادرة الشخص لواقعه الحقيقي، بحيث لا يعود يراه وينفصل عما يحدث حوله، ويحتاج إلى نظارة العالم الافتراضي التي تنقله إلى هناك، وإذا أراد العودة إلى الواقع الحقيقي فعليه خلع هذه النظارة.

أما الواقع المعزّز فلا يتطلب الانتقال إليه مغادرة الواقع الحقيقي، بل يظل الإنسان في عالمه، لكنه يحصل على إضافات لهذا العالم الحقيقي، من صور وبيانات وأشكال، تقدمها له نظارات لا تحجب رؤية العالم الحقيقي بشكل كلي. وإذا حجبته ففيها كاميرات تجعله قادرا على البقاء في عالمه، مع إثراء هذا العالم، من خلال منحه آفاقا أوسع.

ووفقا لايوالت، حان الوقت الذي نتوقف فيه عن تجاهل الواقع الافتراضي فقط لأنه لم يصل حد الكمال بعد، أو لأنه لم يحقق انتشارا واسعا في مجتمعاتنا، "ربما لم تنتشر تقنيات الواقع الافتراضي في أرجاء العالم بعد، لكننا حصلنا أخيرا على دليل يثبت بأن الواقع الافتراضي حقيقي، وسيحصل".

وفي الوقت الذي يدافع فيه ايوالت على أجهزة الواقع الافتراضي، طورت شركة تكنولوجية أميركية ناشئة شاشة ثلاثية الأبعاد أو شاشة "هولوغرافيك" تنتهج فلسفة جديدة ومختلفة عن بقية شاشات "ثري دي" الراهنة، تحرر المستخدم من ارتداء نظارة الواقع الافتراضي والانعزال عن محيطه الواقعي، وتمكنه من رؤية المحتوى بشكل طبيعي.

وأوضحت شركة "لوكينغ غلاس" التي تتخذ من بروكلين مقرا لها، أن شاشتها لا تتطلب سوى توصيلها بكمبيوتر أو لاب توب عبر كابل يو.أس.بي أو كابل إتش.دي.أم.آي، بعدها يستطيع المستخدم عرض أي محتوى ثلاثي الأبعاد بفضل برامج مثل مايا أو يونيتي.

وقالت الشركة إنها تهدف إلى خلق تجربة ثلاثية الأبعاد دون ارتداء نظارة "في.أر" لمدة طويلة وما ينتج عنها من مشاكل صحية ونفسية، بل تسمح للمستخدمين بدمج العالم الافتراضي داخل الواقعي، بل والتحكم به عبر الإيماءات بواسطة جهاز ماجيك ليب مثلا. وصممت الشركة نموذجين بحجمين مختلفين من الشاشة، أحدهما 8.9 بوصة، والآخر 15 بوصة وبعمق 7 بوصات.

الذكاء الاصطناعي يوفر مدققا لغويا جديدا لمستندات غوغل وترجمتها

❏ **كاليفورنيا** – أعلنت غوغل خلال مؤتمرها السنوي المسمى "غوغل نيكست" عن إضافتها لميزة المدقق النحوي الجديدة لمحرر مستنداتها المسمى "غوغل دوكس"، بحيث يمكن لهذا المدقق مساعدة المستخدمين في تحسين القواعد اللغوية، بالإضافة إلى توسيع أداة "الإنشاء الذكي" الخاصة ببريدها الإلكتروني "جيميل" وتطبيق التراسل "هانغ آوت"، بحيث تعمد هذه الأداة إلى اقتراح الردود المستندة إلى محتوى الرسالة بشكل تلقائي.

وتعتمد ميزة التدقيق النحوي على الذكاء الاصطناعي والتعليم الآلي، مما يجعلها منافسا لتقنية اكتشاف الأخطاء النحوية، وتجنب المستخدمين الوقوع في أخطاء قواعدية أو نحوية أثناء الكتابة، ويمكن للمستخدمين الاشتراك مسبقا للحصول عليها بشكل مبكر من خلال برامج غوغل للاعتماد المبكر، وتعتمد الاقتراحات النحوية على خوارزمية ترجمة آلية يمكنها التعرف على الأخطاء واقتراح التصحيحات المناسبة أثناء الكتابة.

وتقول غوغل، إن الميزة قادرة على اكتشاف أي شيء بسيط مكتوب بشكل خاطئ وصولا إلى اكتشافها مشكلات أكثر تعقيدا مثل العبارات الثانوية المستخدمة بشكل غير صحيح، ولكن من غير المعروف بعد ما إذا كانت ميزة غوغل قادرة على إيجاد المشاكل المتعلقة بعلامات الترقيم أو اختيارات الكلمات الفردية، وهو أمر يمكن لأدوات أخرى التحقق منه.

وقال ديفيد ثاكير نائب رئيس غوغل لإدارة منتجات حزمة "جي سوت" السحابية، "لقد اعتمدنا منهجا عالي الفعالية في تصحيح القواعد يعتمد على الترجمة الآلية، وعلى سبيل المثال، يمكنك في حال ترجمة اللغات أن تأخذ لغة مثل الفرنسية وتترجمها إلى الإنكليزية، ونحن نعتمد نهجا مماثلا لقواعد اللغة، إذ إننا نأخذ اللغة الإنكليزية غير الصحيحة ونستخدم تقنيتنا لتصحيحها أو ترجمتها إلى الإنكليزية المناسبة، وما هو جميل في هذا هو أننا نملك تاريخا طويلا ومثمرا من العمل في مجال تقنية ترجمة اللغات".

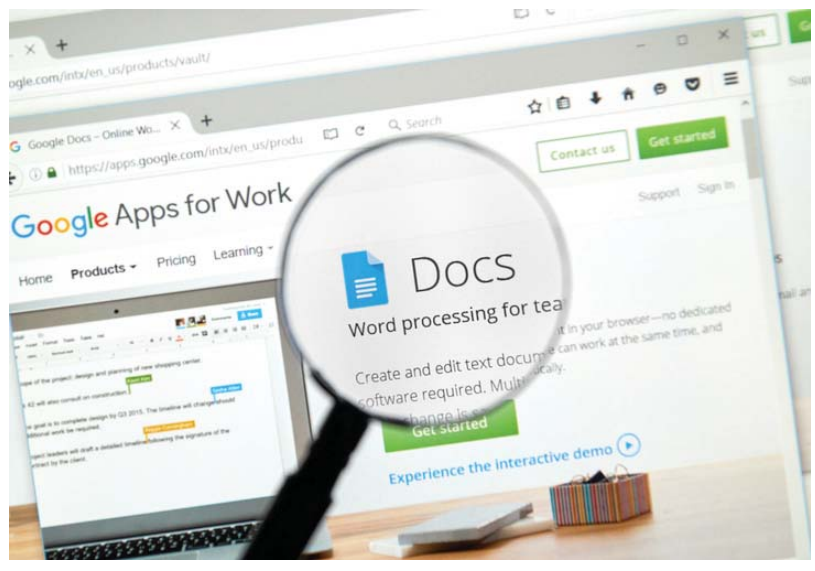

خوارزميات تساعد على تجنب الأخطاء

وتتيح مستندات غوغل، وهي خدمة معالجة نصوص عبر الإنترنت، لأي شخص لديه حساب غوغل إنشاء مستندات وتحريرها مجانا، حيث تعد المنصة قوية إلى حد ما وتقدم العديد من الميزات الأساسية اللازمة لإنشاء وتحرير المستندات بشكل فردي أو تعاوني.

وأضاف عملاق البحث ببطء ميزات جديدة لهذه المنصة، والتي ساعدت في تحسين فائدة مستندات غوغل بالنسبة للمستخدمين المتعددين، وتعد إضافة اقتراحات القواعد النحوية أحد هذه التغييرات الأخيرة.

وأوضحت غوغل أن تقنيات التعلم الآلي سوف تزداد خبرة بمرور الوقت، بحيث تصبح قادرة على تحديد الأخطاء بشكل أفضل.

تجدر الإشارة إلى أن ميزات التدقيق النحوي ليست جديدة. وتدعي غوغل أن خوارزميات الترجمة الخاصة بها وصلت إلى مستوى من الدقة يقترب إلى الدقة البشرية، مما يعني أن هذه الميزة سوف تساعد المستخدمين في التخفيف من أعباء التعديل عند الوقوع في أخطاء نحوية.

أخبار التكنولوجيا

فيسبوك تطلق ميزة «ووتش بارتي»

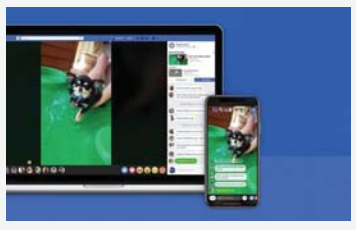

❏ فيسبوك تطرح ميزة "ووتش بارتي"، في محاولة الحفاظ على مستخدميها متصلين دائما بشتى الطرق، تتيح الميزة الجديدة للأشخاص ضمن المجموعات مشاهدة مقاطع الفيديو والتفاعل المباشر في الوقت الفعلي، إذ يمكن لأي شخص في المجموعة استخدام الميزة.

وتشير فيسبوك إلى أن الميزة تسمح للعائلة المتواجدة بعيدا مشاهدة مقطع فيديو لحفل تخرج أحد أفرادها أو مشاركة مقاطع فيديو لقضاء العطلات.

منتجات وهدايا عجيبة في سوق.كوم

❏ سوق.كوم يعلن عن إطلاق متجره "منتجات عجيبة"، ليسهّل البحث عن الهدية المثالية في أي مناسبة. وأصبح بالإمكان الاطلاع على المئات من المنتجات الجديدة والمثيرة للاهتمام كالألعاب والديكورات المنزلية والإكسسوارات وغيرها الكثير.

ويعمل متجر "منتجات عجيبة" على تقييم المنتجات الجديدة والمميزة وجمعها في صفحة ذات تصميم مرح.

نيكون تطور كاميرا بعدسات متغيرة

❏ أعلنت شركة نيكون عن تطوير كاميرا بإطار كامل وبعدسات متغيرة ودون عاكس.

وأوضحت الشركة اليابانية أن الكاميرا أف أكس الجديدة سيتم تجهيزها بعدسات جديدة ذات غالق خاص بها، ولكن سيتوفر بها أيضا محول لإتاحة إمكانية استعمال العدسات ذات غالق أف من الكاميرات العاكسة ذات الإطار الكامل من شركة نيكون.

«لسان اصطناعي» لاكتشاف الأطعمة

❏ طوّر علماء من جامعة فالنسيا التقنية جهازا يساعد على اكتشاف الأطعمة المغشوشة أو غير الطبيعية.

الاختراع يحمل اسم "اللسان الاصطناعي" ويعتمد تقنية "فولتاميتري" للتحليل الكهروكيميائي، مزود بحساسات خاصة تستشعر المواد الكيميائية والطبيعية في الأطعمة، وترسل بياناتها إلى جهاز الكمبيوتر ليحلل نسب تلك المواد وتركيباتها.

وتكمن أهميته في اكتشاف أي مواد غير طبيعية أة فاسدة.

التدرب باستخدام الأسطوانة المطاطية يحرر الجسم من التشنجات

تمارين التدحرج على الفوم رولر تخفف آلام العضلات وتدلكها

يستخدم بعض المتدربين أسطوانة الفوم رولر عند أداء تمارينهم الرياضية لما لها من أثر بالغ الأهمية في تدليك العضلات ومساعدتها على التخلص من الآلام الناتجة عن بذل الجهد وتمكينها من الاسترخاء والتحرر من الشد والتشنج.

❑ **لندن** – الفوم رولر أسطوانة مرنة تضفي بعض المتعة عند ممارسة الحركات الرياضية، وهي لا تشكل أي نوع من أنواع الضغط على العضلات مثل ما يحدث عند استخدام بعض الأدوات الرياضية الأخرى.

ويقول مدربو اللياقة البدنية إن استعمال الفوم رولر يخفف كثيرا من آلام عضلات الظهر والوركين والساقين، وهي قادرة على تخليص الجسم من التشنّجات عبر تدليك عميق للأنسجة. فيتمكن سائر الجسم من الاسترخاء بمجرد التدحرج فوق الفو رولر.

ولتحقيق نتائج أفضل، يوصي الخبراء باستخدام الوزن للتدحرج إلى الوراء والأمام، بحركة بطيئة، مع التوقف على النقاط الأكثر تشنجا والضغط لمدة 30 ثانية.

ويؤكد العديد من المعالجين الطبيعيين أن هذه الأسطوانة الرخيصة والطويلة هي سلاحهم السري ضد الألم. لأن استخدامها يشبه عملية التدليك القديمة والتي تحل الأنسجة الليفية وتعزز الدورة الدموية حتى تقلل من الشعور بالألم.

وأظهرت الدراسات أنّ استخدام الفوم رولر لمدّة 10 إلى 15 دقيقة بعد التدريب الرياضي قد يقلل من الفترة المطلوبة للتعافي من بعض الإصابات العضلية.

كيفية تأدية هذا التمرين:

● الجلوس على الأرض على الورك، على جانب الجسم وراحة اليد اليمنى على الأرض.
● تثبيت الورك على الرولر.
● دحرجة الرولر ببطء على طول الجانب الخارجي من الساق من الورك إلى الركبة ومجددا إلى الورك عدّة مرات.
● التركيز على وزن الجسم، خلال تأدية تمرين الرولر لتحقيق الاستفادة القصوى.
● تكرار الحركة على الساق الأخرى.

وصمّمت المعالجة الطبيعية والمدربة الشخصية في مينيسوتا، ميشيل ف. شوان برنامجا يوميا تستخدم فيه الفوم رولر، قادرا على تخفيف وجع الشد العضلي والألم في 10 دقائق فقط. ونشر الموقع الأميركي مايو كلينيك لمحة عن بعض التمارين التي تؤدي إلى الشعور بالراحة عند إضافتها إلى نهاية أي تمرين.

برنامج التمارين:

■ توفير مساحة مغطاة بالسجاد وفوم رولر طويلة.
■ أداء مجموعة من الحركات 3 مرات على الأقل في الأسبوع، لتقليل تصلّب العضلات وزيادة تناغمها.
■ البداية في كل حركة بالاستلقاء بجزء من الجسم فوق الأسطوانة، ثم التدحرج ببطء في كلا الاتجاهين إلى غاية العثور على المنطقة التي تسبب الشعور بالألم.
■ الثبات على هذا الوضع من 5 إلى 10 ثوان، أو حتى الشعور بارتخاء العضلة المتصلبة.
■ الاستمرار في التدحرج بطول العضلة حتى العثور على عقدة عضلية أخرى.
■ تكرار الحركة بهذه الطريقة من 3 إلى 5 مرات.

وكطريقة تساعد على جعل التمرين أكثر سهولة، يوصي المدربون بأداء حركات التمرين على السرير لضغط أقل حدة على العضلات المتألمة.

■ لتخفيف آلام الظهر: الاستلقاء على الظهر ثم وضع الأسطوانة، بشكل أفقي تحت الجزء العلوي من الظهر (تحت لوحي الكتف) مع ثني الكتفين وتسطيح القدمين فوق الأرض ووضع الكفين خلف الرأس. قبض عضلات البطن والضغط على القدمين مع رفع الوركين قليلا للدحرجة ببطء فوق الأسطوانة من أعلى إلى منتصف الظهر. العثور على موضع الألم في الظهر والضغط عليه لثوان.

بعد ذلك، على المتدرب إعادة الأسطوانة إلى أسفل الظهر، مع ثني الركبتين ووضع الذراعين إلى الجانبين. قبض عضلات البطن والميل قليلا باتجاه اليسار لاستهداف

الفوم رولر تساعد على التخلص من السيلوليت

العضلات بطول الجانب الأيسر من الظهر. وخلال ذلك، يفضل الضغط على القدمين للتدحرج ذهابا وعودة من منتصف الظهر إلى أعلى الوركين، مع التوقف عند العثور على موضع الألم لتحقيق عملية الاسترخاء. ولتمديد عضلات الظهر بشكل أكثر عمقا، لا بد من رفع الوركين أثناء التدحرج.

● لإرخاء أوتار وعضلات الساقين المشدودة: الجلوس على الأرض مع مد الساق اليمنى إلى الأمام ووضع الفوم رولر تحت أعلى الورك ثم ثني الركبة اليسرى مع وضع القدم اليسرى، بشكل مسطح على الأرض، والكفين في الخلف لدعم الوضعية. التدحرج ببطء فوق الأسطوانة من المؤخرة وحتى الركبة. ثم إعادة الأسطوانة تحت عضلات الساق من جديد، مع وضع الكفين في الخلف. التدحرج ببطء من أسفل الركبة إلى الكاحل.

● لإرخاء العضلات المشدودة في الوركين والمؤخرة وتخفيف الألم في الركبتين: الاستلقاء على الجانب الأيسر مع وضع الأسطوانة تحت الورك الأيسر، تمرير الساق اليمنى إلى الأمام، مع وضع القدم اليمنى بشكل مسطح فوق الأرض. دعم الجزء العلوي من الجسم بالساعد الأيسر ووضع الكف الأيمن فوق عظمة الورك، مع محاذاة الرأس في خط مستقيم مع العمود الفقري. الضغط على القدم اليمنى ودحرجة الأسطوانة لأسفل بطول الساق من تحت الورك مباشرة وحتى أعلى الركبة، مع التوقف عند العثور على موضع الألم والاسترخاء لثوان.

● لتخفيف الألم في الفخذين: الانبطاح على الأرض مع وضع الأسطوانة تحت الفخذين ووضع المعصمين تحت الكتفين. قبض عضلات البطن ورفع الجزء العلوي من الجسم، مع التحكم في الحركة باستخدام الكتفين والوركين وعضلات الجذع. دحرجة الأسطوانة ببطء ما بين الوركين والركبتين، مع التوقف عند ملامسة الأسطوانة لموضع الألم.

وأوضح أطباء الجلد أن ممارسة بعض التمارين باستخدام الفوم رولر تساعد في الحصول على جسم مشدود، خال من السيلوليت. وعلى العديد من الفوائد الأخرى مثل ترطيب الجسم وإعادة حركة وليونة العضلات وإطالتها. وتعمل هذه الأسطوانة أيضا على تعزيز حركة الجهاز الليمفاوي من خلال تدليك الأنسجة، وبالتالي تعزيز حركة التخلص من السموم، بالإضافة إلى تعزيز جهاز المناعة وتنشيط حركة الدورة الدموية.

وأشارت مجلة "سينيورين راتجيبر" الألمانية إلى أن تدليك الظهر بكرة أو أي أداة تدليك يمكن أن يساعد في تخفيف الشد العضلي في منطقة الظهر.

وأوضحت المجلة الألمانية أنه يمكن لكبار السن وضع كرة التدليك على أحد جانبي العمود الفقري بين ظهره والحائط، ثم يبدأون في الحركة بحيث تتحرك الكرة على الظهر ذهابا وإيابا، مع مراعاة الابتعاد عن الفقرات.

ونصحت المجلة الألمانية بالضغط بعض الشيء على مناطق الشد العضلي، بعد ذلك يتم إغماض العينين والتنفس بإدخال الهواء وإخراجه، ثم تغيير الكرة إلى الجانب الآخر من الظهر.

كما قالت مدربة اللياقة البدنية الألمانية ساندرا غيرتنر، إن التمرين بالكرة المطاطية يعد تدريبا شاملا للجسم، حيث أنه يعمل على تدريب عضلات الذراعين والصدر والظهر والبطن والساقين والمقعدة.

> أسطوانة الفوم رولر تعزز حركة الجهاز الليمفاوي من خلال تدليك الأنسجة، وبالتالي تعزيز حركة التخلص من السموم

وعزت غيرتنر هذا التأثير إلى أن التمرين بالكرة المطاطية يصل إلى الطبقات العضلية، التي لا يمكن الوصول إليها من خلال تمارين تقوية العضلات التقليدية.

ويتمثل التمرين الأساسي في الجلوس على الكرة، بعدها يتم الوقوف بتحكم عدة مرات والجلوس مرة أخرى. ويعمل هذا التمرين على تنشيط الدورة الدموية ويحسّن التنسيق والتوازن.

الراحة المطولة مثل الإجهاد تضعف قدرة القدمين على التحمل

❑ **بون (ألمانيا)** – فور الشعور بالتعب أو الإرهاق يقرر البعض أخذ قسط مطول من الراحة، فتقل حركتهم ونشاطهم، معتقدين أنهم بذلك يحققون أفضل التدابير وأكثر نجاعة في الحفاظ على صحة القدمين وتوازنهما.

لكن الحقيقة أن هذه الممارسة تزيد الطين بلة وتفقد القدمين قدرتهما على تحمل الأعباء والإجهاد، لاحقا. وهو ما أثبته تقرير نشره الموقع الألماني، "دويتشه فيله". وجاء في التقرير أن بطانات الأحذية الطبية تساعد على إزالة العبء والإرهاق عن القدمين، لكن هذا هو تماما في حد ذاته عكس التدريب. وقال باحثون "صحيح أن الآلام تختفي غالبا وبشكل موثوق في حالة استخدام البطانات الطبية، لكن قدرة القدمين على تحمل الأعباء لا تزداد في هذه الحالة بل إنها قد تقل". ومن يرغب في ارتداء أحذية أنيقة ضيقة من وقت إلى آخر لا يوجد فيها مكان لوضع البطانات الطبية، فبإمكانه التعويض عن ذلك بزيادة قدرة قدميه على التحمل وتحسينهما، وذلك عبر التدريب.

> تتابع المتدرب إرهاق القدم ثم إراحتها بشكل دوري ومتعاقب هو أفضل طرق التدريب وله مفعول ذو تأثير مثالي

وهذا التدريب مثل أي تدريب آخر، إذ أن أفضل طريقة للتمرين هي التسلسل في عملية الإتعاب ثم الإراحة. فتتابع المتدرب إرهاق القدم ثم إراحتها بشكل دوري ومتعاقب هو أفضل طرق التدريب وله مفعول ذو تأثير مثالي. صحيح أن التدريب يزيد العبء على القدم لكنه يزيد في الوقت نفسه من قوتها وقدرتها على تحمل الأعباء مع الزمن. وبالتالي فإن المسافة التي يقطعها الإنسان دون أن يشعر بالتعب تزداد باطراد وتصبح أفضل مع الوقت.

وأفضل طريقتين لتدريب القدمين هما المشي حافي القدمين وأيضا التدريبات الرياضية التخصصية الخاصة بتدريب القدمين.

ويمكن للإنسان البدء بالمشي حافي القدمين لخمس دقائق على بساط المنزل أو وهو لابس جواربه، ثم يزيد المدة، ويغيّر المكان إلى الخارج فيمشي على الرمال أو على الملاعب الخضراء أو في الغابات، وعلى الإنسان الانتباه في حالة وجود زجاج أو مواد ضارة على الأرض وأن يحذر من التزحلق في الأراضي الشديدة اللزوجة. وبذلك فمن الممكن حتى لمن أوزانهم زائدة المشي على الطرقات والشوارع لفترات طويلة وبأحذية مناسبة ومن دون ألم بهدف التخفيف من أوزانهم.

يذكر أن آلام قصبة الساق، المعروفة طبيًا باسم متلازمة إجهاد عظم الساق، تشير إلى الألم الناتج عن الإفراط في استخدام عضلات الساق أو الإجهاد المتكرر للعضلات التي تتجاور عظام الساق في القدم السفلى، وتتضمن في بعض الأحيان أيضا التهاب الغشاء الرقيق من الأنسجة التي تلتف حول عظام الساق.

ومتلازمة إجهاد عظم الساق شائعة نسبيا بين المتسابقين والأشخاص الذين يقومون بنزهات طويلة سيرا على القدمين والراقصين والعسكريين، وتشفى معظم حالات ألم قصبة الساق من تلقاء نفسها أو يمكن علاجها من خلال بعض إجراءات العناية الذاتية، ولكن توجد بعض الحالات التي تحتاج العلاج المقدم من أخصائي الرعاية الصحية.

وينتج ألم قصبة الساق غالبا إما عن طريق الركض أو المشي الشاق جدا على أرض غير مستوية وإما على الأسطح الصلبة على وجه الخصوص مثل الإسفلت أو الخرسانة. وتغيير نوع السطح الذي يقوم فوقه المتدرّب بالركض أو المشي واستبداله بسطح آخر مثل العشب أو الرمال أو المسار

المراوحة بين التعب والراحة تجنب الإصابات

ذهابا وإيابا، مع مراعاة الابتعاد عن الفقرات.

ونصحت المجلة الألمانية بالضغط بعض الشيء على مناطق الشد العضلي، بعد ذلك يتم إغماض العينين والتنفس بإدخال الهواء وإخراجه، ثم تغيير الكرة إلى الجانب الآخر من الظهر.

كما قالت مدربة اللياقة البدنية الألمانية ساندرا غيرتنر، إن التمرين بالكرة المطاطية يعد تدريبا شاملا للجسم، حيث أنه يعمل على تدريب عضلات الذراعين والصدر والظهر والبطن والساقين والمقعدة.

> أسطوانة الفوم رولر تعزز حركة الجهاز الليمفاوي من خلال تدليك الأنسجة، وبالتالي تعزيز حركة التخلص من السموم

وعزت غيرتنر هذا التأثير إلى أن التمرين بالكرة المطاطية يصل إلى الطبقات العضلية، التي لا يمكن الوصول إليها من خلال تمارين تقوية العضلات التقليدية.

ويتمثل التمرين الأساسي في الجلوس على الكرة، بعدها يتم الوقوف بتحكم عدة مرات والجلوس مرة أخرى. ويعمل هذا التمرين على تنشيط الدورة الدموية ويحسّن التنسيق والتوازن.

اهتمام عربي خجول بالبحث العلمي يضع ابتكارات الشباب طي النسيان

الجوائز الدولية لأبحاث الشباب لم تدفع الشركات الصناعية العربية لتبنيها

يهتم جيل الشباب العربي بالابتكارات والبحث العلمي وقد نال العديد منهم جوائز دولية مرموقة، لكن ملفات هذه المشاريع بقيت حبيسة الأدراج ولم تجد طريقها للتنفيذ في غياب الاهتمام الحكومي الكافي والميزانية المتواضعة المخصصة لهذا المجال، ورغبة الشركات الصناعية بمشاريع جاهزة تجاوزت مراحل التجربة والتطوير.

أحمد جمال
صحافي مصري

اهتمام لا يلقى رعاية

❏ **القاهرة** – شهدت المنطقة العربية مؤخرا اهتماما متزايدا من الشباب بالبحث العلمي والسعي نحو الحصول على براءات اختراع، وهناك العديد من النماذج قد استطاعت أن تحصد ابتكاراتها جوائز عالمية، وحضرت بقوة في عدد كبير من المسابقات. غير أن بعض الإنجازات تتوقف عند حدود التفوق من دون ترجمتها إلى مشاريع صناعية وخدمية.

وتقول المنظمة العالمية للملكية الفكرية، إن طلبات تسجيل براءات الاختراع خلال العام 2017 بمختلف الدول العربية، بلغت 7976 اختراعا، لكن 2057 فقط من هذه الطلبات لمخترعين ومبتكرين مقيمين في العالم العربي، والبقية طلبات من الخارج، ما يبرهن على عدم وجود ثقة من قبل أصحاب هذه الاختراعات في أن تترجم أبحاثهم إلى مشاريع داخل المجتمعات التي ينتمون إليها.

وتحدث طلال سليمان الرحبي نائب الأمين العام للمجلس الأعلى للتخطيط في عمان عن التحديات التي تواجه البحث العلمي في المنطقة، وقال إن "البحث العلمي نخبوي، لذلك هناك ضرورة للتركيز على المواهب والمبادرات في هذا المجال".

وأشار إلى تواضع مساهمة الدول العربية في البحث العلمي التي لا تصل مجتمعة إلى نسبة 1 بالمئة من الإنفاق العالمي.

ودعا خلال إطلاق التقرير العربي العاشر للتنمية الثقافية "الابتكار أو الاندثار، البحث العلمي العربي: واقعه وتحدّياته وآفاقه"، في بيت الأمم المتحدة ببيروت، إلى تجمّع عربي لمواجهة التحدّيات الكبرى مثل الغذاء والبيئة والبطالة واستدامة الموارد الطبيعية.

من جهته أكد لحسن الداودي الوزير المغربي المكلف بالشؤون العامة والحكامة، على "دور الابتكار في إيجاد فرص عمل مُجدية للشباب العربي، وفي وضع الشباب في محيطهم العالمي ومواكبة ما يجري من حولهم".

ولكن المشكلة في التصريحات الحكومية الرسمية في أنها تبقى أسيرة المؤتمرات والمنتديات ولا تجد طريقها إلى التنفيذ والمتابعة على أرض الواقع.

قدرات لم تجد فرصة

يجد الكثير من الشباب الذين تتوافر لديهم طاقات علمية وتنفيذية عشرات عدة أمام الدخول في عجلة الإنتاج المحلية داخل بلدانهم، ما يؤدي إلى توقف حدود الابتكارات عند باب التجارب العلمية، والاكتفاء بالحصول على جوائز دولية باعتبارها هدفا لدى غالبية الجمعيات العلمية التي تدعم الموهوبين، أو اللجوء إلى الخارج بحيث تتوافر مقاومات دعم البحث العلمي بآليات سليمة.

تعد حالة فريق كلية الهندسة بجامعة عين شمس في القاهرة، والذي حصل، مؤخرا، على المركز الأول بمسابقة "Formula Student UK" العالمية لتصميم وتصنيع سيارات السباق، أبرز مثال على حالة الشباب العربي المبتكر، لأن قدرات الفريق البحثي على تصنيع سيارات السباق لن تجد فرصة حقيقية داخل بلده، بسبب عدم توافر البنية التحتية التكنولوجية التي تدعم صناعة السيارات، وضخامة التكلفة الإنتاجية لتلك الصناعة.

وحصل الفريق الذي يضم 10 أعضاء من هيئة التدريس، و50 طالبا وطالبة في كلية الهندسة، على جائزة الفئة الأولى من سيارات السباق الأقل تكلفة والأكثر جودة بين سيارات مشاركة من 81 جامعة على مستوى العالم، واستطاع التفوق على جامعات لها خبرات طويلة في البحث العلمي بينهم، كامبريدج، وأكسفورد، وتكساس، وكوين ماري، ليفربول.

ومع أن الفريق المصري يعمل على مشاريع متنوعة لتصنيع السيارات منذ عام 2011، إلا أن حدود ابتكاراته لم تتجاوز إطار العمل الجامعي البحثي والمسابقات العلمية وحقق فيها مراكز متنوعة قبل الحصول على الجائزة الأخيرة.

وقال محمد عبدالشكور، أحد أعضاء الفريق البالغ من العمر 26 عاما، أن "فكرة السيارة تقوم على تصنيعها بمقعد واحد وبأقل تكلفة وبمراعاة المواصفات العالمية الحديثة في سباقات السيارات، وعمل طلاب الكلية خلال عام قبل دخولهم المسابقة على تجميع قطع الغيار من الخارج، والبحث عن ورش متخصصة في صناعة السيارات للوصول إلى المنتج النهائي".

وأضاف في تصريحات لـ"العرب"، أن الإمكانيات المادية، والتي تكفل بها الطلاب وأعضاء هيئة التدريس وإدارة الجامعة وصلت إلى 500 ألف جنيه مصري (27 ألف دولار)، بالإضافة إلى إيجاد أماكن للتصنيع متخصصة، والصعوبات في استيراد قطع التصنيع، وكان ذلك أبرز ما يواجه عمل الطلاب، قبل المشاركة في المسابقة.

ولفت إلى أن الابتكار الفائز مؤخرا، أضحى بحاجة إلى رعاية وتمويل لتحويله إلى منتج عالمي مشارك في سباقات السيارات العالمية، وهذا الأمر لم يتمّ حسمه حتى الآن في ظل حقوق الرعاية المقدمة إلى الفريق من جهات دولية عدة، غير أن الفريق البحثي ينتظر عرضا محليا لتصنيع السيارة حال تواجدها.

وما تعانيه مصر في مجال الاهتمام باختراعات الشباب ينطبق على العديد من البلدان العربية التي لا تتوافر لديها الثقة الكاملة في المنتج المحلي، وتركن تحديدا في الصناعات التكنولوجية الحديثة على المنتج الخارجي، ما يؤثر على خيارات الشبان المخترعين الذين تتلقفهم شركات صناعية كبرى في العالم للاستفادة من ابتكاراتهم.

وفقا لتقرير "التدفقات العالمية للمواهب" الصادر عن البنك الدولي في أكتوبر 2016، تستأثر الدول الصناعية الكبرى بقرابة 28 مليون مهاجر من أصحاب المهارات العالية، وتقيم 70 بالمئة من هذه الكفاءات في الولايات المتحدة وكندا وأستراليا والمملكة المتحدة، بفضل برامج جذب المواهب التي تعتمدها هذه الدول والقائمة على التسهيلات القانونية في الإقامة ومنح الدراسات العليا والتدريب وتسهيل الانخراط في سوق العمل.

وأكدت هبة عبدالرحمن، نقيب المخترعين المصريين، أن مشكلات تطبيق اختراع الشباب تواجه أزمات عديدة في الدول العربية بصفة عامة، لعدم وجود بيئة استثمارية علمية سليمة تشجع الشباب على توجيه دفة اهتمام القطاع الخاص والقطاعات الحكومية نحو الاهتمام باختراعاتهم وتبنيها، علاوة على انتشار سماسرة تسويق الاختراعات في بعض الدول العربية.

وأضافت في تصريحات لـ"العرب"، أن تعامل الشركات الصناعية الكبرى في العالم مع اختراعات الشباب العربي وسعيها للحصول عليها عبر أذرعها التي تنتشر في مختلف البلدان، غالبا ما تحسم في النهاية مصير الاختراعات، كما أن الشباب العربي لا تتوفر لديه الثقة الكاملة في المستثمر المحلي الخاص أو الحكومي الذي من شأنه أن يدعم تحويل الأبحاث العلمية إلى منتجات بصورة سليمة.

ميزانيات ضعيفة

وأشارت إلى أن غالبية الاختراعات التي توصل إليها الشباب العربي تنفذ على أرض الواقع بطريقة مختلفة، عما كانت عليه في البداية، الأمر الذي يتطلب المزيد من الأبحاث والدراسات والتجارب التي تكون بحاجة إلى مبالغ مالية طائلة لا تتوفر لدى دول عربية كثيرة، والتي لا يخصص معظمها ميزانيات تستطيع أن تتحمل إجراءات تحوّل الاختراع إلى منتج.

بدأت بعض الدول العربية تولي اهتماما بميزانيات البحث العلمي، لكن دولة مثل مصر تخصص فقط نسبة 1 بالمئة من إجمالي ناتجها القومي للإنفاق على البحث العلمي، البالغ حوالي 21 مليار دولار، والمبلغ الضئيل لا يخصص فقط للأبحاث وإنما يذهب الجزء الأكبر منه كرواتب وبدلات وحوافز للموظفين.

وأرخت التصورات القاصرة بظلالها على مؤشر البحث العلمي الذي تراجع مركزين في العام الماضي دوليًا، لتأتي مصر في المركز رقم 129 من بين 148 دولة في قائمة الجودة العلمية، كما جاءت في المركز 128 من أصل 140 دولة في مؤشر كفاءة مؤسسات البحث العلمي.

ويتعرض العديد من الشباب إلى مشكلات متزايدة عقب الوصول إلى الاختراع، لأن الشركات الصناعية التي تتقدم بطلبات لتنفيذ الاختراع تشترط أن يكون الاختراع في هيئته الأخيرة قبل التطبيق، وتطلب من المخترع أن يستكمل أبحاثه على نفقة الجمعية أو الهيئة التي ترعى مشروعه، وهو ما يعني رفضه، ففي نظرها إن تطوير الاختراع وتوظيفه لخدمة المنتج يكون من اختصاص هذه الشركات.

وقال أحد الباحثين المصريين –رفض ذكر اسمه خشية المساءلة القانونية– لـ"العرب"، إن المشكلات الروتينية التي تعوق تحول الاختراعات إلى مشاريع إنتاجية لا تتوقف عند هذا الحد، بل إن إجراءات الحصول على براءة الاختراع في حد ذاتها تأخذ وقتا طويلا وتصل في بعض الأحيان إلى عامين أو أكثر، ما يضطر الكثيرين للتسجيل في الأكاديميات الدولية، التي تساعد على توفير فرص دعم لتحويل الاختراعات إلى مشاريع إنتاجية.

وأشارت نقابة المخترعين في مصر إلى أن هناك 40 جائزة حصل عليها الشباب والطلاب خلال العام الماضي، وأن هذه الاختراعات لم تتحول إلى مشاريع إنتاجية تستفيد منها الدولة، ومصيرها أدراج المراكز البحثية أو استثمارها خارجيا من قبل بعض الشركات، فضلا عن رعاية رجال أعمال محليين لجزء بسيط منها.

وتحصل بعض المشاريع الشبابية ذات التكنولوجيا التطبيقية البسيطة على دعم الشركات والمؤسسات، الأمر الذي يرعاه داخل مصر كل من الهيئة العربية للتصنيع (حكومية)، وبعض رجال الأعمال، وهو أمر يتكرر في بلدان عربية عدة، لكنه في النهاية لا يحقق تطورا على المستوى الصناعي.

تعد حالة الطالب أحمد أسامة، الذي ابتكر جهازا لعلاج دوالي الساقين، حصل من خلاله على الميدالية الذهبية في مجال الهندسة الطبية بعدد من المسابقات العلمية الدولية في كل من كوريا الجنوبية وروسيا وكندا، وهو ما دفع رجل الأعمال المصري أحمد أبوهشيمة إلى تبني مشروعه.

وأوضح الطالب المصري البالغ من العمر 14 عاما، لـ"العرب"، أن مشروعه عبارة عن جهاز طبي صغير يستخدم في حقن المريض بمادة الكولاجين بهدف تقريب الصمامات من بعضها البعض عند نقطة معينة في جدار الوريد، ما ساهم في إيجاد علاج بسيط وسهل التكاليف لمرضى دوالي السيقان، لافتا إلى أن سهولة تطبيق المشروع كانت أحد الأسباب التي سهلت رعايته في الداخل.

حلقة مفقودة

وتلفت حالة الشاب أسامة، النظر إلى مشكلة تعاني منها غالبية البلدان العربية وترتبط بعدم وجود توجيه حكومي للابتكارات العلمية بطبيعة السوق الإنتاجية، وغياب الدمج بين القطاعات العلمية والبحثية بالقطاعات الصناعية، الأمر الذي قد يفرز جملة من الاختراعات التي يصعب توظيفها داخليا، وهو ما يعد من العوائق التي تقف أمام العديد من المخترعين الشباب.

ويؤكد بعض الباحثين أن هناك حلقة مفقودة بين الشركات الصناعية وشباب المخترعين، ما يؤدي إلى إلقاء مهمة تسويق الاختراع على عاتق الشباب، الذين يعرضون خدماتهم على الشركات المتخصصة في المجالات القريبة من تخصص ابتكاراتهم لرعايتها، من دون أن يكون هناك دمج مسبق بين أصحاب الاختراعات وأصحاب الشركات، بحيث يمكن توظيفها والاستفادة منها.

ولعل ذلك ما انتبهت له مصر، بعد أن أنشأت قبل نهاية العام الماضي صندوقا لرعاية المبتكرين والنوابغ من الشباب، تكون مهمته تمويل المشاريع المبتكرة وتحقيق أقصى استفادة منها وربطها بسوق العمل والشركات الحكومية والخاصة، والمشكلة التي تواجه هذا الصندوق ترتبط بالتمويل الذي يقع على عاتق أكاديمية البحث العلمي ومنظمات المجتمع المدني ورجال الأعمال.

وكشفت ماجدة نصر، عضو لجنة التعليم والبحث العلمي بالبرلمان المصري، لـ"العرب"، أن الصندوق تقوم فكرته على الربط بين مراكز الأبحاث والجامعات العلمية بالشركات الاستثمارية، بحيث تقوم إدارة الصندوق بعرض الأبحاث العلمية على الشركات المنتجة والتي تحدد مدى حاجتها للمشروع من عدمه.

واعترفت نصر أن الصندوق لا يستطيع بمفرده حل مشكلات الشبان المخترعين، في ظل عدم وجود حوافز وقوانين استثمارية للشركات الخاصة تدفعها إلى رعاية الابتكارات، ومع وجود ميزانية ضئيلة للبحث العلمي في مصر، وهو ما يشجع الشباب على السفر إلى الخارج، مع غياب الحوافز العلمية للطلاب المشاركين في هذه الابتكارات التي لا تقدم لهم حوافز حقيقية لاستكمال مشاريعهم. وأشارت إلى أن البنية التحتية الصناعية في مصر غير مستعدة لمواكبة الاختراعات التكنولوجية الحديثة للشباب

ماجدة نصر:
البنية التحتية الصناعية في مصر غير مستعدة لمواكبة الاختراعات التكنولوجية الحديثة للشباب

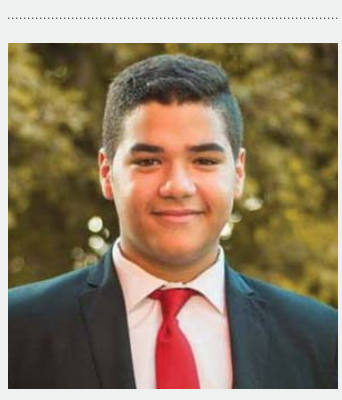

أحمد أسامة:
غياب الدمج بين القطاعات العلمية والبحثية بالقطاعات الصناعية، يفرز اختراعات يصعب توظيفها داخليا

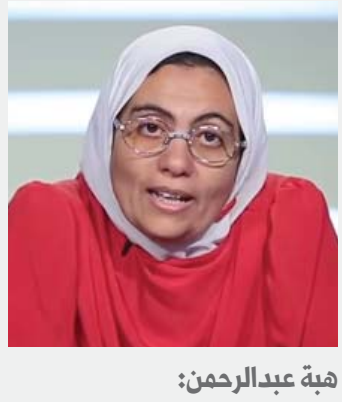

هبة عبدالرحمن:
الشباب العربي لا تتوفر لديه الثقة الكاملة في المستثمر المحلي الخاص أو الحكومي

نجمات يوتيوب.. نوافذ نسائية تحطم الحواجز لتوعية المرأة العربية

الـ«يوتيوبرز» تنقل قضايا النساء العربيات إلى العالم الافتراضي

وجدت الكثير من الفتيات العربيات في موقع يوتيوب منصة حرة نقلن إليها قضايا بنات جنسهن ومشكلات مجتمعاتهن وطرحن دون حواجز أو قيود أحلامهن وناقشن مسائل حساسة تمس المرأة العربية بشكل خاص، فحظيت قنواتهن بنسب متابعة كبيرة.

شيرين الديدامووني
كاتبة مصرية

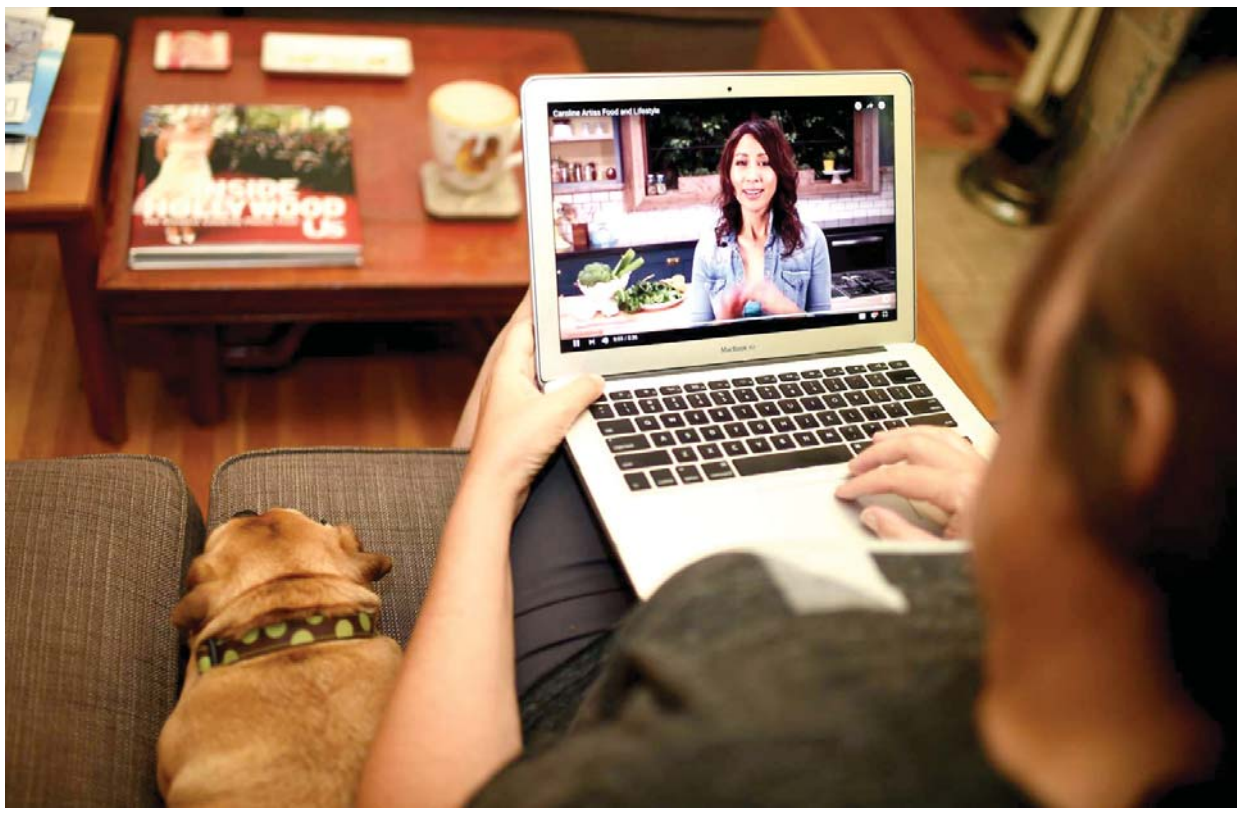

❑ **القاهرة** – أمام حالة الحصار المفروضة على طموحات وقضايا المرأة في بعض المجتمعات العربية، وغض الطرف من جانب الإعلام التقليدي أحيانا عن تبني الرؤى والأفكار النسائية والبحث عن حلول جذرية تمس صميم حياتهن، أصبح الإعلام الاجتماعي النسائي الوسيلة الأكثر قدرة على القيام بهذه المهمة، لتكون المرأة "يوتيوبرز"، أي نجمة يوتيوب.

واستطاعت العشرات من الفتيات نقل أحلامهن ومناقشة قضايا ومشكلات النساء عموما إلى العالم الافتراضي دون حواجز أو قيود، وجعلن منه نافذة يستقطبن من خلالها قطاعا واسعا من الجمهور، يتابع برامجهن باهتمام وينتظر بثها على الشبكة العنكبوتية بشغف.

ما يميز العالم الافتراضي، أنه لا يحتاج إلى أسطول إنتاج أو مخصصات مالية ضخمة مثل الإعلام التقليدي، ويتطلب الأمر فتاة لديها فكر ووعي وتتمتع بسمات شخصية خاصة في التقديم والإقناع واختيار الموضوعات التي تمس قضايا المرأة.

واستطاعت برامج يوتيوبرز تشكيل مجتمع أنثوي حقيقي له صيت واسع دون تسلط وتحكم ذكوري أو نظرة عنصرية، واتسعت دائرة انتشارها (البرامج) لتشمل مختلف مواقع وصفحات التواصل الاجتماعي، على غرار فيسبوك وإنستغرام وسناب شات وتويتر.

> اتساع شعبية هؤلاء الفتيات ارتبط بطموحهن في تغيير المجتمع بصناعة محتوى جيد مع تقديمه بطريقة مميزة

ورغم اختلاف توجهات هذه النوعية من النساء وانتمائها إلى جنسيات مختلفة، لكن تغلب عليهن البساطة في طرح ومناقشة الأفكار والقضايا النسائية التي تتعامل معها أكثر وسائل الإعلام التقليدي بسطحية واستخفاف.

وينظر متابعو "يوتيوبرز" من الفئات النسائية إلى أن نجمات يوتيوب، استطعن بسهولة تحويل الإحباط إلى نجاحات، بدءا من تكوين قاعدة جماهيرية واستقطاب عدد كبير من الفتيات مرورا بكسر حواجز تحمل حساسية تاريخية بالنسبة لمجتمعات محافظة مثل المجتمعات العربية.

مواهب وملكات نسوية

من شدة تأثر الجيل الجديد من صغار الإناث بهذه النوعية من الفتيات مقدمي برامج "يوتيوبرز"، خرجت منهن مواهب لم تتجاوز السبع سنوات، وينحصر حلمهن في حمل لقب "مدونة فيديو" مثل "عاليا أوي"، أو البومة "رغد"، وأخريات أعربن عن حلمهن في أن يصبحن طبيبات يوتيوب، اقتداء بطبيبة لها برنامج جريء، أو مرشدة سياحية مثل بسنت نور، التي تزوجها وانفصل عنها الداعية الشاب معز مسعود.

تقول قيادات نسائية معنية بحقوق المرأة في مصر، إن تحول برامج "يوتيوبرز" إلى أداة فاعلة في عبور النساء العربيات أسوار التقاليد القديمة التي عشن خلفها لقرون طويلة يرتبط بقدرتهن على تحمل التحديات الذكورية والجرأة في تناول قضايا مسكوت عنها بذريعة العادات والتقاليد، بحيث لا يقتصر الأمر على التسلية والترفيه والبحث عن الشهرة.

اللافت أن نجاح المرأة "يوتيوبرز" في مجتمعات خليجية نابع من نجاحهن في مطاردة الصورة النمطية السلبية المنبثقة من تحفظ المجتمع، ورغبتهن في إثبات ذواتهن بصناعة أفلام قصيرة بتجارب مختلفة وقوالب مبتكرة ومواضيع متنوعة تمس حياة الجيل الجديد بأفكار غير تقليدية، واستطاع بعضهن منافسة مشاهير الإعلام التقليدي.

ومن بينهن الجوهرة ساجر (سعودية)، التي استطاعت أن تشكل حالة نسائية مجتمعية وتحدث صدى إيجابيا عند فتيات المجتمعات العربية، من زاوية أنه "أخيرا ظهرت فتاة عربية من مجتمع تحكمه تقاليد وأعراف صارمة تصنع مقاطع فيديو على الإنترنت".

هذه الحالة فسرتها ساجر خلال لقائها بأحد البرامج، أن والدها اعتاد أن يشجعها ويقول لها "كوني أنتِ"، وكان لدعم بنات جنسها مفعول السحر على المضي في تصوير مقاطع تثير اهتمام النساء عموما، ما ساعد على تقليص شعور الوحدة لديهن، وأسست لنفسها قناة على يوتيوب باسم (جاي أونلاين) "Jay online" قدمت خلالها وصفات للجمال والعناية بالبشرة.

تعرضت ساجر لهجوم ضار من بعض الرجال، لكنها استمرت في طريقها غير عابئة بهذه النظرة الذكورية، وطالبها البعض بالتوقف لأن يوتيوب "ليس مكانا يليق بفتاة وعليها التركيز في بيتها لكي تصبح ربة منزل فقط"، في حين كانت ترد بأن الفتيات يجب أن يتجهن إلى وسائل التواصل الاجتماعي للمطالبة بحقوقهن وتغيير الواقع من خلاله، باعتباره أصبح أشد تأثيرا في المجتمع من الإعلام التقليدي.

أما هيلا غزال "يوتيوبرز" من أصول سورية، فقد نجحت في تقديم محتوى نقدي اجتماعي ساخر، بتجسيد عدة شخصيات وصنع مواقف كاريكاتورية من القوالب النمطية الثقافية في المنطقة من خلال يوتيوب على مدار أربع سنوات مضت.

كانت هيلا، جريئة في مواجهة النظرات المخالفة، وتقول "البعض انتقد مظهري وطالبوني بالاحتشام لأنهم من مجتمعات محافظة"، لكنها تعتقد أنه لا حرج في أن تسعى المرأة إلى التغيير، الذي لن يتم دون أن تخطو هي تجاهه بكل شجاعة، واستطاعت أن تجذب نحو 4.6 مليون متابع عبر قناتها الخاصة على يوتيوب، ويتابعها بفيسبوك وإنستغرام نحو 3 ملايين آخرين.

تطرقت الفتاة العشرينية خلال برنامجها، للكثير من القضايا الخاصة بالمرأة في قالب ترفيهي ساخر بعيد عن الجمود، ما أهّلها لتكون سفيرة التغيير لحقوق المرأة من قبل الأمم المتحدة. وحوّلت فتيات تونسيات موقع يويتوب إلى فضاء افتراضي أبرزت من خلاله مواهبهن في الغناء وفي طرح قضايا شبابية، حيث صنفت عشر فتيات تونسيات "يوتيوبرزات" على أنهن أفضل من يقدم برامج ذات محتوى رائع وتنوعت مواهب الفتيات بين الغناء ونشر فيديوهات لألعاب وتحديات وطرح قضايا معاصرة بأسلوب ساخر.

وتحتل أنجي المركز الأول في هذا الترتيب بفضل أدائها لأغاني أفلام الكرتون، في حين اشتهرت صوفيا سكاح بفيديوهات تنقل القضايا اليومية للشباب خاصة، بالإضافة إلى مسائل أخرى تمس الواقع التونسي اليومي بأسلوب جعلها تحظى بنسب مشاهدة عالية لقناتها على اليوتيوب وتجعلها تحتل الترتيب الثالث بين الفتيات.

واتخذت ميمي، وهي يوتيوبرز مغربية من قناتها الخاصة على اليوتيوب التي أطلقت عليها اسم "إسوارة" منصة لتقديم نصائح تجميلية ولايف ستايل وتحديات وفيديوهات ترفيهية، وبفضل عدد متابعيها الكبير صارت من أشهر اليوتيوبرزات في العالم.

واشتهرت العراقية هند المقيمة في ولاية أوهايو الأميركية و التي تعرف بقناتها على اليوتيوب باسم "هند دير"، بتقديمها لفيديوهات تعليمية وسكتشات في التمثيل والكوميديا، وتجارب طبخ ونصائح.

ويرى مهتمون بشؤون المرأة، أن ما تقدمه هؤلاء الفتيات من صانعي وناقدي المحتوى لواقع النساء في المجتمعات العربية، يؤثر بشكل نسبي في نظرة بعض الحكومات لقضايا وحقوق المرأة، لا سيما عندما تركز نوعية الموضوعات المطروحة للنقاش على أسلوب الصدمة.

توازن لطرح القضايا

ترى سامية الساعاتي، أستاذة علم الاجتماع في مصر، أن اللجوء إلى نهج التصادم كمحاولة لتغيير المجتمع، يخلق حالة من التحدي الواسع لمواجهة انتشار هذه النوعية من البرامج الاجتماعية، وأحيانا يخلق ردة فعل سلبية غير متوقعة.

وقالت الساعاتي لـ"العرب"، ينبغي أولا أن يكون هناك نوع من التوازن في اختيار القضايا وطريقة طرحها، بشكل يخدم الهدف منها ويوعّي الرأي العام بدلا من التصادم معه، بحيث يحظى هذا النوع من التغيير بتأييد نسائي وذكوري أيضا، ويخاطب العقليات المتحضرة ويستقطبها لتأييد مطالب المرأة لزيادة الضغط على صانع القرار.

انتقلت الظاهرة إلى مصر مؤخرا، ولجأت بعض الفتيات من مدن وأحياء مختلفة للتعبير عن همومهن وقضايا الساعة عبر بث فيديوهات قصيرة بأسماء مستعارة أو حقيقية وبطريقة هزلية تعكس المحتوى وتجلب المتابع، تتناول ظاهرة أو قضية معينة مستقاة من الواقع الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي.

جذب انتباه عدد كبير من المتابعات رغم أن الاقتراب من بعض القضايا محظور

بالنظر إلى اقتحام المرأة المصرية للعالم الافتراضي، يمكن ملامسة اختلاف دوافع الأمر عند أكثرهن عن تلك الموجودة لدى "اليوتيوبرز" الخليجيات، فأكثر اللاتي لجأن للإعلام الاجتماعي بمصر، لم تسمح ظروفهن بالوصول للإعلام التقليدي، وبعضهن يردن إظهار مواهبهن، وأخريات لم يجدن متنفسا لأفكارهن، وقليلات وضعوها للتسلية.

الشيء الوحيد الذي يجمع بين أكثر الفتيات المصريات من مدمني "اليوتيوبرز"، الشعور بالتهميش والتمسك بالانتصار ضد اضطهاد البيئة المحيطة، من الأسرة أو المجتمع، فلجأن لفرض أنفسهن عن طريق فيديوهات كثيرة تحاكي مبتغاهن، بمناقشة الأوضاع الاجتماعية والمواقف الحياتية بشكل مختلف واستثنائي، وأصبحن قدوة للجيل الجديد الذي دأب على مشاهدتهن.

من هؤلاء، بسنت نورالدين، مرشدة سياحية، (29 عاما)، وكانت ترغب منذ طفولتها في أن تكون مقدمة برامج، وحاولت التواصل مع عدد من القنوات وقوبلت طلباتها بالرفض، وتمسكت بالمضي في طريق تحقيق حلمها، وبكلمات بسيطة وأسلوب فكاهي قامت بتصوير مقاطع فيديو من أماكن سياحية في مصر، وغلفتها بمعلومات بسيطة سردتها في إطار تشويقي سلس، ونشرتها على صفحتها عبر فيسبوك، وحظيت بشهرة واسعة وحجم تفاعل كبير في فترة قصيرة.

وقال البعض عن بسنت نورالدين، "إنها تمكنت من فعل ما عجزت وزارة السياحة عن تحقيقه ودون إمكانيات كبيرة"، واستطاعت بعد التفاعل اللافت لمقاطع الفيديو التي تنشرها، أن تفرض نفسها كضيف دائم في البرامج الحوارية.

بالنظر إلى سميرة النجار (صحافية مصرية)، فهي حالة خاصة، بعدما اختارت طريقة مبتكرة للتعبير عن آرائها بشكل ساخر وجديد، وتفاعل ملايين المشاهدين مع مقاطع الفيديو التي تنشرها على صفحتها العامة تحت اسم "اسمع كلام ستك"، وهو لقب الجدة في مصر، وعلى صفحتها الشخصية "ستو الحلوة بزيادة"، واستطاعت أن تطرح ما لديها من أفكار وأهداف وأحلام شابة خبأتها خلف قناع سيدة عجوز، تحمل الكثير من خبرات الحياة.

وأشار متابعون، إلى أن "أزمة أكثر المجتمعات العربية، أنها ما زالت تعيش تحدياتها الخاصة على المستوى السياسي والاجتماعي، ما ساعد فئة من الفتيات اللاتي تمتلكن شجاعة المواجهة والإصرار والتحدي على أن تنطلق من قاعدة مناقشة المسكوت عنه، عبر اليوتيوبرز، وكان القالب الترفيهي لبعضهن، الوسيلة الأنسب للنقد".

تقوم سميرة بانتقاد كل ما يستفزها من سلوكيات سلبية أو أحداث أوأخبار يومية، حتى تخفف من حدة الواقع الذي يعيشه المجتمع من ضغوط الحياة، وهدفها لا يقتصر على الضحك، بل توجيه النظر إلى مشكلات بسيطة ومهمة قد لا ينتبه لها الشارع في مصر بسبب ازدحام يومهم وانشغالهم بتوفير أدنى متطلبات الحياة. مثال ذلك، تتعجب في آخر فيديو لها، بأسلوب ساخر، عن انشغال الناس بالحديث عن رقصة "كيكي" ويتركون قضية أسرية ومجتمعية خطيرة مثل الأستاذ الجامعي الذي قتل ابنه لأنه سرق أموالا من أمه، وبرر الأب ذلك بأنه كان يعاقبه.

معالجات غير مباشرة

أوضحت مريم وحيد، باحثة في علم الاجتماع السياسي (مصر)، أن ما ساعد على انتشار صيت فتيات اليوتيوبرز أنهن شجاعات في مجتمع غير قادر على الاعتراف بمشكلاته الحقيقية، كما أنهن يمتلكن القدرة على التعبير عن قضاياهن ومشاكلهن بحرية دون ضوابط أو خوف في بيئة عربية مشهورة بالإعلام الرأسي الذي يرفض التعبير عن الرأي بشكل حر.

وأكدت وحيد لـ"العرب" أن اتساع شعبية هؤلاء الفتيات ارتبط بطموحهن في تغيير المجتمع بصناعة محتوى جيد مع تقديمه بطريقة مميزة، وهن لا يحملن عصا سحرية للتطوير، ولكنهن يطرحن معالجات غير مباشرة للموضوعات التي تمثل مكامن النقد ويعرضنها بسخرية وتهكم، و"مجرد ضحك المتابع على ما يقدم قد يدفعه للتراجع عما يفعل".

اللافت أن فيديوهات "الجنس والموضة" أكثر الموضوعات جذبا للمتابعات من السيدات برغم أن الاقتراب من قضية الجنس نقطة محظورة في بعض الدول العربية، ما يعكس أن بعض المجتمعات تعيش حالة انفصام وازدواجية، بين ما تأمله وفي نفس الوقت ما ترفضه وتصنفه ضمن المحرمات.

تطرقت علياء جاد، طبيبة مصرية، بجرأة إلى موضوعات متعلقة بالتوعية الجنسية للمرأة، ما أدخلها دائرة الصدام مع أكثر متابعيها، وبرغم ذلك، كشفت نسب المشاهدة لهذه النوعية من الفيديوهات أن المجتمع الذي يرفض الحديث عن الجنس، أصبح يتشدق بالتوعية الجنسية على استحياء.

تتعمد علياء، التي أضحت رقما مهما في معادلة اليوتيوبرز، التطرق إلى موضوعات صادمة بعنوان "افهم"، لكنها في ذات الوقت استطاعت أن تتجاوز هذه العقبة بأن تكون مستشارة طبية وصديقة لبعض المتابعين.

من بين حلقاتها، واحدة تتحدث عن علاج سرعة القذف عند الرجال، وثانية تتطرق إلى أفضل الوضعيات الجنسية، وثالثة تشير إلى الحجم المثالي للعضو الذكري، وسجلت هذه الحلقة أكثر من 1.6 مليون مشاهدة، فيما حقق الفيديو المتعلق بنصائح ليلة الزفاف أكثر من 3 ملايين مشاهدة. أما علياء هاني الشهيرة بـ"عاليا أوي"، فقد استطاعت أن تكون من اليوتيوبرز المؤثرين، يتابعها مليون و300 ألف شخص عل فيسبوك و360 ألف مشترك على يوتيوب، ومنحتها إدارة الموقع جائزة فضية كنوع من التشجيع لإثراء محتوى الفيديو.

ولفتت هدى زكريا، أستاذة علم الاجتماع بمصر، لـ"العرب"، إلى أن ميزة نجمات اليوتيوب، تعمدهن الحديث ومخاطبة الجمهور النسائي بلغة الشارع، دون حواجز، فضلا عن تقديم المحتوى في مقطع قصير يناسب الإيقاع السريع الذي تعيشه المجتمعات العربية، بالإضافة إلى سهولة الاطلاع عليه في أي وقت.

برامج «يوتيوبرز» استطاعت تشكيل مجتمع أنثوي حقيقي له صيت واسع دون تسلط وتحكم ذكوري أو نظرة عنصرية

أطفال متعاونون.. حلم الأم الدائم

المساهمة في أعمال المنزل تكسب الأطفال الثقة بأنفسهم

لا شــك أن للأطفال في البيت دورا كبيرا يجــب عليهم تعلّمه من الوالدين، مثل قيمة النظام والنظافة والتعاون والاحترام وتنظيم الوقت والاعتماد على النفس والمبادرة إلى القيام بأعمــال المنزل وغيرهــا من القيم المهمّة، وترغب جميع الأمهات في مساعدة أطفالهن في المنزل لتخفيف عبء الأعمال المنزلية التي لا تنتهي، والتي تتضاعف في حال عدم مبالاة الأبناء وإحداث الفوضى دون تقديم المساعدة.

سعاد محفوظ

❏ تقــول عواطف حلمي، ربة منــزل وأم لثلاثة بنــات تزوجن، "لقد كنت أعيش في مأســاة مع بناتي الثلاث فلا واحدة منهن كانت تســاعدني في شــيء.. كنت أشــفق عليهن أيام الدراســة وأقــوم بإعداد الوجبات بنفســي وأحضر لهن أكواب الشــاي أثناء المذاكرة وأخرج للتسوق والقيــام بأعمــال البيــت مــن نظافــة وتنظيم وطهي الطعام، وكان زوجي رحمه الله يعترض على طريقتــي ويتهمني بأني أفســدت البنات بالمبالغــة في الحنان، وكان صادقا فكل واحدة عندما تزوجت كانت فاشــلة في البيت، ومازلت أعانــي مــن مشــاكلهن الكثيرة حتــى بعد أن تزوجن جميعا".

وأفــاد رأفــت المليجــي، خبيــر اجتماعي ومحاضــر بالجامعــة، "كنت حريصــا على أن يكون لأبنائــي دور في التعــاون داخل المنزل واســتطاعت زوجتــي أن تغرس فــي أذهانهم قيمة الاعتماد على النفس والتعاون والمشاركة الفعالــة في أعمال المنــزل، والحمد لله أبنائي صبيــان وحتــى الآن يقومــون بإعــداد بعض وجبــات الغــداء إذا كانــت أمهــم مريضــة أو متعبة".

> عندما يساعد الأطفال في تنظيف المنزل، فإنهم بذلك يتصرفون ضد غريزتهم الطبيعية وهي الميل إلى إحداث الفوضى

وأضــاف "لكــن أود أن أشــير إلــى الحالة التــي عليها أبناء الأســر وبناتها هــذه الأيام، فهن لا ينمن طوال النهار ويســهرن كامل الليل حتــى الصباح مع الإنترنــت ومواقع التواصل والحــوارات الســخيفة والتعليقــات التي بلا معنــى.. الكثيــر من أبنــاء أصدقائــي وأبناء العائلــة بهذه الصورة الســيئة، فأيــن التربية وأيــن دور الوالديــن؟ لا أدري! كمــا أن جلوس الشــباب طوال الليل أمام القنــوات الفضائية كارثــة أخــرى". ويقول صفــوت الســاعاتي، أستاذ الطب النفسي بالمركز التربوي للبحوث بالقاهرة، "إننا بصدق فــي حاجة إلى أن نعلم أطفالنا أن يعملوا بسرعة وكفاءة، لكي يتعودوا على أن يتجنبوا قضاء المزيــد من الوقت في مهمة لا تحتاج إلى مقدار كبير من الوقت، ولكي يتعلموا أن ينهوا مهماتهم في أسرع وقت ممكن ويتحولوا بعد ذلك إلى شيء آخر أكثر تشويقا وإمتاعا. ينبغي علينا أن نعتبر العمل المنزلي صيانــة لازمــة وضرورية للحصــول على بيئة نظيفة ومنظمــة وهادئة تمارس فيها أنشــطة ذات مغــزى، ويتعلم الأطفال ذلــك من الوالدين اللذين يتسمان بالنشاط ويحافظان على نظافة المنزل ونظامه".

وأشــار إلى أنــه عندما تحــدد للطفل مهمة لكي يقوم بها، فلا تســمح له بالتراجع عن أداء هــذه المهمة بعد أن يبدأ فيهــا بالفعل، ويمكن مســاعدة الطفل على الإقلاع عن عادة التراجع عن أداء المهام الموكلة إليه، ويتم ذلك بواسطة التدريب الشــامل. ومن ناحية أخرى لا تشــجع الطفل على التراجع عــن أداء المهام التي كلف بأدائها عن طريق متابعتــه وملاحقته بصورة مســتمرة أثناء أدائه لتلك الأعمال؛ فالأطفال في حاجــة إلى أن يدركــوا أن الأعمال التي يكلفون بأدائها هي مسؤوليتهم الخاصة.

وينصــح صفوت قائلا "امنح طفلك الفرصة لكي يجــرب ويحاول بمفرده ويقع في الأخطاء، فالأطفــال يتعلمــون أكثــر عندمــا تتــرك لهم الحرية للوقوع في الخطأ أو لتطوير أساليبهم الخاصــة لفعل الأشــياء، فعلى ســبيل المثال تســتطيع الطفلة أن تتعلم الطهي بســهولة إذا منحتهــا والدتها الفرصة لكــي تجرب وتحاول وترتكب بعــض الأخطاء، ففي المــرات الأولى قــد تضع الطفلــة مقدارا من الملــح زائدا على الحد المطلوب، ولكنها سوف تتعلم في النهاية المقدار المناســب من الملــح الذي تضعه على الطعــام، وهكــذا تســتمر الطفلة فــي التجربة والمحاولة حتى تصبح طاهية ماهرة".

ومــن المستحســن أن يســتعمل أســلوب الالتماس عند تكليف الطفل بأداء عمل معين بدلا من اللجوء إلى الأمر. وتهيئة الظروف المناسبة له والتي تســاعده على أداء العمل الموكل إليه، ويمكن منح الطفل جائزة لتشــجيعه إذا ما أدى عمله بسرعة وكفاءة.

ونبه إلى أن هذه الأســاليب تحتاج إلى قدر كبير من الوقت والجهــد، ولكن فائدتها عظيمة جدا، فهي تســاعد على إبقاء المنزل نظيفا دون الحاجــة إلى إلقاء كل العبء على الأم، كما أنها تســاعد أيضــا على إكســاب الأطفــال الكفاءة والمقدرة على الإســهام في الأعمــال المنزلية، مما يعتبر عاملا مهما أيضا في إكساب الأطفال الثقة بأنفسهم.

ومن جانبه يرى حســن إبراهيم، أستاذ علم الاجتماع، أن فكرة أن يشارك ابنك أو ابنتك في أعمال المنزل والتعاون تصبح ســمة رئيســية داخل الأســرة، وهــي فكرة تربويــة اجتماعية جديــرة بالاعتبــار، لذلك ينبغــي أن يتم تقييم كل طفــل في المنــزل تبعا للنمو والشــخصية بالإضافــة إلى الســن، فعلى ســبيل المثال قد تستطيع طفلة في سن الثالثة أن ترتب سريرها، وقد لا تستطيع أي من أخواتها أن تفعل ذلك في مثل هذه السن الصغيرة.

والأطفــال الصغــار على وجــه الخصوص يحتاجون إلى إشــراكهم في الأعمال المنزلية، فالكثيــر مــن الأطفال البالغين مــن العمر أربع ســنوات يســتطيعون أن يرتبــوا الفراش وأن يحافظــوا على نظافة حجراتهــم ونظامها وأن يعــدوا المائــدة وينظفوها وأن يســاعدوا في ترتيب الملابس وتسويتها.

ويضيف إبراهيم "لو استطعنا أن نشعر كل طفــل أو طفلة من أفراد الأســرة بأنه القائد أو المدير لهذا البيت، فسوف يعزز ذلك قيمة الثقة بالنفــس وإتقان العمل، ولذلك علينا مســاعدة أطفالنا فهــم مثلا في حاجة إلــى معرفة مكان الأدوات المنزليــة اللازمــة لأداء تلــك الأعمال، وفــي حاجة أيضا إلى معرفة كيفية اســتخدام هــذه الأدوات، وتدريب الأطفال على اســتخدام هذه الأدوات يتطلب التكرار والصبر".

وبيّن أن الأسلوب الأمثل لتدريب الطفل على أداء أي عمــل منزلي هــو أن تعلمه كيف يؤدي هذا العمل ثم تتركه يؤديه، وبعد أن ينهيه تقوم أنــت بفحص العمل ثم تحتضــن الطفل لتهنئه على نجاحه في أدائه.

وعندما يســاعد الأطفال في تنظيف المنزل وتنظيمه، فإنهم بذلك يتصرفون ضد غريزتهــم الطبيعية، وهــي الميل إلى إحداث الفوضى والاضطراب وليس التنظيم والتنظيف.

طبق اليوم

سلطة الأخطبوط

* **المكونات:**
- أخطبوط يَزن 1 كيلوغرام.
- نصف ليمونة حامضة.
- ورقة غار.
- فص ثوم.

للسلطة:
- 500 غرام بطاطا صغيرة.
- حبة فلفل أحمر.
- حبة فلفل حار أخضر.
- 50 غراما بصل أبيض مفروم.
- 250 غراما طماطم صغيرة.
- 50 غراما زيتون أخضر دون نوى.
- 50 غراما زيتون أسود دون نوى.
- 2 ملاعق كبيرة كزبر وبقدونس مفرومين.
- 8 ملاعق كبيرة زيت.
- 4 ملاعق كبيرة خل أبيض.
- ملح.
- أوراق خس.

* **طريقة الإعداد:**
- يغلــى ماء في إناء كبيــر ويوضع الأخطبوط ويضــاف إليه الليمون الحامض والثوم وورقة الغار وملعقة كبيرة من الملح.
- يترك الأخطبوط ينضج لمدة ساعة. تتم إزالة الأخطبــوط من "الطنجرة" ويوضــع في الماء البــارد. يقشــر الأخطبوط ثم يقطــع إلى قطع متساوية.
- توضــع قطــع الأخطبوط في إنــاء ويضاف إليهــا الزيت والخــل والفلفــل الأخضر الحار والكزبر والبقدونس والبصل المفروم.
- تســلق البطاطا الصغيرة ثم تقشــر وتقسم إلى نصفين. وتقســم الطماطــم الصغيرة إلى نصفين.ويقطــع الفلفل الأحمــر والزيتون إلى مربعات صغيرة.
- تضــاف كل الخضار المقطعة إلى الإخطبوط المنقــوع في التوابــل. وتخلــط كل المكونات برفق حتى تندمج عناصر السلطة.
- تقدم السلطة فوق أوراق الخس.

موضة

تصاميم مستوحاة من زهور فصل الشتاء

❏ استلهم مصمم الأزياء اللبناني عبد محفوظ مجموعتــه الجديــدة للأزياء الراقية لموســمّي خريف وشــتاء 2019-2018 التي قدمها مؤخرا فــي لبنان بعــد عرضها فــي روما مــن أزهار الشــتاء التي تنبت وتعيش في الطقس المتقلّب وتكون مختلفة عن الأزهار الأخرى.

حملــت المجموعة اســم "ســحر الروح" وتضمّنت 30 إطلالة خاصة بالسهرات والمناســبات بالإضافــة إلــى مجموعــة من أثواب الزفاف التي اســتوحاها المصمم من الأزهار التي تقاوم قسوة الشتاء.

وجــاءت التصاميــم عصريّة وتميّزت بقصّات قريبة من الجسم، كمــا كان لافتــا اســتخدام الذيــل الطويل الذي يضفي رشــاقة على الجســم، والأكمــام الطويلة التي أضافــت المزيد مــن الرقــيّ على الإطلالات.

ونفذ محفوظ أزياءه بخامات منســدلة شــفافة فــي بعــض الأحيــان وبرّاقــة فــي أحيان أخــرى، لتبــرز أنوثــة المرأة وأناقتهــا، وطغــى ثنائــي الأسود والذهبي على العديد مــن الإطــلالات، كمــا لجــأ المصمم إلى تنفيذ العديد من الإطلالات بالألوان الترابية دون أن يتخلّى عن الألوان المشرقة كالأبيض والأزرق والبنفسجي والبرتقالي والأصفــر التي أضافت حيويّــة لافتــة علــى الإطلالات.

كما اســتخدم أقمشــة فاخرة منها الموسلين الحريري الــذي اختلط مع فخامــة المخمل، بالإضافــة إلــى الدانتيل والغازار والشيفون، والكريب، فضــلا عن الأقمشــة المطرّزة والمشــكوكة بالستراس والترتر والباييت والغليتر. كما تمّ تنفيذ بعض الإطلالات بأقمشة زيّنتها الورود.

الأمم التي لا تقرأ تصادق على صكّ تخلفها

عبدالستار الخديمي
كاتب من تونس

❏ من خلال متابعتي اليومية لما ينشر على موقع فيسبوك، لاحظت أن الصور والمشاهد المرئية تلقى تفاعلا كبيرا جدًا من طرف المستخدمين، في حين أن المنشورات المكتوبة من صنف المقالات والمحاولات الإبداعية في مجالي النثر والشعر مثلا، لا تلقى نفس الاهتمام. وتذكرت حينها المعادلة الغريبة أو المفارقة العجيبة التي يتداولها الناس في سخرية في أغلب الأحيان "أمة اقرأ لا تقرأ".

هذه المفارقة لها ما يبررها إذا ما تأكّد لدينا أنّ الكتب والمكتبات المنزلية صغيرة الحجم وقليلة عدد الكتب أصلا، ليست إلا ديكورا منزليا تستعمله العائلات لا للتثقيف والمطالعة وتنمية القدرات الذهنية والفكرية وإنما لتزيين قاعات الجلوس كالتحف والألوان الزاهية والمفروشات.

فباستثناء الكتب المدرسية والوسائط التعليمية على اختلافها والتي تفرضها علاقة المتمدرسين بالمدرسة لغايات تعليمية بحتة، فإن الكتاب والمطالعة خرجا أو أُخرجا عنوة من سلّم العادات الفردية والأسرية والاجتماعية، بل أصبح استعمال الكتاب والمجلة والدراسة والوثيقة التاريخية والتقرير العلمي.. حكرا على البعض من المثقفين والباحثين وليس كلّهم طبعا، فحتى أهل الاختصاص في اللغة والأدب والفلسفة والعلوم.. أصبحوا لا يطالعون وفي أفضل الحالات يقتصرون على تصفّح القراءات النقدية المختزلة لهذا العمل الإبداعي أو ذاك، كسلا واقتصادا للجهد.

من بين المهامّ التثقيفية والتعليمية التي من المفروض أن تكون في أعلى هرم الأولويات التي تضطلع بها وسائط الإعلام الاجتماعي، تسهيل البحث وتيسير الوصول إلى المعلومة، ولكن استعمال المستخدمين "قزم" بشكل لا واع هذه المهمة وذلك لقلة القراءة أو انعدامها رغم توفر كمّ هائل من الكتب الإلكترونية التي تنشر يوميا على صفحات هذه الوسائط.

من الأكيد أنّ السائد والمألوف في العادات والتقاليد الاجتماعية قابل للتغير باستمرار في تفاعل حثيث مع المتغيرات الفكرية والحضارية، ولن تشذ عن هذه القاعدة قيمة القراءة والمطالعة إذا ما كان الأمر في الحدود المعقولة، أما إذا انقلب الأمر إلى عزوف ثمّ هجر مطلق، فنحن لا شك سائرون نحو تجهيل مقنن وممنهج ومبرمج مسبقا.

نسمع دائما في التقارير الصادرة عن الوزارات والهياكل والمؤسسات المعنية، وخاصة وزارة التربية ووزارة الثقافة.. -على مستوى الخطاب الرسمي- أنها بصدد دعم الترغيب في المطالعة لدى الأطفال خاصّة، في مسعى لترسيخها كعادة اجتماعية، وتنطلق "المشاريع" في شكل دعم للمكتبات العمومية والمتجوّلة وإنجاز ورشات. في الظاهر هذا ما يجب أن يكون ولكن الواقع أمر آخر مختلف تماما، كل هذه المجهودات تذهب في مهب الرياح دون فائدة تذكر، بكل بساطة لأنها تندرج في إطار الصخب الإعلامي المناسباتي غير المستمر لا في الزمان ولا في المكان.

لتنجح عملية دفع الناشئة إلى القراءة والمطالعة لا بدّ من تجديد الوعي بقيمتهما عند الكبار قبل الصغار، فالأطفال يتعلّمون من محيطهم الأسري والاجتماعي ويأخذون عنه الجيّد والسيء، فمن أهمّ وسائل التعلم المحاكاة خاصة في المراحل العمرية الدنيا، أما الوسائل المتاحة عمليا لإنجاز ذلك فهي متعدّدة ولعلّ أبرزها الجدّية في ترسيخ المطالعة كقيمة ثابتة وعادة حميدة في نفوس الأطفال، فعلى الآباء والأمهات والمدرسين والمثقفين عموما أن يباشروا بالمطالعة باستمرار في أوقات فراغهم وقبل النوم وفي وسائل النقل العمومي وفي قاعات الانتظار بالفضاءات العمومية، قبل أن يدعوا الصغار لفعل ذلك لأن أي دعوة إذا لم تقترن بالفعل تبقى مجرّد رؤية نظرية لا سبيل إلى تطبيقها أو الاقتناع بتطبيقها.

إذن المسألة تتجاوز مجرّد انبهار الناس بالصورة وجاذبيتها على حساب الحرف والكلمة، إلى فقدان الفعل القرائي كأداة تعليمية - تثقيفية أو على الأقل تقلص الاهتمام بالكتاب والمنشور المكتوب.

"أمة اقرأ لا تقرأ" خير تعبير فصيح يختزل علاقة العرب والمسلمين بالكتاب وإذا ما أردنا توضيح فداحة ما يرمي إليه هذا الشعار، فإن الدول المتقدّمة جميعها أعطت أهمية بالغة للقراءة والمطالعة، وتصلنا فيديوهات عديدة حول انشغالات المسافرين الغربيين في رحلاتهم بالمطالعة، حيث يصطحبون دوما كتبهم المفضلة، ولكننا نواصل الانشغال بصورهم ولا نعير أفعالهم الأهمية التي تستحقها. لماذا نقلدهم في ما لا يفيد ونترك ما يفيد؟

أثبتت التجارب البشرية عبر حقب التاريخ المختلفة أن الإنسان تطوّر بعد اكتشافه للغة باعتبارها طريقة للتخاطب والتواصل، كما أثبت أن أكثر الشعوب رقيّا وتقدّما أكثرها قراءة وعلما. ومن هذا المنطلق على اللّبنة الاجتماعية الأولى وهي الأسرة أن تقوم بدورها الذي يُعتبر ريادياً، فتعمد إلى خلق صداقة حميمة تتوطّد باستمرار بين الكتاب والطفل تجسيدا للمقولة المشهورة "الكتاب خير أنيس"، كما لا بدّ من محاولة تغيير النظرة لما ينشر في الوسائط الإعلامية الحديثة باعتبارها أدوات تثقيفية وتعليمية رائدة تنمّي المدارك العقلية وتفتح أبواب المعرفة والتعلم والبحث كذلك.

في الختام على المدرسة أيضا بصفتها الحاضنة الثانية للأطفال بعد العائلة أن تضطلع بدورها في تثبيت وترسيخ قيمتي القراءة والمطالعة، ولمَ لا إفراد تخصصات في مراحل التعليم المختلفة تعنى بمثل هذا الموضوع.

مونديال روسيا يفتح باب الهجرة أمام أسود الأطلس

المغرب يضع رهان خلق جيل جديد أمام الفرنسي رينارد

يعد المنتخب المغربي هو الاستثناء خلال مونديال روسيا إذ أنه نال إعجاب معظم متابعي النسخة الحادية والعشرين من كأس العالم. وبشهادة الجميع قدّم المغرب ما يشفع له بأن يتأهل إلى الدور ثمن النهائي بيد أن بعض العوامل كسوء الطالع والتسرع بالإضافة لبعض الأخطاء التحكيمية حالت دون ذلك. ولاقى الأداء المشرّف للمنتخب المغربي صدى كبيرا في أوساط المونديال مما دفع العديد من نجوم كرة القدم العالمية للتأسف على خروج أسود الأطلس.

أيوب الكعبي.. عماد جيل جديد لإستعادة مجد الأسود

❑ **الرباط** – قرر فوزي لقجع، رئيس الاتحاد المغربي لكرة القدم، الاهتمام بقطاع الناشئين بشكل مغاير، بعدما لمس خلال مونديال روسيا، حاجة الأسود لجيل ينشأ ويتربى بالبلاد، كما كان الحال في المشاركات السابقة بكأس العالم. وسيؤدي إعادة النظر في هذا القطاع، إلى إقالة 50 مدربا مهتمين بالفئات السنية، وتعيين آخرين، بعدما شارك المغرب في روسيا بلاعبين معظمهم تلقوا تكوينهم في الخارج. ومن أبرز المكاسب التي سجلتها الكرة المغربية، بعد مونديال روسيا، هي تهاطل العروض على العديد من اللاعبين.

ولفت المنتخب المغربي الأنظار، خلال نسخة روسيا، برقم فريد، إذ كان في مقدمة المنتخبات المشاركة التي تلقى لاعبوها تنشئة خارج بلادهم. وشكل أيوب الكعبي، حالة استثنائية، إذ كان الوحيد المنتمي للدوري المغربي، في حين نشأ 23 لاعبا بين فرنسا وهولندا وبلجيكا.

وهاجم فوزي لقجع، خلال مؤتمر صحافي عقده بعد المونديال، بعض المدربين المكلفين بالمنتخبات السنية، وقال إنهم يراهنون على الصدفة في نتائجهم ولا يقومون بعمل كبير. وتم تخصيص إيرادات مالية مهمة ومراكز رياضية عالية الجودة، لتنشئة جيل يحمل مشعل الكرة المغربية باقتدار، خلال المرحلة المقبلة، ليمثلوا الأسود في الاستحقاقات المهمة.

> المنتخب المغربي لفت الأنظار، خلال نسخة روسيا، برقم فريد، إذ كان في مقدمة المنتخبات المشاركة التي تلقى لاعبوها تنشئة خارج بلادهم. وشكل أيوب الكعبي، حالة استثنائية

وتلقى العديد من المحترفين المغاربة، عروضا مهمة بعد المونديال، في أكبر دوريات العالم. واستفاد أشرف حكيمي، من عقد احترافي مهم رفقة دورتموند الألماني، ليلعب أساسيا بخلاف تجربته في ريال مدريد. كما انتقل الحارس المحمدي إلى نادي ملقة، وغير نورالدين أمرابط، فريقه، في وقت يناقش 7 لاعبين آخرين حضروا المونديال، عروضا من فرق أوروبية محترمة.

موسم هجرة

لم تمر سوى أيام قليلة على مشاركة المنتخب المغربي في نهائيات كأس العالم لكرة القدم بروسيا، والتي عرفت تألق عدد من لاعبي "الأسود"، على الرغم من عدم بلوغ المغرب الدور الثاني، حتى تقاطرت العروض على جل اللاعبين المغاربة، ليس من الدوريات الأوروبية التي يحترفون بها، وإنما من دوريات خليجية، خاصة من الدوري السعودي الممتاز.

فمباشرة، بعد أن غادر كريم الأحمدي، نجم خط وسط المنتخب الوطني، وأحد أبرز نجوم فاينورد روتردام الهولندي، روسيا، توجه اللاعب مباشرة صوب دولة الإمارات، ليس فقط لقضاء عطلته الصيفية، بل أيضا من أجل إتمام مفاوضات انتقاله للاتحاد السعودي، في ثاني تجربة له في الخليج العربي، بعد تجربة سابقة في الدوري الإماراتي.

وبالإضافة إلى الأحمدي، فإن نجم "الأسود" الآخر، نورالدين أمرابط، أحسن لاعب مغربي في "المونديال"، وثامن أحسن لاعب وسط في هذه البطولة العالمية (حسب تقرير دولي)، التحق بركب "المهاجرين" صوب الخليج العربي والدوري السعودي الممتاز، بعد أن وقع عقدا مع النصر في صفقة قياسية.

الأحمدي وأمرابط، لن يكونا بالتأكيد الاستثناء، وسط محترفي المغرب، من سيحطون رحالهم بالخليج العربي، هذا الصيف، بل هناك مجموعة من الأسماء المغربية، التي دخلت في مفاوضات مباشرة مع أندية أخرى، قصد الانضمام إليها، على غرار المهدي كارسيلا وخالد بوطيب، اللذان اقتربا من الدوري القطري.

تعتبر أبرز دوافع هجرة اللاعبين الدوليين المغاربة صوب الدوريات الخليجية هي غياب ضغط المنافسة والإغراءات المالية الكبيرة والتقدم في السن، حيث الملاذ الآمن، في خريف العمر الكروي، على غرار دوريات أخرى، كالصين والهند، اللذان أصبحا قبلة نجوم الكرة العالمية، اللاهثين وراء أموال تضمن لهم تقاعدا مريحا. عوامل تتجه إلى إغراء، عناصر أساسية أخرى داخل المنتخب الوطني، بالرغم من كونها في عز عطائها التقني والبدني، على غرار نبيل درار، نجم الأسود المحترف في صفوف فريق فنربخشه التركي، الذي بدأت تغازله عدد من الأندية السعودية، بالإضافة إلى زميله في الفريق، عاطف شحشوح، الذي دخل هو الآخر في اهتمام أندية خليجية أخرى.

هذه الهجرة الجماعية لنجوم المنتخب المغربي وركائزه الأساسية، قد تعني نهاية الجيل الحالي لأسود الأطلس، فجل هذه الأسماء، وبالرغم من تألقها اللافت في الفترة الأخيرة، إلا أنها تعيش آخر سنواتها في كرة القدم. فالأحمدي (33 سنة)، أمرابط (31 سنة)، نبيل درار (30 سنة)، وغيرهم من اللاعبين الذين بلغوا عقدهم الثالث، باتوا متيقنين، أن الوقت قد حان من أجل الهجرة صوب الشرق، ما دامت أسهمهم مازالت مرتفعة في سوق المستديرة، هذا الأمر قد يرهن مستقبل الأسود، خاصة وأن ضعف التنافسية في الدوريات الخليجية، قد يؤثر بشكل جلي على مردود العناصر الوطنية، المقبلة على مجموعة من التحديات القارية. ذلك فإن الرهان اليوم كله، على الأسماء الشابة التي بدأت تتحسس طريقها صوب القائمة الرسمية في توليفة هيرفي رينارد، أمثال أشرف حكيمي، يوسف آيت بناصر، حمزة منديل، يوسف النصيري، أمين حارث، وغيرهم من الأسماء.

أحاط الغموض بمصير المدرب الفرنسي هيرفي رينارد، مع المنتخب المغربي، في ظل الأنباء التي ترددت عن اقترابه من الرحيل. ويأتي ذلك في الوقت الذي خالف فيه عدد من نجوم المغرب رأي رينارد، بالرحيل صوب الدوريات الخليجية، وأبرزهم نورالدين أمرابط، الذي انتقل للنصر السعودي. وكان رينارد قد أكد في تصريحات سابقة رفضه انتقال نجوم المغرب للعب بالدوريات الخليجية، بل واستبعد بعض اللاعبين ممن ينشطون في هذه البطولات، وأبرزهم يوسف العربي وعبدالرزاق حمدالله.

موقف المدرب الوطني، من اللاعبين الذين يمارسون في الخليج، ظل واضحا، فباستثناء امبارك بوصوفة، الذي يلعب في الدوري الإماراتي، قرر المدرب الفرنسي عدم الاعتماد على الثنائي يوسف العربي وعبدالرزاق حمدالله، بالرغم من تصدرهما الدائم لقائمة هدافي الدوري القطري الممتاز.

هذا الموقف، عزاه الفرنسي في أكثر من تصريح، لضعف المنافسة في هذه الدوريات، والتي يقل مستواها عن طبيعة المنافسة التي يحتاجها اللاعب في المنافسات القارية، غير أن هذا الرحيل المفاجئ للاعبين المغاربة صوب الدوريات الخليجية، طرح أكثر من علامة استفهام، وفتح ترقبات المغاربة على العديد من الاحتمالات والتأويلات.

أبرزها، أن اللاعبين لم يستشيروا المدرب الوطني في اختيارهم الأخير، عكس ما دأب عليه عدد من نجوم المنتخب، أبرزهم المهدي بن عطية، ثم إن هذا الخيار يذكي أيضا من شكوك عدم استمرار رينارد مع المنتخب الوطني، والذي ظل يرفع "الفيتو" في وجه محترفي الخليج.

وتضمنت قائمة لاعبي المغرب المشاركين في المونديال، أكثر من 17 لاعبا ولدوا خارج المغرب من أصل 23 لاعبا ضمن التشكيلة النهائية للمنتخب، التي وضعها المدرب الفرنسي هيرفي رينارد.

وتناولت صحيفة "نيويورك تايمز" في تقرير مطول، الخطة التي اتبعها المسؤولون المغاربة عن الشأن الكروي منذ 2014 من أجل استقطاب أبرز اللاعبين من أصول مغربية في الدوريات الأوروبية.

ومن بين هؤلاء اللاعبين الذين خاضوا المونديال حكيم زياش، الذي يلعب مع أياكس أمستردام الهولندي، وسفيان أمرابط، الذي يلعب مع فينورد روتردام الهولندي. كما تضم القائمة المهدي بن عطية، الذي يلعب في صفوف يوفنتوس الإيطالي، وميمون ماحي، الذي يلعب في الدوري الهولندي مع نادي غرونينغن.

وأشارت الصحيفة الأميركية إلى أن المنتخب المغربي ضمن التأهل إلى كأس العالم لكرة القدم في روسيا، للمرة الأولى بعد غياب دام 20 عاما، بتشكيلة من اللاعبين المحترفين في دوريات أوروبية، لا سيما إيطاليا وفرنسا وهولندا وإسبانيا.

ولا يعتبر المنتخب المغربي استثناء في ضم لاعبين من الخارج إلى صفوفه، فقد فعلت الشيء ذاته منتخبات تونس والسنغال والبرتغال، وحتى روسيا المستضيفة للمونديال.

وفتح هيرفي رينارد المدير الفني للمنتخب المغربي، الباب مجددا أمام أحد النجوم الصاعدين من ذوي الجنسية المزدوجة للانضمام للمنتخب.

ورحب رينارد بضم اللاعب ماثيو الكندوزي لصفوف المنتخب الأول، كونه يملك الجنسية المغربية نسبة إلى والده، والفرنسية أيضا من أمه.

وحقق الكندوزي لاعب الوسط المهاجم "19 عاما"، طفرة كبيرة في بداية مشواره الاحترافي، بانتقاله إلى أرسنال قبل أسابيع قليلة مقابل 7 ملايين جنيه إسترليني، بعدما قضى موسما واحدا مع لوريان الفرنسي، الذي نشأ فيه.

ويمثل الكندوزي لرينارد مستقبل الكرة المغربية، خاصة وأنه يشرع حاليا في إحلال وتجديد أسود الأطلس الذين شاركوا في منافسات مونديال روسيا 2018، لبناء فريق جديد قادر على التأهل والمنافسة في مونديال 2022.

وكان المدير الفني للمنتخب المغربي، قد عرض على الكندوزي الانضمام للمنتخب مسبقا، لكن الأخير لم يوافق، إذ يأمل أن يمثل المنتخب الفرنسي، رغم أنه انضم لأحد معسكرات منتخب الشباب المغربي بالرباط العام الماضي.

وتشكل الرياضة أفضل الطرق لاستكشاف ظواهر ازدواجية الانتماء الثقافي أو الوطني. نموذج المنتخب المغربي لكرة القدم الذي يضم بين صفوفه أكثر من 20 لاعبا مزدوج الجنسية، والتي تطرح عددا من الأسئلة في عالم يتحكم فيه انتماء تضبطه قواعد إدارية واجتماعية وعاطفية، فبمجرد ما يتحقق النجاح من خلال أداء مميز، أو ميدالية أو كأس، تسعى مختلف القوى السياسية والهيئات الرياضية إلى غنم الفوائد الممكنة وسط الرأي العام.

وحين يختار لاعب جنسيته الرياضية بغض النظر عن مساره الميداني في الأندية الأوروبية، تصبح مسألة المواطنة بين الـ"هنا" وهناك على محك النقاش السياسي والإعلامي ووسائل التواصل الاجتماعي، ما يجعل بعض المواهب في حيرة من أمرها حين تستدعى من طرف الناخب الوطني في بلد المنشأ أو بلد الأجداد، فكيف لمن اختير أن يرتاح وكل الراحات عذاب، أمام ضغط عال ومرتفع على اللاعبين يمارسه المحيط الاجتماعي والنادي والصحافة والجمهور.

وتبعا لاختياراتهم يرحب بهم في أرض وتضيق عليهم أخرى، يثلجون صدر جمهور بلد تعذب بالانتظار، وينعتهم الآخر بالغدر والتخوين. إشادة جياني إنفانتينو رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم بالأداء الجيد للمنتخب المغربي أمام البرتغال لم تحل دون دفاعه عن التقنية المساعدة بالفيديو في التحكيم والتي تستخدم لأول مرة في مونديال روسيا.

مونديال للنسيان

مونديال للنسيان للقارة السمراء.. هكذا يتم تناول مشاركة المنتخبات الأفريقية في كأس العالم 2018 بروسيا بسبب النتائج وعدم التواجد في دور الـ16 للبطولة. وتواجد بالمونديال الروسي 5 منتخبات أفريقيا هي، مصر والمغرب وتونس ونيجيريا والسنغال، لم ينجح أي منتخب في التأهل إلى دور الـ16، وودع الجميع المونديال مبكرا.

وخاضت المنتخبات الأفريقية في المونديال الروسي 15 مباراة، بواقع 10 خسائر، وتعادلين، وتحقيق 3 انتصارات، عن طريق نيجيريا والسنغال وتونس أمام آيسلندا وبولندا وبنما.

وأحرزت المنتخبات 16 هدفا، واستقبلت شباكهم 26 هدفا، أقوى هجوم كان المنتخب التونسي 5 أهداف، وأيضا أضعف خط دفاع لتونس 8 أهداف.

ووفقا لما تم رصده من خلال تاريخ مشاركات أفريقيا في المونديال، فتلك النسخة قد تصبح الأسوأ من حيث النتائج "دون مقارنتها بنسخ تواجد فيها عدد منتخبات أقل من 5"، بسبب عدم تأهل أي منتخب إلى الدور الثاني.

> تم تخصيص إيرادات مالية مهمة ومراكز رياضية عالية الجودة، لتنشئة جيل يحمل مشعل الكرة المغربية باقتدار، خلال المرحلة المقبلة، ليمثل الأسود في الاستحقاقات المهمة

أرسنال يكتسح باريس سان جيرمان بخماسية في كأس الأبطال

أوزيل يدشن عودته إلى «المدفعجية» بهدف إعادة الاعتبار بعد أسبوع صعب

تألق مسعود أوزيل مع عودته إلى تشكيلة أرسنال بعد أسبوع متوتر للاعب الألماني الذي افتتح التسجيل في الفوز 5 - 1 على باريس سان جيرمان وديا في سنغافورة السبت.

أوزيل يرفع راية التحدي

❏ **سنغافورة** – اكتسح أرسنال منافسه باريس سان جيرمان بنتيجة 5 – 1، في المباراة التي جمعت الفريقين، عصر السبت، ضمن منافسات كأس الأبطال الودية المقامة حاليا بسنغافورة.

وتقدّم "المدفعجية" بهدف مسعود أوزيل في الدقيقة 13، وأدرك كريستوفر نكونكو التعادل في الدقيقة 60 من ركلة جزاء، ورد "الجانرز" بثنائية لألكسندر لاكازيت وهدف لروب هولدينغ وآخر لإدوارد نكيتياه بالدقائق 67 و71 و87 و94.

وكان أوزيل (29 عاما)، صاحب 23 هدفا مع المنتخب الألماني في 92 مباراة، أعلن اعتزاله، الأحد الماضي، متهما رئيس الاتحاد الألماني راينهارد غريندل بممارسة العنصرية ضده، لكنه بدا في حالة رائعة أمام بطل فرنسا.

ورفض غريندل اتهامات اللاعب التي جاءت في أعقاب الخروج الكارثي للمنتخب الألماني المتوج بمونديال 2014 بالبرازيل، من الدور الأول للمونديال الروسي.

وتعرض أوزيل للانتقادات من قبل وسائل الإعلام الألمانية ومحليين ولاعبين دوليين سابقين، بعد خروج منتخب ألمانيا بطل العالم 2014 من الدور الأول لمونديال روسيا، بسبب صورة جمعته وزميله في المنتخب الألماني التركي الأصل أيضا إيلكاي غوندوغان بالرئيس التركي رجب طيب أردوغان في مايو الماضي، ممّا أثار أسئلة حول ولائه لألمانيا.

وجاءت هذه النتيجة بمثابة تعويض معنوي للإسباني أوناي إيمري مدرب أرسنال الحالي المقال من منصبه في نهاية الموسم الماضي من تدريب سان جرمان الذي استبدله بالألماني توماس توخيل.

وتفوّق أرسنال بفضل تميز لاعبيه في الاستحواذ واعتمادهم على عدد كبير من النجوم، مقابل تشكيلة شابة لسان جيرمان، يدعمها الثلاثي بوفون، لاسانا ديارا وأدريان رابيو.

وكان الفريق اللندني الأفضل والأكثر استحواذا على الكرة وخطورة على المرمى، وكاد أن ينهي الشوط الأول بانتصار عريض، لولا تألق حيانلويجي بوفون في التصدي لفرص محققة أضاعها أليكس أيوبي وأوباميانغ ومخيتريان، كما شكل شكودران موستافي خطورة كبيرة بضربات الرأس عند تقدّمه في الكرات الثابتة.

وعلى الجهة الأخرى، تعرض بيرند لينو حارس مرمى أرسنال لاختبارات غير مؤثرة على فترات متباعدة بتسديدات تيموتي وايا، كريستوفر نكونكو وعزالدين توفيقي.

وأجرى أوناي إيمري مدرب أرسنال ثلاثة تغييرات مع بداية الشوط الثاني بإشراك حارس المرمى إيمليانو مارتينيز وآرون رامسي وألكسندر لاكازيت، مكان لينو ومحمد النني وأيوبي على الترتيب.

إلّا أن الفريق الباريسي كان الأكثر جدية، وتحسن أداؤه نسبيا، حيث تصدى مارتينيز لركلة حرة سددها نكونكو بقوة في المقص الأيسر، كما أضاع وايا فرصة أخرى خطيرة. وواصل وايا نشاطه، بل أزعج دفاع أرسنال بتحركاته وسرعته، ليحصل على ركلة جزاء بعد عرقلة من شكوردان موستافي، سدّدها نكونكو بنجاح، مسجلا هدف التعادل.

ولم يهنأ الفريق الفرنسي كثيرا بهدف التعادل، حيث اهتزت شباكه بهدفين في غضون 4 دقائق سجلهما لاكازيت في شباك بوفون، وذلك بعد خمس تغييرات دفعة واحدة لـ"الجانرز".

وهبطت معنويات لاعبو سان جيرمان وتراجعت لياقتهم البدنية ووضح تأثرهم بارتفاع درجة الحرارة والرطوبة، وصب عامل الخبرة في صالح أرسنال وأضاع البديلان إدوارد نكيتياه ورايس نيلسون فرصتين محققتين تصدى لهما سباستيان سيبوا، الحارس البديل لسان جيرمان.

وقبل نهاية الوقت الأصلي للقاء بثلاث دقائق، ارتقى روب هولدينغ الذي شارك بديلا في الشوط الثاني لركلة ركنية، وانقض عليها برأسه لتسكن المقص الأيمن، مسجلا الهدف الرابع، وفي الدقيقة الأخيرة من الوقت بدل الضائع، انفرد نكيتياه بالمرمى، مسجلا الهدف الخامس بسهولة بتسديدة في الزاوية اليمنى.

مع صلاح القادم أصعب وربما الأجمل

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

❏ انتهى الموسم الماضي، ولى بلا رجعة، كان ختامه في روسيا جميلا ومكتملا فرح خلاله من سعد، وانحنى خلاله من لازمه النكد، ثم بدأ الحديث عن الموسم الجديد، ومن سيكون خلاله الفائز المتوج والسعيد.

كل الدوريات في العالم سواء منها القوية والعريقة أو الضعيفة بدأت تتأهب بتكاسل كي تستعيد النشاط وتبدأ رحلة المليون ميل نحو تحقيق الأهداف والغايات، ستشرئب الأعناق وتنحبس الأنفاس كالعادة لمعاينة فصول جديدة من المنافسات القوية في الدوريات الكبرى وخاصة بأوروبا، سيكون الموعد مجددا مع متعة كرة القدم في هذه البطولات التي ما انفكت دوما تحتفظ بصدارة الاهتمام والمتابعة.

ربما سيكون محور الحديث هذا الموسم ما سيحصل في الدوري الإيطالي بعد قدوم رونالدو الذي قد يغيّر المعادلة ويمنح هذا الدوري بعضا من البريق المعهود، ربما سيتطلع عشاق الكرة العالمية إلى الدوري الإسباني ويتلهفون لمعاينة "كلاسيكو الأرض" بين ريال مدريد وبرشلونة بعد رحيل "الدون" عن القلعة البيضاء.

لكن نحن العرب ربما يكون الدوري الإنكليزي وجهتنا الأولى، فالموعد والوعد هناك مع الجزائري المتألق رياض محرز الذي حقق حلم طفولته وانطلق إلى مانشستر سيتي باحثا عن مجد أسطوري خرافي مع كتيبة "الفيلسوف" بيب غواردیولا.

الموعد هناك والوعد أيضا مع الفرعون المصري محمد صلاح الذي حقّق ما عجز عن تحقيقه أي لاعب آخر في تاريخ نادي ليفربول العريق، فصلاح بات ببساطة وبكل وضوح أيقونة سيخلّدها تاريخ هذا النادي، رغم أن مقامه في هذا الصرح بدأ منذ عام فقط.

عام حقّق خلاله "مو صلاح" بعض المعجزات وقاد الفريق للانتقال إلى فضاء أرحب بكثير، بل وجعله يتطلع بكل ثبات لاستعادة أمجاد الماضي، لقد قاده كي يصبح مراهنا جديا وقويا للغاية من أجل البطولات، وموسمه الأول في قلعة "الأنفيلد" كان مثاليا إلى أبعد الحدود، إذ كانت الاستفادة المشتركة متبادلة.

فليفربول اغتنم وجود لاعب موهوب متعطش للتألق ليصبح الفريق مهابا ويصل إلى المحطة النهائية من مسابقة دوري الأبطال، أما صلاح فقد استغل توفر كل ممهدات النجاح كي ينتقل من طور إلى طور، ويتحوّل إلى لاعب من بين صفوة النجوم في العالم خلال حيز زمني قصير.

أرقام صلاح في موسمه الأول مع "الليفر" تغني عن كل تعليق، أهدافه الحاسمة والممتعة والجميلة والغزيرة كان لها مفعول السحر الذي جعل اللاعب يستحق كل عبارات الإشادة والتنويه، هي أرقام جعلته يستحق كل الجوائز الفردية التي توجّ بها وكل هذا الاهتمام المتزايد بشأنه.

شيء فقط ربما يكون قد نغّص غبطة الفرعون المصري، فتلك الإصابة اللعينة التي تعرّض لها في نهائي دوري الأبطال ضد الريال جعلته لا يكمل المباراة فقلصّت من حظوظ فريقه في اقتناص اللقب، إصابة جعلت مشاركته في المونديال الأخير مهدّدة جديا.

لكنه لم يتخلّف بفضل إصراره وعزيمته عن الموعد المونديالي، شارك وحاول تقديم يد المساعدة للمنتخب المصري، لكن للظروف أحكامها فصلاح لم يكن في أفضل حالاته تماما مثل منتخب بلاده، ليغادر العرس الكروي مبكرا.

غادر روسيا، ثم مكث لبضعة أيام في إجازة قبل أن يبدأ التفكير في رهانات الموسم الجديد، لقد حانت بسرعة ساعة الإعداد الجدي والعمل الدؤوب، فصلاح يدرك قبل الناس جميعا أن الموسم الجديد سيكون أصعب والرهانات خلاله ستكون أكبر وأكثر.

اليوم باتت كل الأعين تراقب صلاح وتنتظر لمساته وإبداعاته، أي سقطة ستكون مرفوضة وأي تراجع سيكون ممنوعا، على صلاح أن يثبت للعالم بأسره أنه لا يقل شأنا وقيمة عن بقية نجوم الشباك الأول، يتوجّب عليه أن يقنع الكل بأنه في مكانة لا تقل أهمية وتأثيرا عن مكانة لاعبين أفذاذ مثل ميسي ورونالدو وغيرهما.

الموسم الجديد سيكون دون شك عسيرا، فهو موسم التأكيد وتحقيق الوعود والإيفاء بالعهود، سيتعين على نجمنا العربي المصري أن يؤكد أنه الأفضل في الدوري الإنكليزي، وأن ما تحقق خلال الموسم الماضي لم يكن مجرد صدفة، بل هو نتاج إبداع موهبة فذة عبقرية قدرها الصعود خطوة بعد أخرى إلى القمة ثم المكوث هناك لسنوات عديدة تماما مثلما يحصل مع ميسي ورونالدو وبقية النجوم.

سينبغي على محمد صلاح أن يحافظ على ثباته ويسير على خيط رفيع وسط أشواك وأهوال منافسات الدوري الإنكليزي القوية وكذلك دوري الأبطال، يتوجّب عليه أن يتقمّص مجددا دور البطل والنجم المؤثر ويقود ليفربول إلى تحقيق النتائج الرائعة.

وهنا تكمن المعادلة الساحرة، فبقدر صعوبة القادم في مسيرة صلاح خلال الموسم الجديد بقدر ما يمكن أن يحمله هذا الموسم من أخبار رائعة وجميلة لهذا الفتى الساحر.

هنا تكمن معادلة النجاح العالمي، فبقدر العطاء سيكون الجزاء، وبقدر ما يبدع ويتألق صلاح مع ليفربول ويحافظ على مستواه الذي ظهر به الموسم الماضي بقدر ما يتوفّق في تذوق طعم التتويجات.

في الموسم الماضي اقترب صلاح مع ليفربول من "العين الجارية" وكاد يشرب من كأس دوري الأبطال، أما في الموسم المنتظر فإن ملامح بطل إنكليزي وأوروبي بصدد التشكل في حضرة هذا الفرعون القادر تماما على تذليل الصعوبات وتطويع الصعوبات وإحالتها إلى صورة جميلة تكون مكملة لتلك الصورة الناصعة التي رسمها نجمنا العربي في الموسم الماضي.

الترجي التونسي يقترب من الترشح إلى ربع نهائي أبطال أفريقيا

❏ **تونس** – عزّز فريق الترجي التونسي صدارته للمجموعة الأولى بدوري أبطال أفريقيا لكرة القدم بتغلبه على مضيفه كمبالا سيتي الأوغندي 1 –صفر خلال المباراة التي جمعتهما السبت ضمن منافسات الجولة الرابعة من المجموعة.

ويدين الترجي بالفضل في هذا الفوز للاعبه هيثم الجويني الذي سجل هدف المباراة الوحيد في الدقيقة 41، وأنهى كمبالا سيتي المباراة بعشرة لاعبين بعد طرد تشارلز لوكواجو حارس المرمى في الدقيقة 88.

ورفع الترجي رصيده إلى عشر نقاط في صدارة الترتيب، واقترب بقوة من الصعود إلى دور الثمانية.

وكان النجم الساحلي التونسي قد ضمن تأهله إلى ربع النهائي بعد فوزه على مباباني سوالوز من سوازيلاند 2 –صفر، الجمعة في سوسة ضمن الجولة الرابعة من تصفيات المجموعة الرابعة. وسجل ماهر الحناشي في الدقيقة 21 وسليم بن بلقاسم في الدقيقة 89 هدفي الساحلي الذي بات أول المتأهلين إلى ربع النهائي.

ورفع النجم الساحلي الذي فاز ذهابا أيضا على خصمه السوازيلاندي بثلاثية نظيفة رصيده إلى 10 نقاط في الصدارة مقابل 5 نقاط لبريميرو دي أغوستو الأنغولي الذي قلب تأخره أمام زيسكو يونايتد الزامبي (نقطتان) إلى فوز ثمين في اللحظات الأخيرة 2–1، فيما تجمد رصيد مباباني سوالوز عند 4 نقاط.

وفي المجموعة الثالثة فاز ماميلودي صنداونز الجنوب أفريقي على توغو– بورت التوغولي 2–1. في حين تعادل الدفاع الحسني الجديدي المغربي مع ضيفه وفاق سطيف الجزائري 1–1 في المجموعة الثانية.

وسجل للدفاع التنزاني سيمون موسوا من كرة رأسية في الدقيقة 23 ولوفاق سطيف حبيب بوغيلمونا في الدقيقة 32 من ركلة جزاء.

الترجي يدين للجويني بانتصاره

دبابات تحمي الشعب المرجانية والغواصين في شواطئ لبنان

قدم الجيش اللبناني لمدينة صيدا مجموعة من الدبابات لا لحمايتها أمنيا بل بهدف إنشاء أول "حديقة مائية" يرجح القائمون عليها أن تقدم العديد من الفوائد السياحية والبيئية للمدينة.

الانطلاق في مهمة غير عسكرية

❑ **صيدا (لبنان)** – استيقظ سكان مدينة صيدا جنوب لبنان، الجمعة، على عملية إنزال لدبابات تابعة للجيش إلى البحر في عملية ليست أمنية ولا عسكرية، بل هدفها، بحسب المنظمين، إنشاء أول "حديقة مائية" ذات فوائد سياحية وبيئية.

وعمدت رافعات ضخمة إلى وضع عشر آليات عسكرية قديمة من بينها دبابات وناقلات جند في عمق البحر قبالة شاطئ مدينة صيدا.

وأوضح كامل كزبر، ممثل جمعية "أصدقاء شاطئ صيدا"، أن هدف هذا المشروع هو توفير "ملاذ للغواصين ومحطة لتكاثر الشعب المرجانية".

وقال كزبر "نركز في عملنا على تنمية البيئة البحرية وحمايتها"، مضيفا أن أبراج مدافع الدبابات "وُجهت نحو الجنوب إلى فلسطين المحتلة.. تعبيرا عن التضامن مع الشعب الفلسطيني".

ووفقا لمصادر إعلامية محلية، صرح كزبر بأن جميع الجهات المعنية والمختصة وافقت على إنشاء أكبر وأول حديقة مائية في محيط صيدا البحري، والتي أصبحت معلما سياحيا للاستجمام والسباحة والرياضة، وإقامة النشاطات الفنية المتنوعة.

وأشار إلى أن قيادة الجيش اللبناني ستقدم 6 دبابات و4 ناقلات جند قديمة أو معطلة تشكل نواة حاضنة بيئية آمنة للأسماك في الحديقة.

وجرت هذه العملية بمواكبة من الدفاع المدني وفريق من الغواصين المحترفين بإشراف الجيش، بعد أن كانت أرجئت لأيام، بسبب الأنواء وارتفاع الأمواج.

وبحسب ما أفاد المنظمون، ستكون هذه "الحديقة المائية" مفتوحة أمام الغطاسين وهواة الغطس ومحبي السياحة البحرية.

وتجدر الإشارة إلى أن جمعية "أصدقاء شاطئ صيدا"، قدمت الكثير من نشاطات غوص وسباحة متميزة، بالإضافة إلى برامج ثقافية وفنية متنوعة وهادفة جعلت من صيدا نقطة جذب يقصدها رواد السباحة من أبناء المدينة وكافة المناطق اللبنانية.

ولم يتم تقديم تفاصيل إضافية من قبل المشرفين على المشروع لكن يرجح أنه تم اختيار مدينة صيدا تحديدا لأنها تعد إحدى أقدم مدن العالم، إلى جانب أنها تلعب دورا استقطابيا على مستوى محافظة الجنوب، باعتبارها مركز المحافظة، كما يوفر لها موقعها المميز أن تكون صلة وصل بين الجنوب وبيروت، بالإضافة إلى الدوائر الرسمية والمتاجر والمصارف والمؤسسات التعليمية والاستشفائية والصناعية الرئيسية التي تتمركز فيها.

وكان تقرير لبناني رسمي أعلن، مؤخرا، أن 80 بالمئة من شواطئ لبنان تخلو من أي مخاطر جرثومية.

وقال المجلس الوطني للبحوث العلمية، والمركز الوطني لعلوم البحر (حكوميان)، في تقرير لهما، إن "80 بالمئة من مياه بحر لبنان تخلو من المخاطر الجرثومية بخلاف ما ورد في العشرات من التقارير التي صدرت مؤخرا".

ولفت معن حمزة، أمين عام المجلس الوطني للبحوث العلمية، إلى أن "هناك 16 من أصل 25 نقطة بحرية شملتها دراستنا على طول الشاطئ اللبناني، تحمل تصنيفا جيدا ويمكن استخدامها للسباحة وكافة النشاطات المائية وحتى صيد الأسماك".

وأشار إلى أنه توجد 4 مناطق مصنفة بدرجة "مقبول"، و5 مناطق "سيئة وملوثة".

صباح العرب

عدلي صادق

لا إمساك عن الموسيقى

❑ يختلط الألم مع الضجر وترهقنا الأنباء، فيصبح الوقت محشوّا بالصمت. يلوذ أحدنا إلى الموسيقى التي يصاحبها الشعر، لأن الأولى – مثلما قال هيغل قديما – لا تعبّر عن دواخل النفس وحسب، بل تخاطبها أيضا، بصرف النظر عما يقوله الشعر، والنفس بدورها تتوسّلها لكي تؤثر فيها.

في عجالة، ينتقي أحدنا، في سكون الليل، الموسيقى التي تلائم قلبه وطبيعة ضجره وجيله وذاكرته؟ فالموسيقى فكر الليل أو ليل الفكر، والفن قرين الحياة، يتأثر بها وتتأثر به. وأذكر أنني كتبت عن فنانة كاريكاتير فلسطينية مجيدة، كان رسمها يحاذي مقالتي في الصفحة الأخيرة من جريدة فلسطينية. كانت ترسم أصداء الحدث اليومي العنفي، لكن ريشتها الرشيقة عندما تنفتح على آفاق أخرى اجتماعية تتبدّى مرنة وذكية، لكنها محرومة من الخروج عن دائرة الحدث، إلى حيث يتاح لها أن تتألق.

يخترقنا الصوت المشحون بالصمت في نظم إيقاع زمننا، ويضبط وجهتنا. فلا شيء قادرا على أن يخنق الذكرى ويمحو الهوية الخاصة. وفي العموم إن الطرب لا يُخيف، والموسيقى على اختلافها توقظ الحميم في دواخلنا، لا سيما عند سماعها في ليل داج، تمد فيه أحدنا ببهجة مضادة للإحباط، مع فيض من الإحساس الخاص بجماليات خاصة، فيخف ثقل التأسي. ولأن كل امرئ أسير ذاكرته، فإن موسيقانا المفضلة هي التي صاحبت أصوات أم كلثوم في الربع الأخير من تجربتها، وفيروز وعبدالحليم وغيرهما، بالنسبة للعزوفين عن الطرب الثقيل، الذي لم تنجذب إليه ذائقة جيلنا. وربما تكون أشرطة الفيديو المسجلة في الستينات، عاملا مساعدا على رفع درجة الاستمتاع، فيتأمل أحدنا فرقة العازفين، وسمة العمل الجماعي الذي يؤديه عازفون بارعون مجهولون ويُنتج اللحن!

في ليلة من التأسي والضجر ذهبت إلى أغنية لعبدالحليم من كلمات الشاعر والصحافي محمد حمزة، الذي راق لي شعره الغنائي منذ أن كتب لعبدالحليم نفسه في العام 1968 سطورا عن "الفدائي". وبدا لافتا بعدئذ، مع تداعي الأحوال ومتابعتي لما يغني عبدالحليم من كلماته؛ أن الشاعر كان ينزاح شيئا فشيئا إلى الحزن والشجن، فلا يناسبه سوى لحن بليغ حمدي الذي اتسمت ألحانه غالبا، بالميل إلى المقام الشرقي المسمّى "البياتي" الذي يمزج الحزن بالفرح وهو ذو أصول كردية شجيّة!

ليس بالضرورة أن يكون كلام الأغنية مهمّا أو عميقا، فالموسيقى تمضي مستقلة عن كل مضمون، وتوقظ في النفس إحساسا بمثالية السمو، وتفتح للمستمع مسارب للذكرى. لذا لا إمساك عن الموسيقى!

حرب النجوم يستعين ببطلته الراحلة كاري فيشر

❑ **لوس أنجلس** – أعلنت شركة والت ديزني المنتجة لسلسلة أفلام "حرب النجوم" أن الجزء الجديد من سلسلة أفلام الخيال العلمي سيتضمن مشاهد للممثلة وكاتبة السيناريو الأميركية الراحلة كاري فيشر فيما سيكون ثاني ظهور لها بعد وفاتها في سلسلة الأفلام، عبر فيديو لم يُعرض من قبل.

ويعتزم المخرج جيه جيه أبرامز، وفقا لما أعلنته شركة "لوكاس فيلم"، استخدام لقطات لم تعرض من قبل لفيشر في دورها الشهير باسم ليا أورغانا.

وتوفيت فيشر، التي لعبت دور الأميرة ليا، في ديسمبر 2016 عن 60 عاما إثر أزمة قلبية مفاجئة بينما كانت تستمتع بالعودة للعمل من جديد في إطار سلسلة "ستار وورز" التي أعيدت للحياة من جديد ولمت شملها مع أسرة الفيلم الأصلية ممثلة في مارك هاميل وهاريسون فورد في "ستار وورز: ذا فورس أويكنز".

وكانت فيشر قد فرغت لتوها من تصوير "ذا لاست غيدي" وكان يفترض أن تكون شخصية الأميرة ليا الشخصية المحورية في الجزء التاسع من فيلم الخيال العلمي "ستار وورز".

وأفاد أبرامز في بيان صحافي لـ"لوكاس فيلم"، "كنا نحب كاري فيشر للغاية.. العثور على نتيجة مرضية حقا لملحمة 'سكاي ووكر' دونها كان أمرا صعبا. لم نكن أبدا لنستخدم ممثلة أخرى أو شخصية بواسطة الكمبيوتر".

ومع مباركة ابنتها بيلي لورد، قال أبرامز إن الفريق "وجد طريقة لتكريم إرث كاري ودورها في شخصية ليا في الجزء التاسع باستخدام لقطات لم تعرض من قبل تم تصويرها في الجزء السابع".

ويشارك في هذا الجزء عدد من الممثلين الذين أدوا أدوارا في أجزاء سابقة، مثل ديزي ريدلي وآدم درايفر وجون بويغا وأوسكار إيزاك وكيلي ماري وماري تران.

وأوضحت الشركة في بيان أن الممثل مارك هاميل، الذي جسد شخصية لوك سكاي ووكر الذي توفي في فيلم "ستار وورز: ذا لاست جيدي" العام الماضي، سيظهر كذلك في الجزء الجديد الذي سيبدأ تصويره في لندن في بداية أغسطس المقبل.

الإعلان عن خطوبة بريانكا تشوبرا من نيك جوناس

❑ **لندن** – أفادت مجلة "بيبول" بأنه تم عقد خطوبة نجمة السينما البوليوودية بريانكا تشوبرا والمغني الأميركي نيك جوناس، لينتهي بذلك جدل الوعد الذي قطعاه على نفسيهما منذ شهرين.

ونقلت المجلة التي تعنى بأخبار المشاهير عن مصادر لم تكشف عن هويتها، أن المغني البالغ من العمر 25 عاما طلب يد حبيبته خلال الاحتفال بعيد ميلادها الـ36 في لندن.

وأوردت بيبول أنه طلب إغلاق متجر المجوهرات "تيفاني" في نيويورك في وجه الزبائن ليختار خاتم الخطوبة.

ولم يتسن الاتصال بوكيل أعمال أي من الفنانين للتعليق على الموضوع.

غير أن المخرج علي عباس جعفر قد ألمح إلى هذا الحدث السعيد وقت إعلانه عن قرار الممثلة التي اختيرت ملكة جمال العالم سنة 2000، التخلي عن تصوير فيلم "بهارات".

وغرّد جعفر "إن السبب خاص جدا جدا"، مشيرا إلى "أنها أعلمتنا بقرارها في اللحظة الأخيرة وقد فرحنا لها كثيرا".

وأوضحت المجلة أن الحبيبين تعارفا منذ فترة من الزمن وتربطهما قصة حبّ منذ شهرين.

وكانت مصادر مقربة من الثنائي أكدت منذ فترة خبر ارتباطهما رسميا في أواخر يوليو الحالي.

قط يلعق مثلجات في العاصمة الألمانية برلين بسبب ارتفاع غير مسبوق لدرجات الحرارة، حيث بلغت حوالي 32 درجة مئوية

الذكاء الاصطناعي يحدد الشخصية من حركة العين

❑ **كانبارا** – كشفت دراسة أجراها باحثون بجامعتي جنوب أستراليا وفلندرز، بالتعاون مع جامعة شتوتغارت ومعهد ماكس بلانك للمعلوماتية في ألمانيا، أنه يمكن الاستعانة بتقنيات الذكاء الاصطناعي للكشف عن نوع الشخصية عن طريق مراقبة حركة العين.

وأوضح الباحثون أن هذه الأبحاث تعتمد على أحدث خوارزميات تعلم الذكاء الاصطناعي لإثبات وجود صلة بين الشخصية وحركات العين. وكشفت النتائج التي أجريت على 42 مشاركا أن حركات العين لدى الأشخاص تكشف عما إذا كانوا اجتماعيين أو متحمسين أو فضوليين.

وقال توبياس لويتشر، قائد فريق البحث بجنوب أستراليا، إن "الدراسة توفر روابط جديدة بين حركات العين وخصائص الشخصية التي لم يتم التحقيق فيها من قبل، كما تقدم رؤى مهمة للمجالات الناشئة لمعالجة الإشارات الاجتماعية".

وأضاف أنه "من المؤكد أن هناك إمكانية لهذه النتائج لتحسين التفاعل بين الإنسان والروبوت، حيث يوفر هذا البحث فرصا لتطوير روبوتات وأجهزة الكمبيوتر تمتلك قدرة أفضل على تفسير الإشارات الاجتماعية البشرية".

وأشار إلى أن البحث نجح في قياس السلوك البصري للأشخاص الذين يمارسون مهامهم اليومية.